

تَهْجُ الْأَقْبِصَاتِ  
شَرْحُ حَسَائِرِ الْأَعْتِقَاتِ

لِإِسْلَامِ ابْنِ أَبِي دَاوُدَ

المتوفى سنة (٣١٦) هـ بمكة المكرمة

تَأليفُ

الصغائر بن عمارة الشريكي

غفر الله له ولوالديه

1440

تَهْجُ الْأَقْصَا  
شَرْحُ حَايَةِ الْإِعْتِقَادِ

لِلْإِسْلَامِ ابْنِ أَبِي دَاوُدَ

1440

تَهْلُجُ الْأَقْبِصَانَا  
شَرْحُ حَسَائِرِ الْأَعْمِقَانَا

لِلْإِمَامِ ابْنِ أَبِي دَاوُدَ

المتوفى سنة (٣١٦) هـ رحمه الله تعالى

تَأليفُ

الصغَّيرِ بنِ عمَّارِ الشَّريكيِّ

غَفَرَ اللَّهُ لَهُ وَلِوَالِدَيْهِ

1440

# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## المقدمة

الحمد لله الذي بفضلِهِ صَلَّحَتْ أحوالُ العباد، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادةً خالصةً من شوائب الشرك والمعاصي ومكدرات البدع في القول والعمل والاعتقاد، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، رفع اللهُ قدره في الدنيا ويوم يقوم الأَشهاد، نصح الأمة وتركنا على نهج السلامة والوضوح والاقتصاد، صلى اللهُ وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه، الذين نفع اللهُ بهم في كل ناد، فسعدَ بحبِّهم أقواماً، وهلكَ ببغضِهم آخرون، ومن يُضِلِّ اللهُ فما له من هاد.

أما بعد،

فإنَّ الله خلق الخلق لعبادته وتوحيده، قال جل وعلا: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (٥٦) مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُونَ ﴿٥٧﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴿ [الذاريات: ٥٦ - ٥٨]، أي أن الحكمة من الخلق هي عبادته بما أمر على لسان رسوله، إذ لا يتم صلاح ولا تنال سعادة في الدارين إلا بها.<sup>(1)</sup>

قال العلامة ابن عدود رَحِمَهُ اللهُ في مقدمة نظمه لـ «مختصر خليل» في فقه المالكية: (2)  
أَنْشَأَ خَلْقَهُ اخْتِيَارًا بِقَدَرٍ لِحِكْمٍ لَا عَبَثًا كَمَا ذَكَرَ

1- «محاسن التأويل» (9/ 46)، للقاسمي.

2- «مجملة اعتقاد السلف» (ص 12).

وقال تعالى: ﴿ مَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ ﴾ [الأحقاف: ٣]، وقد اتفق المفسرون على أن الحق الذي خلقت به السموات والأرض هو الأمر والنهي وما يترتبُ عليهما من الثواب والعقاب، فمن جحد ذلك، وجحد رسالة الرسل، وكفر بالمعاد، وأحال حوادث العالم على حركات الكواكب، فقد زعم أن خلق السموات والأرض أبطل الباطل، وأن العالم خلق عبثاً، وترك سدى، وخلي هملاً، وغاية ما خلق له أن يكون متمتعاً باللذات الحسية - كالبهائم - في هذه المدّة القصيرة جداً، ثم يفارق الوجود وتُحْدِثُ حركات الكواكب أشخاصاً مثله هكذا أبداً. فأبي باطل أبطل من هذا؟! وأي عبث فوق هذا؟! (1)

والرسل والأنبياء جميعهم إنما جاؤوا من أجل تحقيق هذا الأمر العظيم، وهو تحقيق العبودية لله جل وعلا، قال سبحانه وتعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ (2): «ولولا الرسالة لم يهتد العقل إلى تفاصيل النَّافع والضَّار في المعاش والمعاد. فمن أعظم نعم الله على عباده وأشرف منة عليهم: أن أرسل إليهم رسله؛ وأنزل عليهم كتبه، وبيّن لهم الصراط المستقيم. ولولا ذلك لكانوا بمنزلة الأنعام والبهائم بل أشرّ حالا منها، فمن قبل رسالة الله واستقام عليها فهو من

1- «مفتاح دار السعادة» (3/ 1391).

2- «الفتاوى» (19/ 100).

خير البرية، ومن ردّها وخرج عنها فهو من شرّ البرية، وأسوأ حالا من الكلب  
والخنزير والحيوان البهيم». انتهى كلامه.

ولما اندرست معالم التوحيد في جزيرة العرب وفشت فيها عبادة الأصنام، أرسل  
الله جل وعلا آخر الرسل وسيد الأنبياء وإمام المتقين نبينا محمداً عليه الصلاة والسلام،  
أرسله الله جلّ جلاله داعياً إلى التوحيد ومنذراً عن الشرك، ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ  
بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة:  
٣٣].

### حقيقة العلم النافع

قال ابن سعدي رحمه الله<sup>(1)</sup>: «فالأول العلم النافع، والثاني العمل الصالح، وهذان  
الأمران هما دعوة الحق المذكوران في قوله: ﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا  
يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ﴾ [الرعد: ١٤]». انتهى.

فخلاصة دعوة النبي صلى الله عليه وسلم تقوم على أمرين:

- تحصيل العلم النافع،
  - وتحقيق العمل الصالح.
- وليس الناس قطُّ إلى شيءٍ أحوَجَ منهم إلى معرفة ما جاء به الرسول  
صلى الله عليه وسلم، والقيام به، والدعوة إليه، والصبر عليه، وجهاد من خرج عنه حتى

1- «مجموع الفوائد واقتناص الأوابد» (ص 170).

يرجع إليه، وليس للعالم صلاحٌ بدون ذلك البتّة، ولا سبيل إلى الوصول إلى السعادة والفوز الأكبر إلا بالعُبور على هذا الجسر<sup>(1)</sup>.

وحدّ العلم: هو ما قامت عليه الأدلّة والبراهين، والنافع منه ما تعلّق بالدين، وكان من العلوم المعينة عليه<sup>(2)</sup>.

### أهمية التصنيف في العلم

ومن وسائل تثبيت العلم وحفظه من الضياع الكتابةُ فيه والتأليف، والجمع بين القراءة والدعوة والتصنيف<sup>(3)</sup>، فإنّه مما يقوي النفس، ويثبت الحفظ، ويذكّي القلب، ويشحذ الطبع، ويبسط اللسان، ويجيدّ البيان، ويكشف المُشْتَبِه، ويوضح المُلتبس، ويكسبُ أيضاً جميلَ الذكر وتخليده إلى آخرِ الدهر<sup>(4)</sup>. قال الشاعر:

يَمُوتُ قَوْمٌ فَيُحْيِي الْعِلْمُ ذِكْرَهُمْ      وَالْجَهْلُ يُلْحِقُ أَمْوَاتًا بِأَمْوَاتٍ

1- «مفتاح دار السعادة» (2/ 864).

2- انظر: «الرياض الناضرة» (ص 68)، لابن سعدي.

3- قال الوزير ابن هبيرة كما في «ذيل طبقات الحنابلة» (1/ 156): «يحصل العلم بثلاثة أشياء:

أحدها: العمل به، فإن من كلف نفسه التكلم بالعربية، دعاه ذلك إلى حفظ النحو.

والثاني: التعليم، فإنه إذا علّم الناس كان أدعى إلى تعليمه.

الثالث: التصنيف، فإنه يُجْرِجُه إلى البحث، ولا يتمكن من التصنيف من لم يدرك غورَ ذلك العلم الذي صنّف فيه». انتهى.

4- انظر: «الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع» (2/ 280)، للخطيب البغدادي.

### التعريف بالمنظومة وصاحبها وأهم شروحيها

ومن هذا المنطلق، أقدم لك -أيها القارئ الكريم- هذا الشرح المتوسط على منظومة لطيفة في عقيدة أهل السنة والجماعة، وهي «المنظومة الحائية لابن أبي داود»، وهي حريّةٌ بأن تُبسّط معانيها، وأن تشرح ألفاظها، وأن تُوضّح مقاصدُها بشيءٍ أوسع من هذا، ولكن «ما لا يُدرِكُ كُلُّهُ لا يُترَكُ كُلُّهُ»، والله حَسْبِي وَنِعَمَ الْوَكِيل.

وصاحب هذه المنظومة هو الحافظ الثقة أبو بكر ابن أبي داود السجستاني، فأبوه صاحب السنن المعروف رَحِمَهُ اللهُ. وُلِدَ سنة 230 هـ، تفقه على أبيه، وبرز في العلم والحديث، وصنف التصانيف، وانتهت إليه رئاسة الحنابلة ببغداد، وتوفي سنة 316 هـ، عن سَبْعَةٍ وَثَمَانِينَ (87) عاماً، رَحِمَهُ اللهُ رَحِمَةً وَاسِعَةً.<sup>(1)</sup>

وهذه المنظومة من «بحر الطويل»<sup>(2)</sup>، من عُيُونِ قِصَائِدِ أَهْلِ السَّنَةِ فِي بَابِ الْإِعْتِقَادِ، وَمِنْ أَحْسَنِ الْقِصَائِدِ الْمُخْتَصِرَةِ الْوَجِيزَةِ، وَهِيَ حَقِيقَةٌ بِأَنَّ يَعْتَنِي طَالِبُ الْعِلْمِ بِحِفْظِهَا،

1- انظر ترجمته رَحِمَهُ اللهُ فِي عِدَّةِ مَوَاضِعٍ مِنْهَا: «تاريخ بغداد» (11/136)، و«طبقات الحنابلة» (2/51)، و«وفيات الأعيان» (2/405)، فِي تَرْجَمَةِ أَبِيهِ، وَ«سير أعلام النبلاء» (13/221)، وَ«لسان الميزان» (4/490)، وَ«الأعلام» (4/91)، وَ«التنكيل» (2/516-524)، وَ«موسوعة مواقف السلف» (5/62).

2- وتفعيلاته هي:

فَعُولُنْ مَفَاعِيلُنْ فَعُولُنْ مَفَاعِيلُنْ      فَعُولُنْ مَفَاعِيلُنْ فَعُولُنْ مَفَاعِيلُنْ

قال الناظم:

طَوِيلٌ لَهُ دُونَ الْبُحُورِ فَضَائِلٌ      فَعُولُنْ مَفَاعِيلُنْ فَعُولُنْ مَفَاعِيلُنْ

انظر «العروض المختصر» (ص 70)، لنور الدين صمّود.

وأن يسعى في استشرائحها، ولهذا اهتم بها أهل السنة من عصر المؤلف، ومن اعتنى بها طلابه كالأجري<sup>(1)</sup>، وتلميذه ابن بطة العكبري، وتلميذه ابن شاهين، وابن البناء<sup>(2)</sup>. قال الذهبي رَحِمَهُ اللهُ بعد أن ذكر نصَّ المنظومة<sup>(3)</sup>: «هذه القصيدة متواترة عن ناظمها، رواها الأجري وصنف لها شرحاً، وأبو عبد الله ابن بطة في «الإبانة» انتهى. وبعد ذلك، قلت شرحها -فيما بلغنا-، حتى جاء السفاريني الحنبلي رَحِمَهُ اللهُ تعالى وشرحها في كتاب طبع محققاً منذ سنوات في رسالة جامعية، في مجلدين عظيمين. واسم الكتاب كما صرح به السفاريني في مقدمته هو: «لوائح الأنوار السنية ولوائح الأفكار السنية شرح قصيدة ابن أبي داود الحائية في عقيدة أهل الآثار السلفية»، وجاء اسمه في الورقة الأولى من إحدى المخطوطات: «لوائح الأنوار السنية ولوائح الأفكار السنية في شرح قصيدة الإمام الحافظ أبي بكر بن أبي داود الحائية في عقائد الطوائف السلفية والفرق الأثرية»، ولا يبعد أن المؤلف رَحِمَهُ اللهُ اختصر العنوان في مقدمته ثم ذكره كاملاً على غلاف الكتاب.<sup>(4)</sup>

1- وقد أوردتها في كتابه «الشریعة» (5/2562)، فقال: «أملی علینا أبو بکر بن أبی داود فی مسجد الرصافة فی یوم الجمعة لخمس بقین من شعبان سنة تسع وثلاثائة، فقال تجاوز الله عنه»، ثم ذكرها.  
 2- وكتب عليها شرحاً مختصراً سماه: «الأصول المجردة على ترتيب القصيدة المجودة»، وقد علق عليه شيخنا العصيمي. والشرح متوفر صوتياً، وهو مَفْرَغٌ عندي في نسخة خاصة.  
 3- «العلو» (ص 212)، و«مختصره» (ص 229). والقصيدة في: «سير أعلام النبلاء» (13/233)، و«طبقات الحنابلة» (2/53).  
 4- انظر: مقدمة المحقق د. البصيري (1/57).

وهذا الشرح النفيس من السفاريني شرح تفصيلي مُوسَّع، لا يستغني عنه طالب العلم، غير أن فيه استطرادات كثيرة قد تُحول دون الانتفاع به، سيما للمبتدئين. ولأهل العلم المعاصرين شروح عديدة مكتوبة ومسجلة، ومن أحسنها شرح الشيخ عبد الرزاق العباد -سده الله تعالى-، لما فيه من التقسيمات الحسنة والفوائد اللطيفة، وعنوان شرحه: «التحفة السنوية شرح منظومة ابن أبي داوود الحائية»، وهو مشتهر بين طلاب العلم وقد كتب له الله جل وعلا له القبول، حتى لا يكاد بعض طلاب العلم يَعْرِفُ إلا هذا الشرح، وأصله صوتي ولكن الشيخ اعتنى به عناية جيدة، وحرره، جزاه الله خيرا.

فمن كان مكتفياً بشرح واحد فليكتفِ بشرح الشيخ عبد الرزاق العباد -سده الله تعالى-، فهو شرح حسن طيب لا تعقيد فيه، ألفاظه سلسة، ومعانيه جَزَلَةٌ، تكفي طالب العلم في إدراك حقيقة هذه المنظومة.<sup>(1)</sup>

### أصل هذا الشرح

وأصل كتابي هذا مجلسان ألقيتها عبر «شبكة الأنترنت» على مجموعة من الإخوة والأصدقاء، وكان المجلس الأول منه يوم الأحد 17 من شوال لعام 1439، الموافق لـ

1- قال الشيخ عبد الكريم الخضير: «شرح الشيخ عبد الرزاق شرح جميل وواضح، وفيه فوائد، يعني شرح متعوب عليه، فحري بطلاب العلم أن يُعنى به». انتهى. (الدرس 1 من شرح الحائية، دروس مفرغة من موقع الشيخ).

01 جويلية من عام 2018 ميلادي، والمجلس الثاني منه صبيحة الأحد 24 من نفس الشهر لعام 1439، الموافق لـ 08 جويلية من عام 2018 ميلادي.

وقد قام بتفريغته من الدرس الصوتي أحد طلاب العلم، بَارَك اللهُ فِي عِلْمِهِ وَعَمَلِهِ، وأصلح حاله، وغفر له ولوالديه.

وكما جرت العادة، أعدت صياغة التفريغ ليكون أقرب إلى شرح مؤلفٍ مُحَرَّرٍ منه إلى درسٍ مُقَرَّرٍ، ولم يبق من الأصل الصوتي إلا القليل، والله حسبي ونعم الوكيل.

وكان البدء في تحرير هذا الشرح صبيحة الأحد 19 من شهر صفر 1440، الموافق لـ 28 من أكتوبر 2018، بمدينة «تلوز»، وانتهيتُ منه تعليقا وتَسْيِقا -بفضل الله سُبحانه- ليلة الاثنين 25 من شهر رجب لعام 1440، الموافق لـ 01 أفريل 2019 بمدينة «ليون»<sup>(1)</sup> بفرنسا، وسمَّيته في البداية: «نثر الورود على حائبة ابن أبي داود»، ثم وجدت أن هذا الاسم هو عنوان شرح الشيخ زيد المدخلي رَحِمَهُ اللهُ، فراسلت شيخنا صالح بن عبد الله العصيمي، عضو هيئة كبار العلماء بالمملكة العربية السعودية، فاقترح علي أن أجعل عنوانه: «**نهج الاقتصاد شرح حائبة الاعتقاد**».

والنَّهَج: هو الطريق الواضح المستقيم.<sup>(2)</sup>

والاقتصاد: هو التَّوَسُّطُ في الأمر بلا إفراط ولا تفريط.<sup>(3)</sup>

1- حيث انتقلت إليها في إطار عملي منذ أشهر، جعل الله إقامتي وأهلي فيها مباركة علينا.

2- انظر: «النهاية» (5/ 134، نَهَج)، و«المعجم الوسيط» (2/ 957).

3- انظر: «النهاية» (4/ 67، قَصْد)، و«القاموس المحيط» (1/ 310)، و«مقصد حفظ النسل»، للمؤلف.

وفي «نونية القحطاني»<sup>(1)</sup>:

فَأَقْصِدْ هُدَيْتَ وَلَا تَكُنْ مُتَغَالِيًّا      إِنَّ الْقُدُورَ تَفُورُ بِالْغَلِيَّانِ  
فيكون المراد بهذا العنوان: الطريق الواضح الجلي، المتوسط بين غلو الغالين وجفاء  
المفرطين، في بيان «المنظومة الحائية» في اعتقاد المسلمين.

ورجائي في الله الكريم أن يكون هذا العنوانُ اسمًا على مُسمًى، وأن أكون قد  
وُفِّقْتُ في إيضاحِ وبيانِ اعتقادِ أهلِ السُّنةِ والجماعةِ، على طريقِ سَوِيٍّ مُعْتَدِلٍ.

### المنهج المتبع في هذا الكتاب

يتلخص منهجي في هذا الكتاب في النقاط التالية:

- أبقيت قدر المستطاع على المباحث التي طرقتها في الأصل الصوتي، مع الزيادة عليها  
إتماماً للفائدة، ورغبةً في أن يكون الشرح وافياً مفيداً لطلاب العلم.
- اعتمدتُ -بعد طلب العون من الله- على أربعة كتب أساسية:
  - أولها: كتابي «واسع المنة بالتعليق على شرح السنة للمزني»،
  - وثانيها: «شرح السفاريني» للحائية،
  - وثالثها: «موسوعة العقيدة»، لجماعة من الباحثين.
  - ورابعها: «التحفة السننية»، للعباد.

- وليس عملي مجرد نَسْخٍ ولَصِقَ لشروح الحائية المطبوعة، بل هو شرح مستقل فيه من المباحث ما يَعْزُّ وجوده في كثيرٍ من الشروح لهذه المنظومة، مع الاستفادة من جهد علمائنا في القديم والحديث، والله الفضل أولاً وآخراً.
- تَبَعْتُ مباحث «لوائح الأنوار»، إذ هو الشرح الأوسع للمنظومة، بلا مُسَايَرة لكل ما ذَكَرَ السفاريني، فإنه استطرد في عدد من المباحث بما قد يُجْرَجُ الشرح عن مقصوده.
- استفدت كثيراً مما قيَّدت في «واسع المنة»، سيما في «كلام الله»، و«القدر»، و«الصحابة»، و«الإيمان باليوم الآخر»، وغيرها من المباحث، مع زيادات وإفادات خاصة بهذا الكتاب.
- نوَّعت المراجع بين الأوائل والمتأخرين، على اختلاف مذاهبهم الفقهية، مع الإكثار من النقل عن أئمة المالكية، متى وجدت إلى ذلك سبيلاً.
- وثَقَّتُ النقولَ من مؤلفات أهل العلم مباشرة، وربما نقلت بواسطة لِعَرَضٍ ما، وقد أشرتُ إلى هذا في الحاشية.
- ابتعدت عن النقل الحرفي في الغالب، مع صياغة الكلام بطريقة سهلة، على وجه يجمع شتات الكلام، مع الإشارة إلى موضع الأصل في الحاشية.
- أشرتُ في جُلِّ المباحث إلى الكُتُبِ المعتمَدة فيها، لمن شاء التوسع، سيما من كتب السلف التي هي العمدة في كل العلوم الشرعية، مع عناوين لبعض الدراسات

المعاصرة<sup>(1)</sup>، والتي تميّزت منها بالتحقيق وحُسن الجمع وتقريبِ كلام المتقدمين، وجعلت لهذه المراجع فهرسا خاصا في آخر الكتاب.

- عزّوتُ الآيات القرآنية الواردة في الشرح، مع كتابتها بالرسم العثماني.
- عزّوتُ الأحاديث النبوية الواردة في الشرح، فإن كان الحديث في «الصحيحين» أو أحدهما اكتفيت بذلك، وإن لم يكن فيهما عزّوته إلى مواضعه من كتب السنة الأخرى المعتمدة، مقتصرا على بعضها، مع ذكر كلام أهل العلم في بيان درجتها، خاصة الإمام الألباني.
- سعيتُ لاختيار الروايات الحديثية التامة، حتى لا أضطرّ لنقل العديد من الألفاظ للحديث الواحد.
- إذا كان للحديث أكثر من موضع في كتب السنة، أذكر غالبا الموضع الأول منه، أو الموضع المناسب للترجمة الموافقة للمقصود منه، لأن تراجم العلماء فقه سيما عند الإمام البخاري، والوصول إلى باقي المواضع التي ذُكر فيها الحديث سهل - بإذن الله -.

- ضبّطتُ ما يحتاج إلى ضبّط، وعلّقت في الحاشية على عدة مواطن من الكتاب.
- جعلتُ عناوين تفصيلية تُعينُ القارئ في الوصول إلى مباحث الشرح.
- وضّعت فهرسا يُسهّل على القارئ الوقوف على موضوعات الكتاب.

1- فمن شاء التوسع في مسألة ما فليرجع إليها، إذ لا يكفي مثل هذا البحث لاستقصاء الكلام في كل نقطة.

- جعلتُ فهرساً للكتب التي نصحت بالرجوع إليها في الحاشية، ورتبتها حسب المواضيع.
- رتبتُ المصادرَ والمراجعَ حسب حروف المعجم.

اللهم تقبل مني هذا الكتاب خالصاً لوجهك، وانفع به صاحبه ومن شئت من خَلقك، وصلِّ اللهم على نبينا محمد وآله وصحبه وسلِّم.

وكتب

الصغير بن عمّار

ليلة السبت 30 من شهر رجب لعام 1440

الموافق لـ 06 أبريل 2019 بمدينة «ليون» بفرنسا

## نص المنظومة

قال الحافظ الثقة أبو بكر بن أبي داود رَحِمَهُ اللهُ تعالى:

تَمَسَّكَ بِجَبَلِ اللَّهِ وَاتَّبَعَ الْهُدَى  
وَدِنَ بِكِتَابِ اللَّهِ وَالسُّنَنِ الَّتِي  
وَقُلْ غَيْرُ مَخْلُوقِ كَلَامِ مَلِكِنَا  
وَلَا تَكُ فِي الْقُرْآنِ بِالْوَقْفِ قَائِلًا  
وَلَا تَقُلِ الْقُرْآنُ خَلَقَ قِرَاءَتُهُ  
وَقُلْ يَتَجَلَّى اللَّهُ لِلخَلْقِ جَهْرَةً  
وَلَيْسَ بِمَوْلُودٍ وَلَيْسَ بِوَالِدٍ  
وَقَدْ يُنْكِرُ الْجَهْمِيُّ هَذَا وَعِنْدَنَا  
رَوَاهُ جَرِيرٌ عَنْ مَقَالِ مُحَمَّدٍ  
وَقَدْ يُنْكِرُ الْجَهْمِيُّ أَيْضًا يَمِينَهُ  
وَقُلْ يَنْزِلُ الْجَبَّارُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ  
إِلَى طَبَقِ الدُّنْيَا يَمُنُّ بِفَضْلِهِ  
يَقُولُ أَلَا مُسْتَغْفِرُ يَلْقَى غَافِرًا  
رَوَى ذَاكَ قَوْمٌ لَا يُرَدُّ حَدِيثُهُمْ  
وَقُلْ إِنَّ خَيْرَ النَّاسِ بَعْدَ مُحَمَّدٍ  
وَرَابِعُهُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ بَعْدَهُمْ  
وَإِنَّهُمْ لِلرَّهْطِ لَا رَيْبَ فِيهِمْ  
سَعِيدٌ وَسَعْدٌ وَابْنُ عَوْفٍ وَطَلْحَةُ

وَلَا تَكُ بِدَعِيًّا لَعَلَّكَ تُفْلِحُ  
أَتَتْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ تَنْجُ وَتَرْبِحُ  
بِذَلِكَ دَانَ الْأَثْقِيَاءُ وَأَفْصَحُوا  
كَمَا قَالَ أَتْبَاعُ لِحْجَمٍ وَأَسْجَحُوا  
فَإِنَّ كَلَامَ اللَّهِ بِاللَّفْظِ يُوضَحُ  
كَمَا الْبَدْرُ لَا يَخْفَى وَرَبُّكَ  
وَلَيْسَ لَهُ شِبْهَةٌ تَعَالَى الْمَسْبُوحُ  
بِمِصْدَاقِ مَا قُلْنَا حَدِيثُ مُصْرَحُ  
فَقُلْ مِثْلَ مَا قَدْ قَالَ فِي ذَاكَ تَنْجَحُ  
وَكَلْتَا يَدَيْهِ بِالْفَوَاضِلِ تَنْفَحُ  
بِلا كَيْفِ جَلِّ الْوَاحِدِ الْمُتَمَدِّحُ  
فَتَفْرَجُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَتُفْتَحُ  
وَمُسْتَمْنَحُ خَيْرًا وَرِزْقًا فَيُمنَحُ  
أَلَا خَابَ قَوْمٌ كَذَّبُوهُمْ وَقَبَّحُوا  
وَزِيرَاهُ قَدَمًا ثُمَّ عَثْمَانُ الْارْجَحُ  
عَلِيٌّ حَلِيفُ الْخَيْرِ بِالْخَيْرِ مُنْجِحُ  
عَلَى نُجْبِ الْفِرْدَوْسِ بِالنُّورِ  
وَعَامِرُ فَهْرٍ وَالزُّبَيْرُ الْمَمْدَحُ

وَقُلْ خَيْرَ قَوْلٍ فِي الصَّحَابَةِ كُلِّهِمْ  
 فَقَدْ نَطَقَ الْوَحْيُ الْمُبِينُ بِفَضْلِهِمْ  
 وَبِالْقَدْرِ الْمَقْدُورِ أَيْقِنُ فَإِنَّهُ  
 وَلَا تُنْكِرُنَّ جَهْلًا نَكِيرًا وَمُنْكَرًا  
 وَقُلْ يُخْرِجُ اللَّهُ الْعَظِيمُ بِفَضْلِهِ  
 عَلَى النَّهْرِ فِي الْفِرْدَوْسِ تَحِيًّا  
 وَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ لِلْخَلْقِ شَافِعٌ  
 وَلَا تُكْفِرَنَّ أَهْلَ الصَّلَاةِ وَإِنْ  
 وَلَا تَعْتَقِدْ رَأْيَ الْخَوَارِجِ إِنَّهُ  
 وَلَا تَكُ مُرْجِيًّا لِعُوبًا بِدِينِهِ  
 وَقُلْ إِنَّمَا الْإِيمَانُ قَوْلٌ وَنِيَّةٌ  
 وَيَنْقُصُ طَوْرًا بِالْمَعَاصِي وَتَارَةً  
 وَدَعُ عَنْكَ آرَاءَ الرُّجَالِ وَقَوْلَهُمْ  
 وَلَا تَكُ مِنْ قَوْمٍ تَلَّهَوْا بِدِينِهِمْ  
 إِذَا مَا اعْتَقَدْتَ الدَّهْرَ يَا صَاحِبَ

وَلَا تَكُ طَعَانًا تَعِيْبُ وَتَجْرَحُ  
 وَفِي الْفَتْحِ آيٌ فِي الصَّحَابَةِ تَمْدَحُ  
 دِعَامَةَ عِقْدِ الدِّينِ وَالِدِّينِ أَفِيحُ  
 وَلَا الْحَوْضَ وَالْمِيزَانَ إِنَّكَ  
 مِنَ النَّارِ أَجْسَادًا مِنَ الْفَحْمِ  
 كَحَبِّ حَمِيلِ السَّيْلِ إِذْ جَاءَ  
 وَقُلْ فِي عَذَابِ الْقَبْرِ حَقٌّ مُوَضَّحٌ  
 فَكُلُّهُمْ يُعَصِّي وَذُو الْعَرْشِ  
 مَقَالٌ لِمَنْ يَهْوَاهُ يُرْدِي وَيَفْضَحُ  
 أَلَا إِنَّمَا الْمُرْجِيُّ بِالِدِّينِ يَمْرُحُ  
 وَفَعَلُ عَلَى قَوْلِ النَّبِيِّ مُصْرَحُ  
 بِطَاعَتِهِ يَنْمِي وَفِي الْوِزْنِ يَرْجَحُ  
 فَقَوْلُ رَسُولِ اللَّهِ أَزْكَى وَأَشْرَحُ  
 فَتَطْعَنَ فِي أَهْلِ الْحَدِيثِ وَتَقْدَحُ  
 فَأَنْتَ عَلَى خَيْرِ تَبِيْتٍ وَتُصْبِحُ



## بداية الشرح

### مصدر التلقي عند أهل السنة والجماعة

قال المصنف رَحِمَهُ اللهُ فِي أَوَّلِ نَظْمِهِ:

تَمَسَّكَ بِجَبَلِ اللَّهِ وَاتَّبَعَ الْهُدَى      وَلَا تَكُ بِدْعِيًّا لَعَلَّكَ تُفْلِحُ  
وَدِنٌ بِكِتَابِ اللَّهِ وَالسُّنَنِ الَّتِي      أَتَتْ عَنِ رَسُولِ اللَّهِ تَنْجُ وَتَرْبِحُ

بدأ رَحِمَهُ اللهُ تعالى هنا ببيان أمر عظيم، وهو مصادر التلقي عند أهل السنة والجماعة، وهذا باب يبدأ به أهل السنة في عقائدهم، حتى يبينوا للمسلمين أن هذه العقيدة التي نحن عليها، مصدرها: الكتاب والسنة وما كان عليه سلف الأمة.

ولهذا يذكرون في مَطَّلَعِ كِتَابِهِمْ -سيما المطولة منها- مِيزَةَ السُّنَةِ وَمِيزَةَ التَّمَسُّكِ بِالْكِتَابِ وَرَدَ الْبِدْعَةَ، ثم يبينون خطر الذي ترك الكتاب والسنة وأقبل على علم الكلام، فإن أهل الكلام كما قال عنهم شيخ الإسلام ابن تيمية في آخر «الفتوى الحموية»<sup>(1)</sup>: «ومن علم أن المتكلمين من المتفلسفة وغيرهم هم في الغالب في قولٍ

مُخَلِّفٍ ﴿٨﴾ يُؤْفِكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ ﴿[الذاريات: ٨ - ٩]، يعلم الذكي منهم والعاقِل: أنه ليس هو

فيما يقوله على بصيرة، وأن حجته ليست بيّنة، وإنما هي كما قيل فيها:

حُجَجٌ تَهَافَتُ كَالزُّجَاجِ تَخَالُهَا      حَقًّا وَكُلُّ كَاسِرٍ مَكْسُورٌ

ويعلم العليم أنهم من وجه مستحقون ما قاله الشافعي رَحِمَهُ اللهُ حيث قال:

«حُكْمِي فِي أَهْلِ الْكَلَامِ أَنْ يَضْرِبُوا بِالْجَرِيدِ وَالنِّعَالِ، وَيَطَافُ بِهِمْ فِي الْقِبَائِلِ وَالْعَشَائِرِ، وَيُقَالُ: هَذَا جَزَاءٌ مِنْ تَرْكِ الْكِتَابِ وَالسَّنَةِ، وَأَقْبَلَ عَلَى الْكَلَامِ».

وَمِنْ وَجْهِ آخَرَ، إِذَا نَظَرْتَ إِلَيْهِمْ بَعَيْنَ الْقَدْرِ - وَالْحِيرَةَ مُسْتَوْلِيَةً عَلَيْهِمْ، وَالشَّيْطَانَ مُسْتَحُوذًا عَلَيْهِمْ - رَحْمَتَهُمْ وَرَفَقَتَ بِهِمْ، أُوتُوا ذِكَاءً وَمَا أُوتُوا زَكَاءً، وَأَعْطُوا فَهُومًا وَمَا أُعْطُوا عُلُومًا، وَأَعْطُوا سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفئِدَةً ﴿فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَرُهُمْ وَلَا أَفئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ [الأحقاف: ٢٦].

وَمَنْ كَانَ عَلِيمًا بِهَذِهِ الْأُمُورِ: تَبَيَّنَ لَهُ بِذَلِكَ حَذَقُ السَّلَفِ وَعِلْمُهُمْ وَخَبْرَتُهُمْ، حَيْثُ حَذَرُوا عَنِ الْكَلَامِ وَنَهَوْا عَنْهُ، وَذَمُّوا أَهْلَهُ وَعَابَوْهُمْ، وَعَلِمَ أَنَّ مِنْ ابْتِغَى الْهُدَى فِي غَيْرِ الْكِتَابِ وَالسَّنَةِ لَمْ يَزِدْ إِلَّا بَعْدًا». انْتَهَى كَلَامُهُ رَحِمَهُ اللَّهُ.

### من ترك الحق ابتلاه الله بالباطل

فَهَؤُلَاءِ الْقَوْمِ تَرَكَوا الْحَقَّ الَّذِي هُوَ الْكِتَابُ وَالسَّنَةُ، فَابْتَلَوْا بِالْبَاطِلِ. قَالَ اللَّهُ ﷻ عَنْ الْيَهُودِ فِي «سُورَةِ الْبَقَرَةِ»: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٠١]، ثُمَّ قَالَ: ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيْطَانُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ﴾ [البقرة: ١٠٢]، الْآيَةَ. وَفِي هَذَا أَنَّ «مَنْ تَرَكَ الْحَقَّ ابْتَلَىٰ بِالْبَاطِلِ»، فَإِنَّ مِنَ الْعَوَائِدِ الْقَدْرِيَّةِ وَالْحِكْمَةِ

الإلهية أن من ترك ما ينفعه اختياراً، ابتلي بالاشتغال بما يضره.<sup>(1)</sup>  
 فهؤلاء تركوا الكتاب والسنة فابتلاهم الله بعلم الكلام، لأنَّ من عقوبة السيئة السيئة بعدها<sup>(2)</sup>، ولا أعظم من أن ينسلخ قلبُ العبد من الإقبال على الكتاب والسنة، ويُقبلَ على علم الكلام.

ومن لطيف القول قولُ أهل العلم: كما أن حوض رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الموقف يوم القيامة يشخب فيه ميزابان من نهر الكوثر الذي في الجنة، فكذلك حوض النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الدنيا -وهو علمه وسنته وشرعته ومنهاجه- يصب فيه ويشخب فيه ميزابان اثنان: هما الكتاب والسنة وكلاهما وحي من الله تعالى.

فمن شرب من حوض علمه الصافي في الدنيا، فهو الجدير أن يرد حوضه في الآخرة، ومن ظمأ من سنته في هذه الدنيا ولم يكن له منها شرب، فهو في الآخرة أشد

1- انظر: «تفسير السعدي» (ص 60).

2- قال القرافي في «الفروق» (2/ 271)، باختصار: «يعاقب الله على الذنب بأحد ثلاثة أشياء:

- المؤلمات كالنار.
- تيسير المعصية.
- تفويت الطاعة.

ويثيب سبحانه بأحد ثلاثة أشياء:

- الملذات كما في الجنة.
- تيسير الطاعات.
- تعسير المعاصي».

انظر: «تسليمة المؤمنين بهوان مُصيبة الدنيا عند سلامة الدين»، للمؤلف -عفا الله عنه-.

ظماً وأحر كبداء، والجزاء من جنس العمل.<sup>(1)</sup>

ساق هذا المعنى الإمام ابن القيم في «النونية»، بقوله رَحْمَةُ اللَّهِ:

ورأيت حوض الكوثر الصافي      لا زال يشخب فيه ميزابان  
میزابٌ سُنته وقولِ إلهه      وهما مدى الأيام لا ينيان  
والناس لا يردونه إلا من الآ      لاف أفراداً ذوي إيمان

فكان مناسباً أن يبدأ الناظم رَحْمَةُ اللَّهِ ببيان مصدر التلقي، حتى يبين أن هذه العقيدة

التي سيأتي بيانها منبعضها من الكتاب والسنة.

قال رَحْمَةُ اللَّهِ: (تَمَسَّكَ بِحَبْلِ اللَّهِ)، أي: يا أيها المسلم السني المتبع لطريقة السلف

الصالح<sup>(2)</sup>، اعتصم وتعلق (بِحَبْلِ اللَّهِ)، كما قال تعالى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا

وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: 103]. وحبل الله جل وعلا فُسرَّ بتفسير كثيرة، منها: عهد الله،

والقرآن، ودينه، والإخلاص والتوحيد، والجماعة<sup>(3)</sup>، وغير ذلك مما هو من قبيل

1- انظر: «اجتماع الجيوش الإسلامية» (2/ 85)، لابن القيم، و«شرح النونية» (1/ 334)، للهراس.

2- قال ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (2/ 942): «ليس في الاعتقاد كله في صفات الله وأسمائه إلا ما جاء منصوصاً في كتاب الله أو صح عن رسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أو أجمعت عليه الأمة، وما جاء من أخبار الآحاد في ذلك كله، أو نحوه، يُسَلَّم له، ولا يناظر فيه». انتهى.

ولما عَقِدَ لشيخ الإسلام ابن تيمية مجلس مناظرة حول كتابه «العقيدة الواسطية»، طلبوا منه أن يكتب لهم اعتقاده، فقال لهم رَحْمَةُ اللَّهِ كلمة عظيمة: «ليس الاعتقاد لي ولا لمن هو أكبر مني، بل الاعتقاد يؤخذ عن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَرَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وما أجمع عليه سلف الأمة». «الفتاوى» (3/ 203).

وانظر لهذا: «شرح الطحاوية» (ص 98، 115، 125، 134، 209، 258)، لابن أبي العز الحنفي رَحْمَةُ اللَّهِ.

3- انظر: «تفسير الطبري» (7/ 70).

اختلاف التنوع لا التضاد.

والمراد بـ **(بجبل الله)** هنا القرآن، بدلالة السياق، لأنه جاء بعده ذكر السنة، فقال: **(واتبع الهدى)**، أي: سنة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومنهاجه.

يقول ابن القيم<sup>(1)</sup>: «وكل طريق لم يصحبها دليل القرآن والسنة فهي من طرق الجحيم والشيطان الرجيم. والعلم ما قام عليه دليل، والنافع منه ما جاء به رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ». انتهى.

ثم قال رَحِمَهُ اللهُ: **(ولا تك بدعيًا لعلك تُفليح)**، فبعد أن نصح القارئ بالإقبال على السنة، حذره من الركون إلى ضدها وهو البدعة.

والشريعة مبنية على النفي والإثبات، ومن ذلك كلمة التوحيد فهي متكونة من شطرين: «لا إله» وهو النفي، و«إلا الله» وهو الإثبات. فكذا، يجب علينا أن نقبل على السنة، وذلك لا يكون إلا برد البدعة، ولهذا قال: **(ولا تك بدعيًا)**، أي: صاحب بدعة، قولاً وعملاً واعتقاداً، نابذاً للكتاب والسنة ومخالفاً لمنهج السلف رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ. وقوله **(ولا تك)**، أي: لا تكن، والنون حذفت تخفيفاً<sup>(2)</sup>، وقوله: **(بدعيًا)**، اسم فاعل

1- «مدارج السالكين» (2/ 174). ونحوه في: «فتاوى ابن تيمية» (6/ 388)، و«الرياض الناضرة» (ص 68)، لابن سعدي.

2- انظر: «لوائح الأنوار» (1/ 170)، للسفاريني رَحِمَهُ اللهُ.

من البدعة، وهي: «ما أُحْدِثَ فِي الدِّينِ مِمَّا لَيْسَ مِنْهُ بِقَصْدِ التَّعَبُّدِ».<sup>(1)</sup>  
 فصاحب البدعة ضال وإن حفظ نصوص الوحيين، لأن العبرة بالاستقامة على  
 السبيل، لا بقوة الاستظهار وكثرة التدليل، ورحم الله الإمام البرهاري رَحِمَهُ اللهُ حين  
 قال<sup>(2)</sup>: «واعلم -رحمك الله- أن العلم ليس بكثرة الرواية والكتب، إنما العالم من اتبع  
 العلم والسنن، وإن كان قليل العلم والكتب، ومن خالف الكتاب والسنة فهو صاحب  
 بدعة، وإن كان كثير العلم والكتب». انتهى.

فمن اتبع الكتاب والسنة، وترك ما ينافيها من الشرك والبدع والمحدثات، فهو  
 الناجي في الدنيا والآخرة، ولهذا قال: **(لَعَلَّكَ تُفْلِحُ)**.

وقوله: **(لَعَلَّكَ)**، تحتمل أمرين:<sup>(3)</sup>

- التحقيق: لأن من تمسك بالكتاب والسنة سيفلح حتماً، بالنظر إلى النوع.
- أو الترجي: بالنظر إلى المعين، إذ لا يمكن الجزم لأحد بتحقيق الفلاح بغير نص.  
 والفلاح هو جماع الخير في الدنيا والآخرة<sup>(4)</sup>، فقلوه: **(لَعَلَّكَ تُفْلِحُ)**، أي: عساك  
 تظفر بكل خير في الدنيا والآخرة.

1- هكذا عرّفها شيخنا صالح بن عبد الله العصيمي -في عدة مواضع-، وهو تعريف مُختصر جامع مانع  
 مأخوذ من حديث عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: «مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ». وانظر: «الاعتصام»  
 (1/ 47)، و«واسع المنة»، للمؤلف.

2- «شرح السنة» (ص 99).

3- انظر: «التحفة السننية» (ص 16)، لعبد الرزاق البدر.

4- انظر: «لوائح الأنوار» (1/ 181).

ثم قال: **(وَدِينُ بَيْتَابِ اللَّهِ)**، أي اجعله دينك الذي تدين الله به قائما على **(كِتَابِ اللَّهِ)**، الذي من تمسك به اهتدى، ومن حاد عنه ضل وغوى، قال تعالى: ﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا﴾ [طه: ١٢٣ - ١٢٤]. قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «تضمن الله لمن قرأ القرآن، واتبع ما فيه أن لا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة»، وروى عنه أنه قال: «من قرأ القرآن واتبع ما فيه عصمه الله من الضلالة، ووقاه من هول يوم القيامة»<sup>(1)</sup>.

وفي قول الناظم: **(وَدِينُ بَيْتَابِ اللَّهِ)**، إشارة إلى أن كتاب الله متواتر قطعي الثبوت، ولا يختلف فيه المسلمون، ولهذا اكتفى بقوله: **(وَدِينُ بَيْتَابِ اللَّهِ)**.

ثم لما ذكر السنة، قال: **(وَالسُّنَنِ الَّتِي أَتَتْ عَنِ رَسُولِ اللَّهِ)**، السنن: جمع سنة، والمقصود بها: ما نقل عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من قوله وفعله وتقريره. وفي قوله: **(أَتَتْ عَنِ رَسُولِ اللَّهِ)** إشارة إلى أن العقيدة تُؤخذ من السنة الصحيحة، آحادا كانت أو متواترة، لأن الكتاب تكفل الله بحفظه فلا يُزاد فيه شيء، بل لو زيد فيه حرف لعرفه صبيان المسلمين، أما السنة فقد زيد فيها ما زيد، وإن كانت داخلية في النهاية في جملة قول الله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].

قال العلامة عبد الرحمن المعلمي رَحِمَهُ اللَّهُ<sup>(2)</sup>: «فأما السنة فقد تكفل الله بحفظها أيضا، لأن تكفله بحفظ القرآن يستلزم تكفله بحفظ بيانه وهو السنة، وحفظ لسانه

1- انظر: «تفسير الطبري» (18/389).

2- «الأنوار الكاشفة» (ص 33، 44)، نقلا عن كتاب «معركة التوحيد والشرك»، للمؤلف.

وهو العربية، إذ المقصود بقاء الحجة قائمة والهداية باقية بحيث ينالها من يطلبها». انتهى.

قلت: ولهذا نادى الشيخ ناصر الدين الألباني رَحْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى -بما لا يخفى على طلاب العلم- بالتصفية والتربية، وقصده بالتصفية: تنقية الدين مما أُلصق به من شوائب الشركيات والبدع وسائر المخالفات، وأيضا من الأحاديث الضعيفة والموضوعة، التي أسهمت في إضلال فئام من الناس.

وأما التربية، فقصده بها: تربية المسلمين على هذا الدين الصافي قولا وعملا واعتقادا، ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ﴾ <sup>(٤)</sup> بِنَصْرِ اللَّهِ ﴿[الروم: ٤ - ٥].

وقد أصل هذا العلامة محمد الخضر حسين رَحْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى في «رسائل الإصلاح»<sup>(١)</sup> ضمن محاضرة قيّمة، فيها حكّم رائعات، وعِظَات بِالْغَات، عنوانها: «الانحراف عن الدين: علله، آثاره، دواؤه».

وكان مما قال فيها رَحْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى: «وفريق من أبنائنا غير قليل لا يتعرفون الإسلام من وجهه الصحيح، وإنما ينتزعون صورته من مظاهر يرون عليها طوائف من المسلمين، ولم تكن هذه المظاهر من الإسلام في كثير ولا قليل».

ثم قال: «فمظاهر البدع والمحدثات من وسائل إضعاف العقيدة في نفوس أبنائنا، ومن أصعب العقبات التي تحول بين المخالفين وبين قبولهم للدين الحق بسهولة».

ثم قال: «ونحن نعلم أن في كثير من المؤلفات أحاديث موضوعة، وقصصاً مزعومة، وآراء لا تستند إلى أصول معقولة، ومن الذي ينكر أن في بعض الكتب أحاديث مصنوعة، وقصصاً مختلفة، وأن في مؤلفات بعض أصحاب الأهواء والمستضعفين في العلم آراء سقيمة، وأقيسة عقيمة؟

كان لهذه الكتب أثر سيء في نفوس بعض نشئنا، وقد اتخذ بعض من خفَّ في العلم وزنهم من هذه الكتب وسيلة إلى الطعن في علماء الإسلام...». إلى آخر ما قال رَحْمَةُ اللَّهِ رَحْمَةً واسعة.

ونحوه قول العلامة الإبراهيمي في مواضع من كلامه، منها قوله رَحْمَةُ اللَّهِ<sup>(1)</sup>: «فالواجب إذن أن نبدأ بمحاربة تلك البدع والخرافات بطرق حكيمة تقرب من أذواق الناس، فإذا ماتت البدع والخرافات وصفت الفطر من ذلك الشوب سهل تلقين العقيدة الصحيحة وتلقنتها النفوس بالقبول». انتهى.

### جزء من تمسك بالكتاب والسنة

ثم ذكر جزء الذي تمسك بالكتاب والسنن الثابتة عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال: (تَنْجُ)، ولكنه لم يبيِّن الأمر الذي ينجو منه السنن بهذه الاستقامة على الوحيين، والجواب أن يقال: إن أهل السنة يُسمَّون بالطائفة المنصورة والفرقة الناجية، ونجاتهم من جهتين:

- الأولى: نجاتهم في الدنيا: من البدع والشبهات والمسالك المنحرفة التي تؤدي إلى الحيرة والضياغ، مع ضيق الصدر، وعدم تيقن القلبطمأنينته<sup>(1)</sup>.
  - والثانية: نجاتهم في الآخرة، وذلك يكون بالنجاة من عذاب الله يوم القيامة.
- قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكَتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نَضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ﴾ [الأعراف: ١٧٠].

ثم قال: (وَتَرْبِحُ)، وهذا يكون بأمرين:

- الأول: الربح في الدنيا: بالاهتداء والثبات على طريق الحق، وهذا أمر عزيز سيبا في زمان الفتنة، وضعف السنة، وتكالب أهل الكفر والأهواء على أهل المنهج الحق.
- والثاني: هو الربح في الآخرة، وذلك بدخول جنة عرضها السموات والأرض،

1- قال البزار (تلميذ شيخ الإسلام) رَحِمَهُ اللهُ: «ولهذا قلَّ أن سمعت أو رأيت معرضا عن الكتاب والسنة، مُقبلا على مقولاتهم (يعني أهل الأهواء)، إلا وقد تزندق أو صار على غير يقين في دينه أو اعتقاده». «الأعلام العلية» (بواسطة «الجامع لسيرة شيخ الإسلام»، ص 755).

أعدّها الله لعباده المتقين، وعلى رأسهم أهل السنة والحديث.<sup>(1)</sup> وعلى هذا، فيكون قوله: **(تنج)** من باب درء المفسد، وقوله: **(تربح)** من باب جلب المصالح، فينجو السني من النار ويفوز بالجنة، وينجو من البدعة ويظفر بالسنة، وينجو من الباطل وينعم بالحق وجزاء أهل الحق. فيكون قوله: **(تنج)** من باب التحلية، وقوله: **(تربح)** من باب التحلية.

وهل يعني هذا ترك سائر الأدلة المعتبرة كالقياس والإجماع وغيرهما؟

الجواب أن يُقال: الأصل هو الكتاب والسنة، وعليهما المعول، وما سواهما من الأدلة الأخرى كالإجماع والقياس وغير ذلك تابع لهما. فالقياس مثلا يكون على شيء معلوم من الكتاب أو السنة، والإجماع كذلك له دليل من الكتاب والسنة، وإن لم نعلمه نجزم بوجوده، مع إيقاننا بأن الإجماع دليل مستقل، وكذلك قول الصحابي حجة على الأصح بشرطه المعروف في كتب الأصول، وهكذا الأمر بالنسبة لباقي الأدلة المختلف فيها...

1- ولهذا لما كتب الإمام ابن القيم كتابه الممتع «حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح» في ذكر الجنة ووصفها، قال في أوله مبينا سبب تأليفه (ص 13): «وكان جُلُّ المقصود منه بشارة أهل السنة بما أعد الله لهم في الجنة، فإنهم المستحقون للبشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة، (...)، فالسنة أجل في صدورهم من أن يقدموا عليها رأيا فقهيا، أو بحثا جدليا، أو خيالا صوفيا، أو تناقضا كلاميا، أو قياسا فلسفيا، أو حكما سياسيا، فمن قدم عليها شيئا من ذلك فباب الصواب عليه مسدود، وهو عن طريق الرشاد مسدود». وقال في آخره (ص 416) بعد أن ذكر عقيدة أهل السنة والجماعة التي حكها حرب صاحب الإمام أحمد، قال رَحِمَهُ اللهُ: «فهذا مذهب المستحقين (من أهل السنة والحديث) لهذه البشرى قولاً وعملاً واعتقاداً». انتهى. ولما فصل نعيم أهل الجنة في آخر «القصيدة النونية»، قال: «فصل: فيما أعد الله تعالى في الجنة لأوليائه المتمسكين بالكتاب والسنة».

## مسألة الكلام

إذا تقرر أن من تمسك بالكتاب والسنة فهو الناجي والرَّابح، وأن من خالف ذلك فهو البدعي الخاسر، علمنا أن الذي عليه أهل الكلام هو البدعة والباطل، لأنَّ المعْرِضَ عن السنة مبتدع ضال، شاء أم أبي، كما أنَّ المعْرِضَ عن التوحيد مُشْرِك ضال، شاء أم أبي<sup>(1)</sup>، قال تعالى: ﴿فَإِنَّ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَأَعْلَمَ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ﴾ [القصص: ٥٠]، وقال سبحانه: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۗ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ﴾ [النجم: ١ - ٢]، ثم بيَّن سبب هذه العِصمة من الضلال الذي هو الجهل بالحق، والغواية التي هي العدول عن الحق بعد معرفته، وأنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عالم بالحق متبع له، فقال: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۗ ۝٢ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٣ - ٤]، ونحوه في قوله تعالى: ﴿فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ ۗ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الزخرف: ٤٣]، فعلمنا بهذا أن من ترك الوحيين ضلَّ وغوى، وفي ظلمات الباطل زاغَ وهوى.

ومن آثار هذا الضلال الركونُ إلى علم الكلام، الذي جرَّ أصحابه إلى بدع كثيرة<sup>(2)</sup>،

1- انظر: «إغاثة اللفهان» (1/ 214).

2- قال ابن عبد البر في «جامع بيان العلم» (2/ 942): «أجمع أهل الفقه والآثار من جميع الأمصار أن أهل الكلام أهل بدع وزيف، ولا يُعدُّون عند الجميع في طبقات الفقهاء، وإنما العلماء أهل الأثر والتفقه فيه، ويتفاضلون فيه بالإتقان والميز والفهم». انتهى.

وأوقعهم في ضلالاتٍ كثيرة، ومن ذلك انحرافهم في باب كلام الله تعالى، كما سيبيته الناظم رَحْمَةُ اللَّهِ، بقوله:

وَقُلْ غَيْرُ مَخْلُوقِ كَلَامِ مَلِيكِنَا      بِذَلِكَ دَانَ الْأَتْقِيَاءُ وَأَفْصَحُوا  
وَلَا تَكُ فِي الْقُرْآنِ بِالْوَقْفِ قَائِلًا      كَمَا قَالَ أَتْبَاعُ لِحْجَمِهِمْ وَأَسْجَحُوا  
وَلَا تَقُلِ الْقُرْآنُ خَلْقُ قِرَائَتِهِ      فَإِنَّ كَلَامَ اللَّهِ بِاللَّفْظِ يُوضَحُ

### مناسبة البدء بمسألة الكلام

ووجه البداية بمسألة الكلام راجع -والله أعلم- إلى أحد أمرين:

- أولهما: أنه لما تكلم عن الكتاب والسنة، ناسب أن يتكلم عن معتقد أهل السنة والجماعة في هذا الكتاب أي القرآن، فذكر مسألة الكلام ومذاهب المخالفين فيها.
- وثانيهما: أن المصنف رَحْمَةُ اللَّهِ تعالى كان في عصر اشتد فيه البلاء من جهة هذه المسألة وهي مسألة كلام الله، وليس بخافٍ ما وقع للإمام أحمد وأصحابه في هذا الأمر.

وقد تكلمت عن ضرر علم الكلام، مع الإشارة لبعض المراجع في الباب في رسالتي: «التحفة التونسية في الإجابة عن الأسئلة العلمية والمنهجية».

ومن أراد الوقوف على رسالة لطيفة في الباب فيها نقول مهمة في خطر علم الكلام على الشريعة، فليقرأ «قصد السبيل إلى ذم الكلام والتأويل»، للعلامة صديق حسن خان القنوجي رَحْمَةُ اللَّهِ.

ولأهمية هذه المسألة، قال من قال من أهل العلم: إن علم الكلام<sup>(1)</sup> سُمِّيَ بهذا لأن من أول المسائل التي خيَضَ فيها ووقع فيها البلاء واشتهر فيها النزاع<sup>(2)</sup> بين أهل السنة وأعدائهم من المعتزلة وغيرهم هي مسألة الكلام<sup>(3)</sup>، وإن كانت ليست هي أول بدعة ظهرت، فإن أول البدع ظهوراً هي بدعة الخوارج<sup>(4)</sup>، كما سيأتي في موضعه بإذن الله تعالى.

قال الناظم رَحِمَهُ اللهُ: **(وَقُلْ غَيْرُ مَخْلُوقٍ كَلَامٌ مَلِكِنَا)**، أي: قل يا صاحب السنة إن كلام الله جل وعلا غير مخلوق. والمليك هو الله، فهو مالك مَلِكٍ مَلِيكٍ، له الملك كله سبحانه، والله جل وعلا قال: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهْرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدٍ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُّقْنَدٍ﴾ [القمر: ٥٤ - ٥٥]، وفي الحديث: «رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَمَلِيكُهُ»<sup>(5)</sup>.

- 
- 1- انظر: سبب تسمية علم الكلام في: «شرح الطحاوية» (ص 126)، و«التوضيحات الجليلة» (2/ 468)، للخميس، و«موسوعة العقيدة» (4/ 2111)، و«مذكرة في مقالات الفرق» (ص 97)، لأبي زيد مكي.
  - 2- انظر لمعرفة النزاع في مسألة كلام الله: «منهاج السنة النبوية» (2/ 363-358)، لابن تيمية، وعنه ابن أبي العزّ في «شرح الطحاوية» (ص 91)، والنونية (ص 40 وما بعدها، فصل: في مجامع طُرُق أهل الأرض واختلافهم في القرآن) لابن القيم ...
  - 3- وإن كان قد رد هذا ابن تيمية في «الفتاوى» (3/ 184)، أثناء مناظرة العقيدة الواسطية، حيث ذكر أنّ المتكلمين كانوا يسمّون بهذا الاسم قبل منازعتهم في مسألة الكلام، وكانوا يقولون عن واصل بن عطاء: إنه متكلم، ويصفونه بالكلام، ولم يكن الناس اختلفوا في مسألة الكلام.
  - 4- انظر: «فتاوى ابن تيمية» (12/ 470)، ومواضع أخرى، و«تفسير ابن كثير» (2/ 10) ...
  - 5- رواه أبو داود (5058)، والترمذي (3392)، وصححه الألباني في «صحيح الكلم الطيب» (22).

فالقرآن غير مخلوق، ولهذا فرّق الله جَلَّ جَلَالُهُ بين الخلق والأمر بقوله: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤]، والقرآن من الأمر لقوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ [الشورى: ٥٢].

قال ابن عيينة: «مَا تَقُولُ هَذِهِ الدُّوَيْبَةُ؟» يَعْنِي بَشْرًا الْمُرِّيْسِيَّ، قَالُوا: يَا أَبَا مُحَمَّدٍ يَزْعُمُ أَنَّ الْقُرْآنَ مَخْلُوقٌ فَقَالَ: «كَذَبَ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾، فَالْخَلْقُ: خَلْقُ اللَّهِ، وَالْأَمْرُ: الْقُرْآنُ». (1)

يقول العلامة ابن عدود رَحِمَهُ اللَّهُ (2):

أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ، الْعَطْفُ دَلٌّ أَنْ لَيْسَ خَلْقًا مَّا مِّنَ الْأَمْرِ نَزَلَ قَالَ: (بِذَلِكَ دَانَ الْأَتْقِيَاءُ وَأَنْفَصَحُوا) أي: بهذا الاعتقاد آمن وصدق وتعبّد (الْأَتْقِيَاءُ) جمع تقي: وهو الذي جعل بينه وبين الله وقاية بامتنال أمره، واجتناب نهيه، وتصديق خبره. ووصف الناظم أهل السنة بأنهم أتقياء، لأنهم اتقوا الشهوة بالصبر، واتقوا الشبهة باليقين، وبالصبر واليقين تُنال الإمامة في الدين.

قال: (وَأَنْفَصَحُوا) أي: صرّحوا وقرروا وأبانوا، بلا مدهانة ولا مجاملة، لأنهم صادقون في هذه العقيدة، يؤمنون بها سرا وعلانية، ليس عندهم ازدواجية، ولا تقلب، بخلاف أهل الأهواء الذي هم مختلفون في الكتاب مخالفون للكتاب، مجانبون للحق

1- «الشريعة» (504/1)، و«خلق أفعال العباد» (ص 103، ضمن «عقائد السلف») للبخاري، وانظر:

«الإبانة عن أصول الديانة» (ص 36)، و«رسالة إلى أهل الثغر» (ص 125)، لأبي الحسن الأشعري.

2- «مجمّل اعتقاد السلف» (ص 21)، وانظر: «النونية» (ص 51) لابن القيم.

والصواب.

يقول العلامة ابن سعدي رَحِمَهُ اللهُ<sup>(1)</sup> في قول الله تعالى: ﴿قُلْ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ [آل عمران: ٨٤]، الآية: «في قوله: (قُلْ) إشارة إلى الإعلان بالعتيدة والصدع بها والدعوة لها، إذ هي أصل الدين وأساسه». انتهى.

1- «تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن» (ص 14).

### المذهب الحق في صفة الكلام لله

وأهل السنة والجماعة يقولون: إن الله جلَّ وعلا يتكلم، وكلامه غير مخلوق، لأن الكلام صفة ذاتية له من حيث النوع، لا تنفك عنه بحالٍ من الأحوال، فإنه لم يزل متكلمًا، وهي صفة فعلية له من حيث الأفراد، فإن الله جلَّ جلاله يتكلم بمشيئته وقدرته<sup>(1)</sup>، فيتكلم بما شاء، متى شاء، كيف شاء، والكلام صفة قائمة به تعالى، فلا تقوم بغيره خلافًا لأهل البدع، وكلامه سبحانه وتعالى مسموعٌ بالأذان حقيقةً من غير توهم، والقرآن كلام الله حقيقةً، لفظًا ومعنى، وكما أن الله ليس كمثله شيء، فكذلك كلامه ليس ككلام خلقه، وصوته تعالى ليس كأصوات خلقه.<sup>(2)</sup>

والأدلة على أن الله يتكلم: أثرية ونظرية<sup>(3)</sup>، أما الأثرية فكثيرة جدًا، منها قول الله تعالى: ﴿وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا﴾ [مريم: ٥٢]، ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾ [الأعراف: ١٤٣]، ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾ [النساء: ١٢٢]، ﴿وَنَادَاهُمَا

1- انظر: «التوضيحات الجليلة» (1/356)، نقلا عن حاشية العدني على «شرح الطحاوية» (ص 214)، لمعرفة الفرق بين قول أهل السنة: (الكلام بمشيئة وقدرة) وبين قول المعتزلة لهذا، إذ الكلمة الواحدة يقوها السني فيعني بها محض الحق، ويقوها البدعي ويعني بها محض الباطل، والاعتبار إنما يكون بطريقة القائل وسيرته ومذهبه، وما يدعو إليه ويناظر عليه، كما قرر ذلك ابن القيم في «مدارج السالكين» (3/481).

2- انظر: «الفتاوى» (12/37)، و«واسع المنة»، للمؤلف.

3- انظر: «الإبانة عن أصول الديانة» (ص 41) لأبي الحسن الأشعري، و«الرد على الجهمية» للدَّارمي (ص 249، ضمن «عقائد السلف»)، و«شرح الطحاوية» (ص 92)، لابن أبي العز، و«مدارج السالكين»

رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنهَكُمَا عَن تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿﴾ [الأعراف: ٢٢]...

وأما النظرية، فهي أن الوصف بالتكلم من أوصاف الكمال، وصدده من أوصاف النقص، قال تعالى على لسان إبراهيم عليه السلام: ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ﴾ [الأنبياء: ٦٣]، فلم يعب إبراهيم أصنامهم وأهتهم التي يعبدون بالعجز عن الكلام إلا وأن إلهه متكلم وقائل، وقال تعالى: ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾ [طه: ٨٩]، فعلم أن نفي رجوع القول ونفي التكلم نقص يستدل به على عدم الوهية العجل، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [طه: ٩٨]، فلا خير في إله لا يتكلم ولا يعلم<sup>(١)</sup>، وقال جل شأنه: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [النحل: ٧٦]، فجعل نفي صفة الكلام موجباً لبطلان الإلهية، وهذا أمر معلوم بالفطر والعقول السليمة والكتب السماوية: أن فاقد صفات الكمال لا يكون إلهًا، ولا مدبرًا، ولا ربًا، بل هو مذموم، معيب ناقص، ليس له الحمد، لا في الأولى، ولا في الآخرة، وإنما الحمد في الأولى والآخرة لمن له صفات الكمال، ونُعتُ الجلال.

١- انظر: «سبيل الرشاد في هدي خير العباد» (2/ 52)، لتقي الدين الهلالي رحمه الله.

### التحذير من مذهب الواقفة في كلام الله

لما بيّن المصنف أن أهل السنة (أفصحوا) عن عقيدتهم في كلام الله، عاب الذين توقفوا في هذا الباب، فقال رَحِمَهُ اللهُ:

**وَلَا تَكُ فِي الْقُرْآنِ بِالْوَقْفِ قَائِلًا كَمَا قَالَ أَتْبَاعُ لِحَمِّ وَأَسْجَحُوا**

أي: يا صاحب السنة لا تتوقف في القرآن، لأن الوقف مسلك الجهمية الذين قالوا: «لا نقول هو مخلوق، ولا غير مخلوق». وفي الحقيقة، الذي يقول هذا لم يعتقد أن كلام الله غير مخلوق، ونعوذ بالله ممن يشك في كلام الرب: إنه غير مخلوق<sup>(1)</sup>، لأن هذه العقيدة لا يشكُّ فيها المؤمن، بل يجزم ويصرح بها، لأنَّ الحقَّ فيها ظاهر كالشمس في رابعة النهار، ولكنه كما قال ابن القيم<sup>(2)</sup>:

فالحقُّ شمسٌ والعيونُ نواظِرُ  
ولكنَّها تخفَى على العُميانِ  
وأنشد الإمام أحمد رَحِمَهُ اللهُ<sup>(3)</sup>:

ولربما جهل الفتى طُرُق الهدى  
والشمسُ بازغةٌ لها أنوارُ  
ولربما انطلت حيلة الجهمية الواقفة في كلام الله على بعض الناس باسم الوسطية، ويقولون: «الدين جاء بالوسطية، والتوقف داخل فيها؟!»، والجواب عن هذا أن يقال: التوقف في القرآن وعدم الجزم بأنه كلام الله وأنه غير مخلوق بل صفة من صفاته ليس من الوسطية في شيء، بل هذا من الانحراف والإلحاد، إذ ليس الوسط هو عدم

1- انظر: (باب: ذكر النهي عن مذاهب الواقفة) من «الشرعية» (1/ 526-531)، للأجري.

2- «النونية» (ص 361).

3- «جامع بيان العلم وفضله» (1/ 782)، لابن عبد البر. وانظر: «شرف أصحاب الحديث» (ص 76).

التصريح بالحق، لا، بل هو الميل مع الحق حيث مال، فإن كان الحق عن اليمين فأنت معه، وإذا كان الحق عن الشمال فأنت معه، وإذا كان الحق في الوسط فأنت معه، لأنَّ المقصود بوسطية أهل السنة أنهم هم العدل الخيار، بين غلو الغالين وجُفُو الجافين، لا أن تجعل لك أنت مكانا للباطل وتضعه في الوسط ثم تنسب هذا لأهل السنة، ولهذا رأينا من الزائغين مَنْ مال عن الشمال وقال: «أنا على الوسطية»، ومن مال عن اليمين وقال: «أنا على الوسطية»، وكل هذا باطل وتلبيس، إذ لا طائفة أسعد بالوسطية من أهل السنة والجماعة، كثر الله سوادهم، ورحم أمواتهم، وحفظ أحياءهم، وجعلنا منهم ظاهرا وباطنا.

نعود لقول الناظم رَحِمَهُ اللهُ:

**وَلَا تَكُ فِي الْقُرْآنِ بِالْوَقْفِ قَائِلًا      كَمَا قَالَ أَتْبَاعُ لِحْجَمِهِمْ وَأَسْجَحُوا**

فالواقفة شر من الجهمية، لأنهم شكوا في الله، واستمالوا بهذا القول العامة، ولبسوا عليهم، بل الوقف زندقة وكفر، كما قال السلف<sup>(1)</sup>، وقال الإمام أحمد لما سئل عنهم: «صنف من الجهمية استتروا بالوقف»<sup>(2)</sup>، وكان أبو داود السجستاني صاحب السنن -

1- انظر: (باب: الإيمان بأن القرآن كلام الله غير مخلوق، خلافا على الطائفة الواقفة التي وقفت وشكت وقالت: لا نقول: مخلوق، ولا: غير مخلوق) من «الإبانة الكبرى» (284/5)، وما بعدها)، لابن بطة رَحِمَهُ اللهُ، و(سياق ما روي في تكفير من وقف في القرآن شاكا فيه أنه غير مخلوق) من «شرح أصول الاعتقاد» (2/357، وما بعدها)، للالكائي رَحِمَهُ اللهُ...

2- انظر: «الإبانة الكبرى» (310/5).

والد المصنف - رحمهما الله تعالى، لا يروي عن من وقع في بدعة الوقف.<sup>(1)</sup>  
ولهذا قال الناظم: (كَمَا قَالَ أَتْبَاعُ لِحَمِّمْ وَأَسْجَحُوا)، ومعنى (أَسْجَحُوا)، أي:  
لانت أنفسهم بهذا القول وسهلت ألفاظهم به<sup>(2)</sup>، وفي نسخة (وَأَسْمَحُوا)، أي سمحت  
أنفسهم بهذا القول، فانقادت له، فتابعته<sup>(3)</sup>، وهو قريب من معنى (أَسْجَحُوا).  
فأهل السنة أفصحوا بالحق، وهؤلاء أسجحوا بالباطل، ففرَّق الناظم بين اللفظين  
لما يُعلم من الفرق بين الطائفتين.

- 
- 1- انظر: مقدمة تحقيق «سنن أبي داود» (1/22، ط. الرسالة)، و(باب: في القرآن، من كتاب السنة) من «السنن» (7/115).
- 2- انظر: «لسان العرب» (2/475)، و«المعجم الوسيط» (1/416).
- 3- انظر: «لسان العرب» (2/489).

## التحذير من مذهب اللَّفْظِيَّةِ والألفاظ المجملة عامة

ثم قال بعدها:

**وَلَا تَقُلِ الْقُرْآنُ خَلْقُ قِرَائَتِهِ فَإِنَّ كَلَامَ اللَّهِ بِاللَّفْظِ يُوضَحُ**

بعد أن ردَّ الناظم على الجهمية القائلين: القرآن مخلوق، ورد على أتباع الجهمية القائلين: نحن نتوقف، فلا نقول: هو مخلوق ولا غير مخلوق، ردَّ في هذا البيت على قوم آخرين استغلوا ألفاظاً ظاهرها الحقُّ وباطنها الباطل المحض، وجعلوا هذا سُلماً لإدخال البدع على المسلمين، فقالوا: «لا نقول القرآن مخلوق، لكن نقول: لفظي بالقرآن مخلوق».

وهذا المذهب أنكره أهل السنة، لأنَّ من القواعد الشرعية: البُعد عن الألفاظ المجملة والمُشْتَبِهَة، إذ هي أصل ضلال بني آدم، لأنَّها حمالة وجوه، وعُرْضَةٌ لِلْمُحِقِّ والمُبْطِلِ، يسهل بها إنفاق الباطل بين الناس، ولا سيما إذا صادفت أذهانا مخبطة، فكيف إذا انضاف إلى ذلك هوى وتعصب؟! (1)

قال شيخ الإسلام<sup>(2)</sup>: «الألفاظ المجملة المتشابهة المشتملة على حق وباطل، في إثباتها إثبات حق وباطل، وفي نفيها نفي حق وباطل، فيمنع من كلا الإطلاقين، بخلاف النصوص الإلهية فإنها فرقان فرق الله بها بين الحق والباطل، ولهذا كان سلف الأمة وأئمتها يجعلون كلام الله ورسوله هو الإمام والفرقان الذي يجب اتباعه، فيثبتون

1- انظر: «مدارج السالكين» (3/157)، و«الصواعق المرسله» (3/927)، و«شرح الطحاوية» (ص 37،

138، 263)، لابن أبي العز... و«تعريف الخلف بمنهج السلف» (ص 97-101، 128-135)، للبريكان.

2- «درء تعارض العقل والنقل» (1/76).

ما أثبتته الله ورسوله، وينفون ما نفاه الله ورسوله، ويجعلون العبارات المحدثثة المجملة المتشابهة ممنوعاً من إطلاقها: نفيًا إثباتاً، لا يطلقون اللفظ ولا ينفونه إلا بعد الاستفسار والتفصيل، فإذا تبين المعني أثبت حقه ونفى باطله، بخلاف كلام الله ورسوله، فإنه حق يجب قبوله، وإن لم يفهم معناه، وكلام غير المعصوم لا يجب قبوله حتى يفهم معناه». انتهى.

ولهذا اشتهر عن الإمام أحمد وغيره من أئمة السنة قولهم في اللفظية<sup>(1)</sup>: «من قال: لفظي بالقرآن مخلوق فهو جهمي، ومن قال: غير مخلوق فهو مبتدع»، لأن هذه الكلمة مجملة ومحملة، فلا تحق حقاً، ولا تبطل باطل، فالنهي عنها هو المتعين. يوضحه قول شيخ الإسلام<sup>(2)</sup>: «اللفظ يراد به فعلُ العبد، وفعل العبد مخلوق، ويراد باللفظ القول الذي يلفظ به الالفاظ، وذلك كلام الله لا كلام القارئ، فمن قال: إنه مخلوق، فقد قال: إن الله لم يتكلم بهذا القرآن، وإن هذا الذي يقرؤه المسلمون ليس هو كلام الله، ومعلوم أن هذا مخالف لما عَلِمَ بالاضطرار من دين الرسول.

وأما صوت العبد فهو مخلوق، إذ كل من بلغ كلام غيره بلفظ ذلك الرجل فإنما بلغ لفظ ذلك الغير لا لفظ نفسه، وهو إنما بلغه بصوت نفسه لا بصوت ذلك الغير، ولهذا

1- انظر: «السنة» (64/1)، لعبد الله، و«صريح السنة» (ص 26)، للطبري، و«شرح السنة» (ص 95)، للبرهاري، و«الشريعة» (535/1)، و«الإبانة الكبرى» (350/5)، و«شرح أصول الاعتقاد» (392/2)، و«فهارس فتاوى ابن تيمية» (701/36).

2- «الفتاوى» (74/12)، باختصار وتصرف). وانظر: «فهارس الفتاوى» (701/36)، تغنيك عن طول بحث في هذه المسألة.

منع الإمام أحمد وغيره من إطلاق النفي والإثبات الذي يقتضي جعل صفات الله مخلوقة، أو جعل صفات العباد ومدادهم غير مخلوق». انتهى.

فالحاصل، أن من قال: «لفظي بالقرآن مخلوق»:

• فإما أن يقصد اللفظ أي حقيقة التلفظ وحركة اللسان والصوت، وهذا مخلوق،

• وإما أن يقصد به الملفوظ أي المقروء، وهذا غير مخلوق، لأنه كلام الله.

وهذه المسألة أي «بدعة اللفظية» لها نظائر في هذا العصر، فكم من مسألة تجبأ تحتها أهل البدع، واستتروا عن العامة بألفاظ مجملة، حتى إذا جاءت الفتن أظهرت ما عندهم، وكشفت عن عقاربهم التي غطّوها بمعسول القول، ومجمل الكلام.

وصدق البربهاري رَحْمَةُ اللَّهِ لَمَّا قَالَ<sup>(1)</sup>: «مثل أصحاب البدع مثل العقارب، يدفنون رؤوسهم وأبدانهم في التراب، ويخرجون أذنابهم فإذا تمكنوا لدغوا، وكذلك أهل البدع، هم مختفون بين الناس فإذا تمكنوا بلغوا ما يريدون». انتهى.

**وَلَا تَقُلِ الْقُرْآنُ خَلْقُ قِرَائِهِ فَإِنَّ كَلَامَ اللَّهِ بِاللَّفْظِ يُوضَحُ**

أي: لا تقل يا صاحب السنة: إن قراءتي أو لفظي بالقرآن مخلوق، لأنه لفظ مجمل لا يليق بأهل السنة الذين يصرحون بعقيدتهم، ويعبرون عنها بالألفاظ الواضحة التي لا لبس فيها، (فإنَّ كَلَامَ اللَّهِ بِاللَّفْظِ يُوضَحُ)، وكلام الله هو اللفظ والمعنى<sup>(2)</sup>، فالمعنى

1- «طبقات الحنابلة» (2/44).

2- انظر: «الفتاوى» (6/533)، (7/132)، وما بعدها.

غير مخلوق، واللفظ غير مخلوق، فإذا قلنا: اللفظ غير مخلوق، رددنا على الكلائية والأشاعرة والماتريدية، لأنهم قالوا: القرآن الذي بين أيدينا ألفاظه مخلوقة، ومعناه النفسي القديم غير مخلوق<sup>(1)</sup>، وإذا قلنا: المعنى غير مخلوق، رددنا على الجهمية والمعتزلة، القائلين صراحة بخلق القرآن، وأن كلامه سبحانه شيء منفصل عنه، تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً.

1- ولهذا صرح الأشاعرة والماتريدية بأنه لا خلاف بينهم وبين المعتزلة في أن القرآن العربي مخلوق، وقالوا: القرآن قرآنان: قرآن بمعنى الكلام النفسي، وهو غير مخلوق، وقرآن بمعنى الكلام اللفظي المركب من الحروف والأصوات، وهو مخلوق.

وقالوا: إن الله يخلق صوتاً فيسمع جبريل كلامه النفسي بذلك الصوت المخلوق، فيحفظه جبريل وينقله إلى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وقرروا -أيضاً- أن القول بخلق القرآن لا يُقال إلا في مقام التعليم! كما صرح به البيجوري في «تحفة المرید شرح جوهرة التوحيد» (ص 82) لما قال: «ومع كون اللفظ الذي نقرؤه حادثاً (أي مخلوقاً) لا يجوز أن يُقال: القرآن حادث إلا في مقام التعليم!؟». انتهى.

وهنا تزداد -يا صاحب السنة- فهما لقول الناظم: (بذلك دان الأتقياء وأفصحوا)، بخلاف غيرهم من أهل البدع! اللهم اهدنا، واهد ضال المسلمين. آمين.

قلت: ولهذا عرّى الإمام السجزي رَحِمَهُ اللهُ في «رسالته إلى أهل زييد في الرد على من أنكر الحرف والصوت» هذه العقيدة الضالة، ويَبِّن أنه لا فرق بين عقيدة القائلين بالكلام النفسي وعقيدة المعتزلة القائلين بخلق القرآن، بل هم أشد تلبيساً منهم.

وانظر للتوسع في هذا الباب ما ذكره د. محمد الخميس في «التوضيحات الجليلة على شرح العقيدة الطحاوية» (1/ 368-404)، فقد أحسن وأجاد، جزاه الله خيراً.

قال ابن القيم<sup>(1)</sup>:

وكذلك القرآن عَيْنُ كَلَامِهِ الْمُرْسُومِ  
هو قول ربي كُلُّهُ لا بَعْضُهُ  
تنزيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَقَوْلُهُ  
لَكِنَّ أَصْوَاتَ الْعِبَادِ وَفَعَلَهُمْ  
فَالصَّوْتُ لِلْقَارِي وَلَكِنَّ الْكَلَامَ

سَمْعٍ مِنْهُ حَقِيقَةٌ بَيِّنَةٌ  
لِفِظٍّ وَمَعْنَى مَا هُمَا خَلْقَانِ  
الْفِظُّ وَالْمَعْنَى بِلَا رَوَّغَانِ  
كَمِدَادِهِمُ وَالرَّقِّ مَخْلُوقَانِ  
مَ كَلَامُ رَبِّ الْعَرْشِ ذِي الْإِحْسَانِ

وكل هذه الطوائف التي ذكرها ابن أبي داود، وهم: المصححون بخلق القرآن، والواقفة، واللفظية، كلهم يعتبرون من الجهمية، حتى قال الإمام أحمد رَحِمَهُ اللهُ<sup>(2)</sup>:  
«أجمع من أدركنا من أهل العلم أن الجهمية افرقت ثلاث فرق:

- فقالت طائفة منهم: القرآن كلام الله مخلوق،
- وقالت طائفة: القرآن كلام الله وسكتت، وهي الواقفة الملعونة،
- وقال بعضهم: ألفاظنا بالقرآن مخلوقة.

فكل هؤلاء جهمية كفار، يستتابون، فإن تابوا وإلا قتلوا، وأجمع من أدركنا من أهل العلم أن من هذه مقالته - إن لم يتب - لم يناكح، ولا يجوز قضاؤه، ولا تؤكل ذبيحته». انتهى.

1- «النونية» (ص 38، ونحوه ص 294).

2- في رسالته إلى مسدد بن مسرهد. انظر: «طبقات الحنابلة» (1/343)، لأبي يعلى.

### خلاصة مذهب أهل السنة في صفة الكلام لله

وفي ختام الكلام على هذه الآيات، أذكرك أيها القارئ بأن معتقد أهل السنة والجماعة في كلام الله: هو أن الله متكلم حقيقة لا مجازاً، والكلام صفة له، قديمة النوع حادثة الآحاد، فالله لم يزل متكلماً، لكنه يتكلم بمشيئته سبحانه، قال تعالى: ﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُّحَدَّثٍ﴾ [الأنبياء: ٢]، أي: جديدٌ تنزيلهً والتكلمُ به، لأنَّ الله تعالى يتكلم بحرف وصوت<sup>(1)</sup>، ويتكلم متى شاء، وكيف شاء، قال جَلَّ جَلَّالُهُ: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾ [الأعراف: ١٤٣]، فالكلام وقع حين جاء موسى لذلك الموضع، وكلام الله صفة ذاتية من جهة وفعلية من جهة أخرى، ذاتية باعتبار أن الله لم يزل متصفاً بها، وفعلية من حيث تجدد أفرادها.

والقرآن بعضُ كلام الله، فإن كلام الله لا حد له، منه كلامه الشرعي ومنه كلامه الكوني. والكلام الكوني كقوله: «كن»، والكلام الشرعي: أمره ونهيه، ككتبه السماوية، وأعظمها القرآن، وهو كلام الله حَقِيقَةً، مُنَزَّلٌ من عنده سبحانه، منه بدأ من الابتداء، أو بدأ من البَدْءِ: أي ظهر، لقوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَنَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء: ١٩٢]، وقوله جَلَّ جَلَّالُهُ: ﴿وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَّلَ﴾ [الإسراء: ١٠٥]، أي القرآن، وفي هذا ردٌّ على الجهميَّة والمعتزلة وغيرهم القائلين بأنَّ كلامَ الله مخلوقٌ مُنْفَصِلٌ عن الله، خُلِقَ في

1- قال الإمام السجزي رَحِمَهُ اللهُ: «فالإجماع منعقد بين العقلاء على كون الكلام حرفاً وصوتاً». انتهى.

«رسالة في الرد على من أنكر الحرف والصوت» (ص 118).

محلّ، ثم بدا من ذلك المحلّ، ولم ينزل من عند الله، وإخبار الله تعالى بأنه مُنزَّل من لدنه يُناقض أن يكون قد بدا من غيره سبحانه، والله يقول: ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ [الزمر: ١]، ويقول: ﴿وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي﴾ [السجدة: ١٣]، ويقول: ﴿وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ﴾ [سبأ: ٦]، في آيات كثيرة...

يَقُولُ ابْنُ الْمُبَارَكِ<sup>(١)</sup>: «مَنْ قَالَ: ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا﴾ [طه: ١٤]، مَخْلُوقٌ فَهُوَ كَافِرٌ، وَلَا يَنْبَغِي لِمَخْلُوقٍ أَنْ يَقُولَ ذَلِكَ»، وَقَالَ أَيضًا:

فَلَا أَقُولُ بِقَوْلِ الْجُهْمِ إِنَّ لَهُ      قَوْلًا يُضَارِعُ قَوْلَ الشَّرِكِ أَحْيَانًا  
وَلَا أَقُولُ تَخَلَّى مِنْ بَرِيَّتِهِ      رَبُّ الْعِبَادِ وَوَلَّى الْأَمْرَ شَيْطَانًا  
مَا قَالَ فِرْعَوْنُ هَذَا فِي مَجْبُرِهِ      فِرْعَوْنُ مُوسَى وَلَا فِرْعَوْنُ هَامَانَ  
ومن العبارات المشتهرة عن السلف قولهم: «الْقُرْآنُ كَلَامُ اللَّهِ، مُنَزَّلٌ غَيْرُ مَخْلُوقٍ، مِنْهُ بَدَأَ، وَإِلَيْهِ يَعُودُ». وقولهم: «وَإِلَيْهِ يَعُودُ»: أي يرجع إليه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، أي يوصف الله به، وقيل: إنَّ المراد بذلك ما ورد من أنَّ من أشرط السَّاعة أن يرفع القرآن من الصِّدور والمصاحف، والمعنيان صحيحان<sup>(٢)</sup>.

1- «خلق أفعال العباد» (ص 91، «عقائد السلف») للبخاري، وانظر: «الردُّ على الزنادقة والجهمية» (ص 55، «عقائد السلف») للإمام أحمد.

2- «التنبيهات اللطيفة» (ص 45) لابن سعدي، و«شرح الواسطية» (ص 272) لابن عثيمين، وأفاض شيخ الإسلام في هذا في كتبه، ومنها: الجزء 12 من «مجموع الفتاوى».

وهذا معتقد أهل السنة والجماعة، وعليه إجماع المسلمين. يقول الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ<sup>(1)</sup>: «وَالْمُنْقُولُ عَنِ السَّلَفِ اتَّفَاقُهُمْ عَلَى أَنَّ الْقُرْآنَ كَلَامُ اللَّهِ غَيْرُ مَخْلُوقٍ، تَلَقَّاهُ جِبْرِيلُ عَنِ اللَّهِ، وَبَلَّغَهُ جِبْرِيلُ إِلَى مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وَبَلَّغَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى أُمَّتِهِ». انتهى

وقد كَفَرَ السَّلَفُ من قال بخلق القرآن، والكلام هنا على النوع، أمَّا المُعَيَّن فلا بد أن تُبَيَّنَ له الحِجَّةُ، فإن أصرَّ بعد ذلك فحينئذٍ يَكْفُرُ ولا شك، لأنَّه ليس كلُّ مَنْ يُطَلِّقُ فِي حَقِّهِمْ لَفْظَ الكُفْرِ إجمالاً، يُطَلِّقُ على التَّعْيِينِ.<sup>(2)</sup>



1- «فتح الباري» (13 / 573).

2- «التوضيحات الجليّة على شرح العقيدة الطحاوية» للخميس (1 / 377)، و«الفتاوى» (12 / 466). وانظر في هذا الموضوع خاصة: «إقامة الحجة والبرهان على كفر من قال بخلق القرآن وتحقيق خروجه من الملة»، لشيخنا الأديب بدر بن علي العتيبي -وفقه الله تعالى-.

## صفة التجلي ورؤية الله يوم القيامة

انتقل الناظم رَحِمَهُ اللهُ إلى مسألة أخرى من مسائل الاعتقاد المهمة وهي رؤية الله. فَإِنَّ اللهَ جَلَّ وَعَلَا لَا يُرَى فِي الدُّنْيَا وَإِنَّمَا يُرَى فِي الآخِرَةِ، وفي الحديث الصحيح لما بَيَّنَّ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الفرقَ بين الدجال الذي يدَّعي الإلهية والله جَلَّ وَعَلَا، قال: «تَعَلَّمُوا أَنَّهُ لَنْ يَرَى أَحَدٌ مِنْكُمْ رَبَّهُ وَعَيْتُكَ حَتَّى يَمُوتَ»<sup>(1)</sup>، فالله جَلَّ وَعَلَا لَا يُرَى إِلَّا يَوْمَ الْقِيَامَةِ<sup>(2)</sup>، ولهذا لما قال موسى: ﴿رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرِنِي وَلَكِنْ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرِنِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَبَعًا﴾ [الأعراف: 143]، فدلَّ على أَنَّ رؤية الله وإن كانت ممكنة إجمالاً<sup>(3)</sup>، إلا أَنَّ الله مَنَعَهَا فِي الدُّنْيَا، وادَّخَرَهَا لِعِبَادِهِ فِي الآخِرَةِ.

1- رواه مسلم (169). وجاء لفظه في غير «الصحيح»: «وَإِنِّكُمْ لَنْ تَرَوْا رَبَّكُمْ حَتَّى تَمُوتُوا». رواه أحمد (22764)، وأبو نعيم في: «الحلية» (5/157)، وجوَّد إسناده الألباني في «ظلال الجنة» (428).

2- أما الرؤية المنامية، فهي حاصلة في الدنيا. قال ابن تيمية: «وقد يرى المؤمن ربَّه في المنام في صور متنوعة على قدر إيمانه ويقينه، فإذا كان إيمانه صحيحاً لم يره إلا في صورة حسنة، وإذا كان في إيمانه نقص رأى ما يشبه إيمانه، ورؤيا المنام لها حكم غير رؤيا الحقيقة في اليقظة، ولها تعبير وتأويل، لما فيها من الأمثال المضروبة للحقائق». انتهى. «الفتاوى» (3/390).

وانظر -إن شئت- مباحث أخرى متعلقة برؤية الله في «موسوعة العقيدة» (13/1328، وما بعدها).

3- قال ابن القيم في «حادي الأرواح» (ص 287)، وعنه شارح «الطحاوية» (ص 109): «فإنه إذا جاز أن يتجلَّى للجبل الذي هو جماد لا ثواب له ولا عقاب عليه، فكيف يمتنع أن يتجلَّى لأنبيائه ورسله وأوليائه في دار كرامته؟!». انتهى.

فبما أن الجبل لم يستطع الاستقرار أمام نور الله، فكذلك الإنسان لا يستطيع تحمل ذلك في الدنيا، وأما في الآخرة فإن الآيات والأحاديث المتواترة وإجماع المسلمين<sup>(1)</sup> دل على رؤية الله جلَّ جلاله، وهي الغاية التي شمرَّ إليها المشمرون، وتنافس فيها المتنافسون، وتسبق إليها المتسابقون، ومثلها فليعمل العالمون، اتفق عليها الأنبياء والمرسلون، وجميع الصحابة والتابعون، وأئمة الإسلام على تتابع القرون، وأنكرها أهل البدع المارقون والجهمية المتهوكون، والفرعونية المعطلون، والباطنية الذين هم من جميع الأديان منسلخون، والرافضة الذين هم بحبائل الشيطان متمسكون، ومن حبل الله منقطعون.<sup>(2)</sup>

ولهذا قال شيخ الإسلام<sup>(3)</sup>: «أطيب ما في الدنيا معرفته، وأطيب ما في الآخرة النظر إليه سبحانه». انتهى.

1- ومن نقل الإجماع على أن المؤمنين يرون الله ﷻ يوم القيامة بأعين وجوههم، أبو الحسن الأشعري رحمه الله في «رسالة إلى أهل الثغر» (ص 134).

قال الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» (13 / 434): «جمع الدارقطني [في كتاب «رؤية الله»] طرق الأحاديث الواردة في رؤية الله تعالى في الآخرة فزادت على العشرين، وتتبعها بن القيم في «حادي الأرواح» فبلغت الثلاثين، وأكثرها جيد، وأسند الدارقطني عن يحيى بن معين قال: عندي سبعة عشر حديثاً في الرؤية صحاح». انتهى.

قلت: ولشيخنا العصيمي تعليق على كتاب «الرؤية» للدارقطني، فليراجعه من طلب الاستزادة في الموضوع.

2- من كلام ابن القيم في: «حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح» (ص 285) باختصار، وعنه شارح «الطحاوية» (ص 109).

3- «الفتاوى» (14 / 163).

قال الناظم رَحِمَهُ اللهُ:

وَقُلْ يَتَجَلَّى اللهُ لِلخَلْقِ جَهْرَةً      كَمَا البَدْرُ لَا يَخْفَى وَرُبُّكَ  
وَلَيْسَ بِمَوْلُودٍ وَلَيْسَ بِوَالِدٍ      وَلَيْسَ لَهُ شِبْهُ تَعَالَى الْمَسْبُوحُ  
وَقَدْ يُنْكِرُ الْجَهْمِيُّ هَذَا وَعِنْدَنَا      بِمِصْدَاقٍ مَا قُلْنَا حَدِيثُ مُصْرَحُ  
رَوَاهُ جَرِيرٌ عَنْ مَقَالِ مُحَمَّدٍ      فَقُلْ مِثْلَ مَا قَدْ قَالَ فِي ذَلِكَ تَنْجَحُ

قوله: (وَقُلْ يَتَجَلَّى اللهُ)، وهذا بيان لصفة التجلي، فإن الله يُرى ويتجلى لخلقه

سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى كَيْفَ يَشَاءُ.

### الخلاف في رؤية الكفار والمنافقين لربهم في عَرَصات القيامة

وقوله: (وَقُلْ يَتَجَلَّى اللهُ لِلخَلْقِ جَهْرَةً)، الـ(أل) في كلمة «الخلق» دخلت على المفرد فتفيد العموم، أي: عموم الخلق، ولكن المصنف لا يريد عموم الناس هنا، فيكون قوله (لِلخَلْقِ) مقصودا به بعض الخلق، لأننا نقطع بأن الكفار محبوبون عن الله، قال جل وعلا: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥]، وحجبهم هنا إنما هو عن رؤية الإنعام والتشريف إجماعا، وأما رؤية الامتحان والتعريف فهذه مما اختلف فيه أهل العلم على ثلاثة أقوال: (1)

أحدها: أن الكفار لا يرون ربهم بحال، لا المظهر للكفر، ولا المسر له وهو المنافق، وهذا قول أكثر العلماء المتأخرين وعليه يدل عموم كلام المتقدمين.

1- انظر: «الفتاوى» (6/ 487)، و«حادي الأرواح» (ص 288)، وعنه شارح الطحاوية (ص 116).

الثاني: أنه يراه من أظهر التوحيد من مؤمني هذه الأمة ومنافقيها<sup>(1)</sup>، وبقايا من أهل الكتاب<sup>(2)</sup>، وذلك في عرصة القيامة، ثم يحتجب عن المنافقين فلا يرونه بعد ذلك، وهذا قول أبي بكر بن خزيمة.<sup>(3)</sup>

الثالث: أن الكفار يرونه رؤية تعريف وتعذيب، كاللص إذا رأى السلطان، ثم يحتجب عنهم ليعظم عذابهم ويشتد عقابهم، وهذا قول أبي الحسن بن سالم وأصحابه وقول غيرهم.

والأقرب - والله أعلم - أن تُقسم الرؤية إلى نوعين:<sup>(4)</sup>

• الأولى: رؤية إنعام وتشريف، وهذه خالصة للمؤمنين، لا يشركهم فيها

1- وفي حديث الرؤية: «وَتَبَقِيَ هَذِهِ الْأُمَّةُ فِيهَا مُنَافِقُوهَا، فَيَأْتِيهِمُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي صُورَةٍ غَيْرِ صُورَتِهِ الَّتِي يَعْرِفُونَ، فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ: نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْكَ، هَذَا مَكَانُنَا حَتَّى يَأْتِينَا رَبُّنَا، فَإِذَا جَاءَ رَبُّنَا عَرَفْنَاهُ، فَيَأْتِيهِمُ اللَّهُ تَعَالَى فِي صُورَتِهِ الَّتِي يَعْرِفُونَ، فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ: أَنْتَ رَبُّنَا فَيَتَّبِعُونَهُ». رواه البخاري (7437)، ومسلم (182)، واللفظ له.

2- في بعض روايات البخاري (7439) لحديث الرؤية: «يُنَادِي مُنَادٍ: لِيَذْهَبَ كُلُّ قَوْمٍ إِلَى مَا كَانُوا يَعْبُدُونَ، فَيَذْهَبُ أَصْحَابُ الصَّلِيبِ مَعَ صَلْبِيهِمْ، وَأَصْحَابُ الْأَوْثَانِ مَعَ أَوْثَانِهِمْ، وَأَصْحَابُ كُلِّ آلِهَةٍ مَعَ آلِهَتِهِمْ، حَتَّى يَبْقَى مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ، مِنْ بَرٍّ أَوْ فَاجِرٍ، وَغُيَّبَتْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ». أي: بقايا من أهل الكتاب. انظر: «النهاية» (3/337، غبر)، لابن الأثير.

3- انظر: «كتاب التوحيد» (2/420)، قال رحمه الله: «باب ذكر البيان أن جميع أمة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ برهم وفاجرهم، مؤمنهم ومنافقهم، وبعض أهل الكتاب يرون الله ﷻ يوم القيامة، يراه بعضهم رؤية امتحان، لا رؤية سرور وفرح، وتلذذ بالنظر في وجه ربهم ﷻ ذي الجلال والإكرام، وهذه الرؤية: قبل أن يوضع الجسر بين ظهري جهنم، ويخص الله ﷻ أهل ولايته من المؤمنين بالنظر إلى وجهه، نظر فرح وسرور وتلذذ».

4- من إفادات شيخنا صالح بن عبد الله العصيمي لفظاً، وهي في «معارج القبول» (1/333).

غيرهم من الكفار والمنافقين.

• والثانية: رؤية امتحان وتكليف، وهذه تكون للمؤمنين ولغيرهم.

ولنعد إلى قول الناظم: (وَقُلْ يَتَجَلَّى اللَّهُ لِلْخَلْقِ جَهْرَةً)، أي: بأمر واضح بينٍ جَهْرًا، (كَمَا الْبَدْرُ لَا يَخْفَى وَرَبُّكَ أَوْضَحُ)، فشبّه الرؤية بالرؤية، في وضوحها وعدم التباسها، كما في الحديث الذي سيأتي.

وقوله: (وَرَبُّكَ أَوْضَحُ) أي: أنّ رؤية المؤمنين لربهم أوضح من رؤيتهم للبدر، فإن البدر إذا رأيناه لا نشك فيه، وكذلك رؤية الله جل وعلا، بل ستكون أوضح وأعظم وأبعد عن كل شك.

## ليس لله مثل

ثم قال رَحْمَةُ اللَّهِ:

**وَلَيْسَ بِمَوْلُودٍ وَلَيْسَ بِوَالِدٍ      وَلَيْسَ لَهُ شِبْهُ تَعَالَى الْمَسْبُوحِ**

في هذا البيت تنزيه لله سبحانه، وأنه غير مماثل لخلقه، وهذا البيت ربما استشكله طالب العلم، وظنه مدرجا وسط الكلام عن الرؤية، والجواب كما قال السفاريني رَحْمَةُ اللَّهِ<sup>(1)</sup>: «ولما كان ربما توهم متوهم من لازم التجلي والانكشاف والرؤية الجسمية بالقياس على ما هو معاين من المخلوقين قياسا للغائب على الشاهد دفع ذلك الوهم بقوله: (وليس) الله تبارك وتعالى (بمولود) ولده والد (وليس) هو تقدس وتعالى (بوالد) لشيء من المولودات ولا الملائكة ولا عيسى بن مريم، ولا العزير عليه السلام، ولا غيرهم (وليس له) سبحانه (شبهه) لا في ذاته المقدسة، ولا في صفاته المنزهة، ولا في أفعاله سبحانه، (تعالى)، ارتفع قدره وتقدس<sup>(2)</sup> (المسبح) أي المنزه عن أن يكون والدا لشيء أو مولودا في شيء، أو شبيها لشيء، فإنه سبحانه وتعالى ليس له شبيه، لا في ذاته ولا في صفاته، ولا في أفعاله<sup>(3)</sup>». انتهى.

1- «لوائح الأنوار السننية» (1/ 276).

2- في ذاته وأسمائه وصفاته، سبحانه.

3- وما أجمل قول عمرو بن عثمان المكي في كتابه الذي سماه «التعريف بأحوال العباد والمتعبدين»: «واعلم رحمك الله تعالى أن كل ما وهمه قلبك، أو سنع في مجاري فكرك، أو خطر في معارضات قلبك من حسن أو بهاء، أو ضياء أو إشراق، أو جمال، أو شبح مائل، أو شخص متمثل: فالله تعالى بغير ذلك، بل هو تعالى أعظم

وقول الناظم: **(وَلَيْسَ لَهُ شِبْهُ تَعَالَى الْمَسْبُوحِ)**، قريب من قول الإمام المزي رَحْمَهُ اللهُ: «جَلَّتْ صِفَاتُهُ عَنْ شَبِّهِ صِفَاتِ الْمَخْلُوقِينَ»<sup>(1)</sup>، فَإِنَّ اللهَ جَلَّ وَعَلَا لَا مِثْلَ لَهُ، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، وَلَا سَمِيَّ لَهُ، ﴿هَلْ تَعَلَّمَ لَهُ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥]، قَالَ ابن عباس: «أَي: هَلْ تَعَلَّمَ لِلرَّبِّ مِثْلًا أَوْ شَبِيهَا»، وَلَا نِدَّ لَهُ، ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢]، قَالَ أَبُو الْعَالِيَةِ: «أَي: عُدْلَاءَ شُرَكَاءَ»، وَلَا كُفَاءَ لَهُ، ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ٤]، أَي: لَمْ يَكُنْ لَهُ شَبِيهُ وَلَا عِدْل.

قال أبو الحسن الأشعري<sup>(2)</sup>: «وَأَجْمَعُوا أَنْ صِفَتَهُ وَعَيْكَ لَا تَشْبَهُ صِفَاتِ الْمُحَدِّثِينَ، كَمَا أَنْ نَفْسَهُ لَا تَشْبَهُ أَنْفُسِ الْمَخْلُوقِينَ». انتهى.

=  
وأجل وأكبر... أولم تعلم أنه تعالى لما تجلَّى للجبل تدكدك لعظم هيئته، وشامخ سلطانه، فكما لا يتجلى لشيء إلا أندك، كذلك لا توهمه أحد إلا هلك...». انتهى نقلا عن «الفتوى الحموية الكبرى» (ص 361-363).  
وفي هذا يقول أبو الوفاء ابن عقيل في «الفنون»: «أَتَطْمَعُ أَنْ تَكْشِفَ حِجَابًا أَرْخَاهُ؟ أَوْ تَقِفَ عَلَى سِرِّ عَطَاهُ؟ عِلْمٌ قَصْرُهُ خَالِقُهُ عَنْ دَرْكِ بَعْضِ مَخْلُوقَاتِهِ الَّتِي فِيكَ تُرِيدُ أَنْ تَطَّلِعَ بِهِ عَلَى كُنْهِ بَارِيكَ، وَاللَّهُ إِنَّ مَوْتَكَ أَحْسَنُ مِنْ حَيَاتِكَ». وقال أيضا: «وَاعْجَبًا! يَخْتَلِفُ النَّاسُ فِي مَا هِيَ الْعَقْلُ وَلَا يَدْرُونَ، فَكَيْفَ يُقَدِّمُونَ عَلَى الْكَلَامِ فِي خَالِقِ الْعَقْلِ». إلى آخر ما قال رَحْمَهُ اللهُ تَعَالَى. انظر: «الآداب الشرعية» (1/ 272-273)، لابن مفلح.  
ونظيره قول ابن تيمية في «الحموية» (ص 523): «فَإِذَا كَانَ نَعِيمُ الْجَنَّةِ - وَهُوَ خَلْقٌ مِنْ مَخْلُوقَاتِ اللَّهِ - كَذَلِكَ، فَمَا الظن بالخالق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى». انتهى

1- انظر: «واسع المنة بالتعليق على شرح السنة» للمؤلف.

2- انظر: «رسالة إلى أهل الثغر» (ص 119، 122).

والذي ينبغي أتباعاً لنصوص الشرع نفياً المثل والكُفء والنَّد والسَّمي، وأما نفى التشبيه فلم يرد في الكتاب والسنة، وذلك أنه ما من شيئين إلا ويشتهان من وجه ويفترقان من وجه، وأهل السنة إذا قالوا: «من غير تشبيه»، فإنهم يريدون بالتشبيه التمثيل.<sup>(1)</sup>

### الجهمية وأتباعهم ينكرون رؤية الله

ثم قال الناظم: **(وقد يُنكرُ الجهميُّ هذا)**، والإشارة في **(هذا)** تعود على ما قبلها، أي هذه الرؤية، فإن الجهمي يزعم أن الله لا يرى، كما يزعم أن الله لا يُحب ولا يُحب، فخلت قلوبهم من محبة الله، وحقيق بهم أن يُجرموا من رؤية الله، جَلَّ جَلَالُهُ.

و**(الجهميُّ)** هنا لقب يدخل فيه أهل البدع الذين أنكروا رؤية الله، من الجهمية والمعتزلة وغيرهم<sup>(2)</sup>، **(وعندنا)** أي أهل السنة، **(بمِصداقٍ ما قلنا حديثٌ مُصرِّحٌ)**، وفي هذا تأكيد لما قرره الناظم في أول نظمه من الاهتمام بمصادر التلقي، فكل ما يقرره

1- انظر: «الفتاوى» (3/ 166)، و«التدمرية» (ص 116)، و«القول المفيد» (2/ 80)، لابن عثيمين.

2- وهنا تنبيه بخصوص مذهب الأشاعرة والماتردية في باب الرؤية، فإنهم في الظاهر يشبّهون رؤية الله جَلَّ وَعَلَا يوم القيامة، ولكن عند التدقيق يظهر أن مذهبهم مكسبٌ بالحق وهو باطل، لأنهم أحبوا نصرّة مذهب أهل السنة والحديث مع إبقاء ما عندهم من البدع السابقة كإنكار علو الله تعالى بذاته على خلقه، فجمعوا بين مُتناقضين، وقالوا: إن الله يُرى لا إلى جهة لا أمام الرائي ولا خلفه، ولا عن يمينه ولا عن شماله، ولا فوقه ولا تحته، فجعلوا الرؤية من قبيل المُستحيلات في عالم العقلاء، وأتوا بعقيدة لا يُقرُّها عقلٌ صريح، ولا نقلٌ ضعيفٌ فضلاً عن الثابت الصحيح، ولا يُقرُّها أيضاً لا لغة ولا عرف، فخالقوا إجماع أهل السنة، وإجماع أهل البدعة. انظر: «التوضيحات الجلية على شرح العقيدة الطحاوية» (1/ 430-441)، فيه تحرير مختصر مفيد لمذهب الأشاعرة والماتردية في هذا الباب، مع النقل من كتبهم المعتمدة.

أهل السنة لهم فيه دليل، لأنهم ظاهرون بالحجة والبرهان في كل زمان، بخلاف ظهورهم بالسيف والسنان، فإنه كائن في بعض الأزمان دون بعض.

يقول ابن أبي العز رَحِمَهُ اللهُ في معرض كلامه عن مسألة الرؤية والرد على المخالفين فيها<sup>(1)</sup>: «وكيف يتكلم في أصول الدين من لا يتلقاه من الكتاب والسنة، وإنما يتلقاه من قول فلان؟! وإذا زعم أنه يأخذه من كتاب الله لا يتلقى تفسير كتاب الله من أحاديث الرسول، ولا ينظر فيها، ولا فيما قاله الصحابة والتابعون لهم بإحسان... ومن لا يسلك سبيلهم فإنما يتكلم برأيه، ومن يتكلم برأيه وما يظنه دين الله ولم يتلق ذلك من الكتاب والسنة فهو مأثوم وإن أصاب، ومن أخذ من الكتاب والسنة فهو مأجور وإن أخطأ، لكن إن أصاب يضاعف أجره». انتهى مختصراً.

1- «شرح الطحاوية» (ص 115).

### الأدلة على رؤية الله سبحانه

قال الناظم مدلاً على قوله الحق في الرؤية، ورادا على الجهمية باطلهم: **(وعندنا بمصدق)** أي تصديقاً لما قلنا، **(حديث مصرح)**، وجاء في بعض النسخ **(مصحح)**، وكلاهما صحيح، فهو حديث صحيح سنداً وروايةً، صريح متناً ودرايةً، فلا يشك فيه إلا ظالم، وإلا فهو واضح بين، وهذا الحديث **(رواه جرير)**، أي: جرير بن عبد الله البجلي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ<sup>(1)</sup> الذي روى حديث الرؤية، **(عن مقال محمد)** أي: يرويه عن النبي محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فهو حديث مرفوع.

**(و جرير)**: هو الصحابي الشهير جرير بن عبد الله بن جابر البجلي، يكنى أبا عمرو، وقيل أبا عبد الله. اختلف في وقت إسلامه، وكان جميلاً، حتى قال عمر: هو يوسف هذه الأمة، وقدمه عمر في حروب العراق على جميع بجيلة، وكان لهم أثر عظيم في فتح القادسية، ومات رَضِيَ اللهُ عَنْهُ سنة إحدى وأربع وخمسين.

وفي «الصحيحين»<sup>(2)</sup> أنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعثه إلى ذي الخَلَصَة فهدمها، وفيها أيضاً<sup>(3)</sup> عنه قال: «مَا حَجَبَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْذُ أُسَلِّمْتُ، وَلَا رَأَيْتُ إِلَّا تَبَسَّمَ فِي وَجْهِ»، ودعا له صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقوله: «اللَّهُمَّ ثَبِّتْهُ وَاجْعَلْهُ هَادِيًا مَهْدِيًا».

ثم قال: **(فقل مثل ما قد قال في ذلك)**، أي: اقتف أثر جرير بن عبد الله رَضِيَ اللهُ عَنْهُ

1- انظر: «الاستيعاب» (1/ 236)، لابن عبد البر، و«الإصابة» (1/ 581)، لابن حجر.

2- البخاري (3823)، ومسلم (2476).

3- البخاري (3822)، ومسلم (2475).

الذي نقل هذا عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، (تَنْجِحُ)، والنجاح ضده الفشل، وهو الفوز وضده الخسران، فمن تمسك بهذا الأثر واعتقد معناه فإنه بلا شك ناجح رابح. وحديث جرير رَضِيَ اللهُ عَنْهُ هو قوله: كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذْ نَظَرَ إِلَى الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، فَقَالَ: «أَمَّا إِنَّكُمْ سَتَرُونَ رَبِّكُمْ كَمَا تَرُونَ هَذَا الْقَمَرَ، لَا تُضَامُونَ فِي رُؤْيَيْهِ، فَإِنْ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لَا تُغْلَبُوا عَلَى صَلَاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ، وَقَبْلَ غُرُوبِهَا» - يَعْنِي الْعَصْرَ وَالْفَجْرَ -، ثُمَّ قَرَأَ جَرِيرٌ ﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ﴾ [طه: 130].<sup>(1)</sup>

ومعنى: «لَا تُضَامُونَ»: بالتشديد، أي: لا تجتمعون لرؤيته في جهة، ولا يَنْضَمُّ بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ (لوضوح الرؤية)، وفي روايات أخرى في «الصحيح»: «هَلْ تُضَارُونَ»: من الضَّرر، أي لا يضر بعضكم بعضاً بمنازعة أو جدال أو بحجب عن الرؤية، أو حين تتضارون بالتزاحم للتأكد من الرؤية؛ وروي: «هَلْ تُضَامُونَ»: من الضَّيْم، وهو الظلم، فلا تُظلمون فيه برؤية بعضكم دون بعض؛ وروي: «هَلْ تُضَاهُونَ»: أي لا يشتبه عليكم ولا ترتابون فيه فيعارض بعضكم بعضاً.<sup>(2)</sup>

1- رواه البخاري (554، 573، 4851، 7434)، ومسلم (633)، بألفاظ متعددة.

2- انظر: «فتح الباري» (ط. دار السلام) (11/543-544، 13/526، مع تعليق الشبل عليه، و«الفتاوى»

وفي نظم أحمد بن مشرف الأحسائي لمقدمة «رسالة ابن أبي زيد القيرواني»<sup>(1)</sup>، قوله  
رَحْمَةُ اللَّهِ:

وَجَنَّةُ الْخُلْدِ لَا تَفْنَى وَسَاكِنُهَا      مَخْلَدٌ لَيْسَ يَخْشَى الْمَوْتَ وَالْكَبْرَ  
أَعَدَّهَا اللَّهُ دَارًا لِلْخُلُودِ لِمَنْ      يَخْشَى الْإِلَهَ وَلِلنَّعْمَاءِ قَدْ شَكَرَا  
وَيَنْظُرُونَ إِلَى وَجْهِ الْإِلَهِ بِهَا      كَمَا يَرَى النَّاسُ شَمْسَ الظَّهْرِ  
والصحيح<sup>(2)</sup> عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّاسَ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ  
الْقِيَامَةِ؟ فَقَالَ: «هَلْ تُمَارُونَ فِي الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ لَيْسَ دُونَهُ سَحَابٌ» قَالُوا: لَا يَا رَسُولَ  
اللَّهِ، قَالَ: «فَهَلْ تُمَارُونَ فِي الشَّمْسِ لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ» قَالُوا: لَا، قَالَ: «فَأِنَّكُمْ تَرَوْنَهُ  
كَذَلِكَ»، وهذا تشبيه للرؤية بالرؤية لا للمرئي بالمرئي، فإن الله سبحانه لا سمي ولا  
مثيل ولا كفاء له.

قال حافظ حكيمي رَحْمَةُ اللَّهِ فِي «سَلْمِ الْوَصُولِ»<sup>(3)</sup>:

وَإِنَّهُ يُرَى بِإِلَّا إِنْكَارِ      فِي جَنَّةِ الْفِرْدَوْسِ بِالْأَبْصَارِ  
كُلُّ يَرَاهُ رُؤْيَا الْعِيَانِ      كَمَا أَتَى فِي مُحْكَمِ الْقُرْآنِ  
وَفِي حَدِيثِ سَيِّدِ الْأَنْبِيَاءِ      مِنْ غَيْرِ مَا شَكَّ وَلَا إِيْهَامِ  
رُؤْيَا حَقٍّ لَيْسَ يَمْتَرُونَهَا      كَالشَّمْسِ صَحْوًا لَا سَحَابَ دُونَهَا

1- «عقيدة السلف، مقدمة أبي زيد القيرواني لكتابه الرسالة» (ص 67).

2- البخاري (806) واللفظ له، ومسلم (182).

3- «معارج القبول» (1/305).

قال ابن الأثير رَحِمَهُ اللهُ<sup>(1)</sup>: «قَدْ يُحِيلُ إِلَى بَعْضِ السَّامِعِينَ أَنَّ الْكَافَ كَأَنَّ التَّشْبِيهَ لِلْمَرْتِي، وَإِنَّمَا هِيَ لِلرُّؤْيَةِ، وَهِيَ فِعْلُ الرَّائِي. وَمَعْنَاهُ: أَنَّكُمْ تَرَوْنَ رَبَّكُمْ رُؤْيَةً يَنْزَاحُ مَعَهَا الشَّكُّ، كَرُؤْيَتِكُمُ الْقَمَرَ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، لَا تَرْتَابُونَ فِيهِ وَلَا تَمْتَرُونَ». انتهى

وهذه الأحاديث هي مصداق قوله تعالى: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢]، أي:

حَسَنَةٌ جَمِيلَةٌ مِنَ النِّعِيمِ، وَفِي التَّنْزِيلِ: ﴿وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةٌ وَسُرُورًا﴾ [الإنسان: ١١]، وقوله: ﴿إِلَى

رَبِّهَا نَاطِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٣]، قال الحسن البصري: تنظر إلى الخالق، وحق لها أن تُنْضِرَ وهي

تَنْظُرُ إِلَى الْخَالِقِ<sup>(2)</sup>، ونظيره قوله سبحانه: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾<sup>(٢٢)</sup> عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ<sup>(٢٣)</sup>

تَعْرِفُ فِي وَجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ﴾ [المطففين: ٢٢ - ٢٤]. قال المزني في «شرح السنة»<sup>(3)</sup>:

«فَوُجُوهُهُمْ بِكَرَامَتِهِ نَاضِرَةٌ، وَأَعْيُنُهُمْ بِفَضْلِهِ إِلَيْهِ نَاطِرَةٌ».

اللهم إني أسألك لذة النظر إلى وجهك، والشوق إلى لقائك، في غير ضراء مضرة،

ولا فتنة مضلة، اللهم زينا بزينة الإيمان، واجعلنا هداة مهتدين.<sup>(4)</sup>

1- «النهاية في غريب الحديث» (4/202، كـ).

2- «تفسير الطبري» (72/24).

3- انظر: «واسع المنة بالتعليق على شرح السنة» للمؤلف.

4- هذا جزء من دعاء نبوي عظيم، رواه النسائي (1305) عن عمار بن ياسر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وصححه الألباني في

«تخريج الكلم الطيب» (106)، وانظر: «رؤية الله» (158)، للدارقطني. وقد شرحه الحافظ ابن رجب

رَحِمَهُ اللهُ فِي رِسَالَةٍ مَفْرَدَةٍ، كَمَا فِي «مَجْمُوعِ الرِّسَالِ» (1/151).

## صفة اليدين لله سبحانه

قال الناظم رَحْمَةُ اللَّهِ مواصلاً تقرير عقيدة أهل السنة في صفات الباري سبحانه:

وَقَدْ يُنْكِرُ الْجَهْمِيُّ أَيضًا يَمِينَهُ      وَكَلَّتَا يَدَيْهِ بِالْفَوَاضِلِ تَنْفُحُ  
 وَقُلْ يَنْزِلُ الْجَبَّارُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ      بَلَا كَيْفَ جَلَّ الْوَاحِدُ الْمَتَمَدِّحُ  
 إِلَى طَبَقِ الدُّنْيَا يَمُنُّ بِفَضْلِهِ      فَتُفْرَجُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَتُفْتَحُ  
 يَقُولُ أَلَا مُسْتَغْفِرُ يَلْقَى غَافِرًا      وَمُسْتَمْنَحُ خَيْرًا وَرِزْقًا فِيمُنَحُ  
 رَوَى ذَاكَ قَوْمٌ لَا يُرَدُّ حَدِيثُهُمْ      أَلَا خَابَ قَوْمٌ كَذَّبُوهُمْ وَقَبَّحُوا

قوله: (وَقَدْ يُنْكِرُ الْجَهْمِيُّ أَيضًا) أي مع ما أنكر من كلام الله وتجليه لخلقه يُنكر الجهمي -تابع الجهم بن صفوان من فرق المعتلة- أيضاً (يَمِينُهُ)، أي: يمين الله جل وعلا، (وَكَلَّتَا يَدَيْهِ بِالْفَوَاضِلِ)، جمع فاضلة، وهي النعم الجسيمة، (تَنْفُحُ)، أي تعطي وتتفضل، من النفع والعطاء، وفي بعض النسخ: (تَنْضَحُ)، من النَّضْحِ، وهو الرَّشُّ والسَّقْيُ، والكل بمعنى كثرة العطاء وجزيل المنِّ والكرم<sup>(1)</sup>، كما قال تعالى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ [المائدة: 64]، وفي الصحيحين<sup>(2)</sup>، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَدُ اللَّهِ مَلَأَى لَا يَغِيضُهَا نَفَقَةٌ، سَحَاءٌ<sup>(3)</sup> اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْفَقَ مُنْذُ خَلَقَ السَّمَوَاتِ

1- انظر: «لوائح الأنوار» (1/ 299)، و«التحفة السننية» (ص 43).

2- البخاري (7411)، ومسلم (993).

3- سَحَاءٌ: دأمة العطاء، من «السَّحَّ»، وهو الصب والهطل. انظر: «مشارك الأنوار على صحاح الآثار»

(2/ 209)، للقاضي عياض.

وَالْأَرْضَ، فَإِنَّهُ لَمْ يَغِضْ مَا فِي يَدِهِ، وَقَالَ: عَرَّشُهُ عَلَى الْمَاءِ، وَبِيَدِهِ الْأُخْرَى الْمِيزَانَ، يُخْفِضُ وَيَرْفَعُ».

### الجهمي لا يثبت صفة اليدين لله مكابرة للنصوص والإجماع

فإن الجهمي ينكر صفات الله جل وعلا كما أنكر أسماءه، ومما يُنكر أن الله يدين، والله جل وعلا له يدان، وإن رَغِمَتْ أَنْوْفُ الْجَهْمِيَّةِ وَأَتْبَاعِهِمْ. قال تعالى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾، فله سبحانه يدان، وهما مبسوطتان بالمن والعطاء، ردا لزعم اليهود القائلين: ﴿يَدُ اللَّهِ مَغْلُوبَةٌ﴾ [المائدة: ٦٤].

وههنا أمر يجدر التنبيه عليه، وهو أن الله لم ينكر على اليهود إثبات اليد لله، وإنما أنكر عليهم وصفها بالنقص والعيب<sup>(1)</sup>، وهذا يدل على ثبوتها لله حقيقة، على الوجه اللائق به سبحانه، وهي يد موصوفة بالمن والعطاء.<sup>(2)</sup>

ومن دلائل ذلك أيضا، أن الله لما أمر الملائكة أن يسجدوا لآدم عَلَيْهِ السَّلَامُ فسجدوا إلا إبليس، قال: ﴿مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيْدِيَّ أَتَّكَبَّرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ﴾ [ص: ٧٥]، ولا يصح تأويل من قال: «إن المراد باليد القدرة»، فإن قوله: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِإِيْدِيَّ﴾ لا يصح أن يكون معناه بقدرتي مع تثنية اليد، ولو صح ذلك لقال إبليس:

1- انظر: «موسوعة العقيدة» (6/3210)، ففيها الرد على منكري «صفة اليدين» لله من أحد عشر وجها، مع الإحالة على عدة مراجع في الباب.

2- وهذا يؤكد القاعدة المعروفة وهي أن كل دليل استدلل به المخالف للحق، فهو -إن صح- دليل عليه لا له.

«وأنا أيضا خلقتني بقدرتك؟!»، فلا فضل له علي بذلك. فإبليس -مع كفره- كان أعرف بربه من الجهمية!<sup>(1)</sup>

ولما التقى موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ مع آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ فاحتجًا، فكان من حُجَّة موسى لآدم أنه قال له: «أنت أبونا آدم، خَلَقَكَ اللهُ تَعَالَى بِيَدِهِ، وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ، وَأَمَرَ الْمَلَائِكَةَ فَسَجَدُوا لَكَ؟»<sup>(2)</sup>، فاحتجَّ موسى على آدم بالكرامة التي خَصَّ اللهُ ﷻ بها آدم، بما لم يُخَصَّ غَيْرَهُ بها، مِنْ أَنَّ اللهُ ﷻ خَلَقَهُ بِيَدِهِ، وَأَمَرَ مَلَائِكَتَهُ فَسَجَدُوا لَهُ، فَمَنْ أَنْكَرَ هَذَا فَقَدْ كَفَرَ.<sup>(3)</sup>

وروى أبو بكر الأَجْرِيُّ<sup>(4)</sup> وغيره عن ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، أنه قال: «خلق اللهُ ﷻ أربعة أشياء بيده: آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ، والعرش، والقلم، وجنات عدن، ثم قال لسائر الخلق: كُنْ، فكان».

قال الإمام ابن خزيمة رَحِمَهُ اللهُ: «باب ذكر إثبات اليد للخالق البارئ، والبيان أن الله تعالى له يدان كما أعلمنا في محكم تنزيله...»، ثم استدل على ذلك من السنة بقوله: «باب ذكر البيان من سنة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على إثبات يد الله جل وعلا، موافقا لما تلونا من تنزيل ربنا لا مخالفًا، قد نزه الله نبيه، وأعلى درجته، ورفع قدره عن أن يقول

1- «شرح الطحاوية» (ص 137)، لابن أبي العز. وانظر: «الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة» (2/ 276)، لقوام السنة الأصهباني.

2- رواه البخاري (3341) ومسلم (495) بلفظ مقارب، وانظر: «السلسلة الصحيحة»: (909).

3- انظر: «الشرعية» (3/ 1178)، باختصار وتصرف.

4- «الشرعية» (3/ 1182).

إلا ما هو موافق لما أنزل الله عليه من وحيه»<sup>(1)</sup>.  
وقد دَلَّ الإجماع أيضا على أَنَّ لله يدين حَقِيقَتَيْنِ تَلِيقَانِ بجلاله وعظمته سبحانه،  
كما حكاه الإمام أبو الحسن الأشعري في «رسالة إلى أهل الثغر»<sup>(2)</sup>، قال رَحِمَهُ اللهُ:  
«وأجمعوا على أنه عَلَيْكَ يَسْمَعُ وَيَرَى، وأن له تعالى يدين مبسوطتين». انتهى.

1- «كتاب التوحيد» (1/ 118).

2- (ص 127).

### إثبات اليمين لله سبحانه

وفي قول الناظم هنا: (يَمِينُهُ)، إثبات اليمين لله تعالى، كما جاء مصرحاً به في قوله تعالى: ﴿مَطُورِيَّتُ بِيَمِينِهِ﴾ [الزمر: 67]، وفي قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا تَصَدَّقَ أَحَدٌ بِصَدَقَةٍ مِنْ طَيِّبٍ، وَلَا يَقْبَلُ اللَّهُ إِلَّا الطَّيِّبَ، إِلَّا أَخَذَهَا الرَّحْمَنُ بِيَمِينِهِ، وَإِنْ كَانَتْ تَمْرَةً، فَتَرَبُّو فِي كَفِّ الرَّحْمَنِ حَتَّى تَكُونَ أَعْظَمَ مِنَ الْجَبَلِ، كَمَا يُرَبِّي أَحَدَكُمْ فَلُوَّهُ<sup>(1)</sup> أَوْ فَصِيلَهُ<sup>(2)</sup>».

وجاء التصريح بالشمال في أحاديث أخرى، كقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَطْوِي اللَّهُ عَنَّا السَّمَاوَاتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، ثُمَّ يَأْخُذُهُنَّ بِيَدِهِ الْيُمْنَى، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ، أَيَّنَ الْجَبَّارُونَ؟ أَيَّنَ الْمُتَكَبِّرُونَ. ثُمَّ يَطْوِي الْأَرْضِينَ بِشِمَالِهِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ أَيَّنَ الْجَبَّارُونَ؟ أَيَّنَ الْمُتَكَبِّرُونَ؟»<sup>(3)</sup>.

وجاء في حديث آخر التصريح بأن كلتي يديه يمين، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ الْمُقْسَطِينَ عِنْدَ اللَّهِ عَلَى مَنَابِرٍ مِنْ نُورٍ، عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ عَنَّا، وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ، الَّذِينَ يَعْدِلُونَ فِي حُكْمِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ وَمَا وَلُوا»<sup>(4)</sup>.

والجمع بين هذه الأحاديث أن يُقال: إن يدي الرحمان يمين وشمال من حيث

1- الفلوة: هو المهر الصغير، وقيل: الفطيم من أولاد ذوات الحافر. «النهاية» (3/ 474، فلا).

2- رواه مسلم (1014)، وللبخاري نحوه (7430).

3- رواه مسلم (2788).

4- رواه مسلم (1827).

الحقيقة والاسم، إلا أنها من جهة القوة والعطاء والشرف والكمال كلتاها يمين مباركة، ولكن لما كان الوهم ربما يذهب إلى أن إثبات الشمال يعني النقص في هذه اليد وأنها دون الأخرى، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ»<sup>(1)</sup>.

1- انظر: «فتاوى ابن تيمية» (92 / 17)، و«فتاوى ابن باز» (126 / 25)، و«فتاوى ابن عثيمين» (165 / 1). قال شيخ الإسلام: «قال غير واحد من العلماء: لما كانت صفات المخلوقين متضمنة للنقص فكانت يسار أحدهم ناقصة في القوة ناقصة في الفعل بحيث تفعل بما سارها كل ما يذم - كما يباشر بيده اليسرى النجاسات والأفذار-، بَيَّنَّ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن كلتا يمين الرب مباركة ليس فيها نقص ولا عيب بوجه من الوجوه كما في صفات المخلوقين، مع أن اليمين أفضلهما، كما في حديث آدم قال: «اخترت يمين ربي وكلتا يدي ربي يمين مباركة»، فإنه لا نقص في صفاته ولا ذم في أفعاله، بل أفعاله كلها إما فضل وإما عدل. وفي الصحيحين قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يمين الله ملاءى لا يغيبها نفقة سحاء الليل والنهار أرايتم ما أنفق منذ خلق السموات والأرض فإنه لم يغض ما في يمينه. والقسط بيده الأخرى يرفع ويخفض»، فبين صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن الفضل بيده اليمنى والعدل بيده الأخرى. ومعلوم أنه مع أن كلتا يديه يمين فالفضل أعلى من العدل وهو سبحانه كل رحمة منه فضل وكل نقمة منه عدل ورحمته أفضل من نقمته. ولهذا كان المقسطون على منابر من نور عن يمين الرحمن ولم يكونوا عن يده الأخرى. وجعلهم عن يمين الرحمن تفضيل لهم...». انتهى مختصراً من «الفتاوى» (92-93).

## صفة النزول لله سبحانه

ثم مر الناظم إلى مسألة أخرى وهي إثبات صفة النزول لله سبحانه وتعالى، فقال  
رَحْمَةُ اللَّهِ:

وَقُلْ يَنْزِلُ الْجَبَّارُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ  
إِلَى طَبَقِ الدُّنْيَا يَمُنُّ بِفَضْلِهِ  
يَقُولُ أَلَا مُسْتَغْفِرٌ يَلْقَى غَافِرًا  
رَوَى ذَاكَ قَوْمٌ لَا يُرَدُّ حَدِيثُهُمْ  
بَلَا كَيْفَ جَلَّ الْوَاحِدُ الْمَتَمَدِّحُ  
فَتُفْرَجُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَتُفْتَحُ  
وَمُسْتَمْنَحٌ خَيْرًا وَرِزْقًا فَيُمنَحُ  
أَلَا خَابَ قَوْمٌ كَذَّبُوهُمْ وَقُبِّحُوا

فقوله: (وَقُلْ) يا صاحب السنة بلسانك معتقدا بقلبك (يَنْزِلُ الْجَبَّارُ) سبحانه،  
نزولا حقيقيا يليق بجلاله وعظمته وجبروته، كما تواترت بذلك النصوص الشرعية  
والآثار السلفية، وهذا النزول يكون (فِي كُلِّ لَيْلَةٍ)، ولا يختص بليلة دون أخرى، كما  
سيأتي بيانه في الأحاديث - إن شاء الله تعالى -.

### صفة النزول ثابتة بالسنة المتواترة

يقول العلامة ابن سعدي رَحْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى<sup>(1)</sup>: «وقد تواترت السنة بنزول الرب إلى  
السماء الدنيا، والكتاب قد دلّ على كمال قدرته، وأنه الفعّال لما يريد، وأنه ليس له مثل  
ولا شبيهه، فإذا أخبر المعصوم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بنزوله إلى السماء الدنيا، فما عُذِرَ المؤمن إذا  
لم يعتقد ما أخبر به صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأنه ليس كمثل شيء؟! فهو ينزل كيف يشاء مع  
كمال علوه، فإنَّ علوه من صفاته الذاتية، ونزوله وإتيانه من أفعاله الاختيارية التابعة

(1) - «فتح الرحيم الملك العلام» (ص 55).

لقدرته ومشيبته». انتهى.

ونزوله جَلَّ جَلَالُهُ من أدلة علوه على خلقه سبحانه، قال الإمام ابن عبد البر رَحِمَهُ اللهُ لما تكلم على حديث النزول<sup>(1)</sup>: «فيه دليلٌ على أن الله في السماء على العرش من فوق سبع سماوات، كما قالت الجماعة<sup>(2)</sup>، وهو من حجتهم على المعتزلة في قولهم: إن الله في كل مكان». وقال: «والدليل على صحة قول أهل الحق قول الله»، وذكر بعض الآيات، إلى أن قال: «وهذا أشهر وأعرف عند العامة والخاصة من أن يحتاج إلى أكثر من حكايته، لأنه اضطرارٌ لم يوقفهم عليه أحدٌ، ولا أنكره عليهم مسلم». انتهى.

### مناسبة ذكر اسم الله «الجبار» عند الكلام على النزول الإلهي

و(الجَبَّارُ) من أسماء الله الحسنى، ولهذا الاسم أربعة معانٍ<sup>(3)</sup> كلها داخلية في اسمه

الجبار:

المعنى الأول: هو جبره لكل ضعيف، وكل قلب منكسر لأجله، فيجبر الكسير، ويغني الفقير، وييسر على المعسر كل عسير، ويجبر المصاب بتوفيقه للثبات، والصبر، ويعيظه على مصابه أعظم الأجر، فحقيقة هذا الجبر هو إصلاح حال العبد بتخليصه من شدته ودفع المكاره عنه. ويجبر جبراً خاصاً قلوب الخاضعين لعظمته وجلاله،

1- «التمهيد» (7/ 128-159).

2- قال أبو الحسن الأشعري رَحِمَهُ اللهُ في «رسالة إلى أهل الثغر» (ص 130): «وأجمعوا على أنه تعالى فوق سماواته على عرشه». انتهى.

3- انظر: «شرح أسماء الله الحسنى» (ص 176)، للسعدي، وعنه الهراس بتصرف في «شرح النونية» (2/ 484).

وقلوب المحيين بما يفيض عليها من أنواع كراماته، وجميل فضائله وهباته.

والمعنى الثاني: أنه القهار لكل شيء، الذي دان له كل شيء، وخضع له كل شيء.

والمعنى الثالث: أنه العلي بذاته فوق جميع خلقه، فلا يستطيع أحد منهم أن يدنو

منه.

والمعنى رابع: هو أنه قد يُراد به المتكبر عن كل سوء، ونقص، وعن مماثلة أحد،

وعن أن يكون له كفؤ أو ضد أو سمي أو شريك في خصائصه، وحقوقه.

فصار الجبار متضمناً لمعنى الرؤوف والقهار والعلي والمتكبر.

قلت: وهذه المعاني الأربعة مناسبة للمعنى الذي قرره الناظم في هذه الأبيات،

وتوضيحه:

● أنَّ النزول الإلهي دال على علوه سبحانه، وهذا موافق للمعنى الثاني وهو علوه بذاته على خلقه.

● وهذا النزول الإلهي لائق بعظمة الله وكبريائه، فلا يماثله فيه أحد، وهذا موافق للمعنى الرابع، بمعنى المتكبر عن كل نقص وعيب.

● وأنَّ هذا النزول من رحمة الله ورأفته بخلقته، إذ يغفر سبحانه وقت نزوله للمستغفرين، ويستجيب بفضله دعاء الداعين، وهذا موافق للمعنى الأول لاسم الجبار.

● كما أن استجابته سبحانه للمؤمنين من آثار قوته وقهره، إذ هو القادر على استماع النجوى، وكشف البلوى، فهو الذي تولى كل شيء بعز جلاله، وقهر كل شيء

بعظمة سلطانه، ﴿وَمَا كَانَتْ أَلَّهُ لِيُعْجِزَهُ. مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ﴾.

كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴿[فاطر: ٤٤]. وهذا داخل في المعنى الثاني لاسم الله الجبار.

ثم قال الناظم رَحْمَةُ اللَّهِ واصفا هذا النزول الإلهي بأنه **(بلا كَيْفَ جَلَّ الْوَاحِدُ**

**الْمَتَمَدِّحُ)**، فالله جل وعلا ينزل في الثلث الآخر من كل ليلة، **(بلا كَيْفَ)**، وليس معنى

هذا: بلا كيف موجود، إذ الشيء الذي لا كيف له لا وجود له، وإنما مقصود الناظم

**(بلا كَيْفَ)** نعلمه فتحدث به، لأنَّ الله ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ

الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، وهكذا سائر أسماء الله وصفاته جل وعلا<sup>(١)</sup>، بل سائر

الغيبات، نشبتها اعتقاداً وإيماناً جازماً، ولكننا نجعل الكيفية، ولهذا أتبعها بقوله: **(جَلَّ**

**الوَاحِدُ)**، أي: عَظُمَ وتقدس وتبارك، **(الوَاحِدُ)** الموصوف بصفات الوحدانية ونعوت

الفردانية، في ذاته وصفاته وأفعاله.

و**(الْمَتَمَدِّحُ)**، أي: الذي يُحِبُّ المدح<sup>(٢)</sup>، وفي الحديث: «لَيْسَ أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ الْمَدْحُ مِنْ

اللَّهِ»<sup>(٣)</sup>، فهو سبحانه يُحِبُّ مَدْحَ عباده وثناءهم عليه، وفي ذلك مصلحة للعباد، لأنهم

إذا أثنوا عليه أثابهم، فينتفعون بذلك، وإلا فهو سبحانه غني عن العالمين، لا ينفعه

مدحهم، ولا يضره تركهم لذلك، تعالى وتبارك وتقدس.<sup>(٤)</sup>

1- لأنَّ عقيدتنا في هذا الباب: «إثبات بلا تمثيل، وتنزيه بلا تعطيل».

2- «لوائح الأنوار» (1/332).

3- رواه البخاري (4634)، ومسلم (2760)، واللفظ له.

4- «شرح النووي على مسلم» (17/77)، بتصرف. وانظر: «فيض القدير» (5/361)، للمناوي.

ثم بين الناظم أن هذا النزول يكون (إلى طبق الدنيا)، أي: إلى السماء الدنيا، التي هي طبق الأرض، لأن الطبق هو غطاء كل شيء، ولا شك أن السماء غطاء للأرض، وكل سماء فهي غطاء لما تحتها، و(الدنيا) أي: القربة إلى الأرض. (1)

وفي هذا النزول (يمن بفضلِهِ)، والمِنَّة: هي النعمة العظيمة، التي يعطيها الله لعباده (بفضله)، أي: بمحض تكريمه وإحسانه سبحانه وتعالى، (فتُفْرَجُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وتُفْتَحُ)، أي: فتكشف وتنشق وتنصدع (أبواب السماء وتُفْتَحُ) لنزول المنح الإلهية منها والرحمة والمغفرة، وصعود العمل والدعاء إليه سبحانه، فيستجيب ويغفر ويعطي ويتفضل، سبحانه وتعالى. (2)

**يَقُولُ أَلَا مُسْتَغْفِرٌ يَلْقَ غَافِرًا** **وَمُسْتَمْنَحٌ خَيْرًا وَرِزْقًا فَيُمنَحُ**  
وهكذا صحت الأخبار، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «يُنزَلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرِ يَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي، فَأَسْتَجِيبَ لَهُ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ» (3).  
وقوله: (أَلَا مُسْتَغْفِرٌ) أي طالب غفران ذنوبه، (يَلْقَى) مجزوم بحذف الألف في

1- «لوائح الأنوار» (1/332).

2- انظر: «لوائح الأنوار» (1/334).

3- رواه البخاري (1145)، ومسلم (758). وانظر سائر الروايات في «كتاب النزول» للدارقطني.

قال العلامة الألباني رحمه الله في «صحيح الترغيب والترهيب» (2/283): «وهو حديث متواتر، وقد روى جملة طيبة منها ابن أبي عاصم في «السنة» (رقم 492 - 502) وخرجتها في «ظلال الجنة»، كما خرجت قسماً كبيراً منها في «إرواء الغليل» (449)».

جواب الطلب، و(غافراً) مفعول لـ(يَلْقَى)، والجملة خبر المبتدأ الذي هو (مُسْتَغْفِرٌ).<sup>(1)</sup>

ومعنى (مُسْتَمْنَحٌ) أي: مستعطي، وطالب (خيراً ورزقاً فيمنحُ).

و«الرِّزْقُ» بالكسر، وهو اسمٌ لنفس الشيء الذي يَرْزُقُ اللهُ به العبد، وأمّا «الرِّزْقُ»

بالفتح، فهو المصدَّرُ، ومعناه: العطاء.<sup>(2)</sup>

وعليه، فيكون الناظم قد جمع في هذا البيت أمرين يحصلان للذين يسألون الله تعالى

في الثلث الآخر من الليل:

- الأمر الأول: غفران الذنوب، اقتباساً من قوله تعالى: «مَنْ يَسْتَغْفِرْ لِي فَأَغْفِرْ لَهُ»، وهذا من باب درء المفاسد.

- والأمر الثاني: منح الفضائل والأرزاق، اقتباساً من قوله تعالى: «مَنْ يَسْأَلْنِي فَأُعْطِيهِ»، وهذا من باب جلب المصالح.

فيحصل بهذا خير عظيم لمن قام واستغفر الله واستمنح الأعطيات في تلك الأوقات، وذلك لأنَّ الليل أخصُّ بالنفحات الإلهية، وتجلّيات الرب سبحانه لعباده، وذلك لخلو القلب وانقطاع الشواغل وسكون الليل، ورهبته أقوى على استحضر القلب وصفائه.<sup>(3)</sup>

1- انظر: «لوائح الأنوار» (1/ 335).

2- انظر: «واسع المنة»، للمؤلف، ففيه فصل في الكلام على الرِّزْقِ وأنواعه.

3- انظر: تنمة الشيخ عطية سالم رَحْمَةُ اللهِ لـ «أضواء البيان» (9/ 38).

ثم قال الناظم رَحْمَةُ اللَّهِ مِينًا صحة أحاديث النزول الإلهي:

**رَوَى ذَاكَ قَوْمٌ لَا يُرَدُّ حَدِيثَهُمْ أَلَا خَابَ قَوْمٌ كَذَّبُوهُمْ وَقَبَّحُوا**

قوله: (رَوَى ذَاكَ)، أي: روى هذه الأحاديث الصحيحة (قَوْمٌ) من أعلام الحديث ومصايح الهدى، (لَا يُرَدُّ حَدِيثَهُمْ)، لا من جهة الأسانيد، فإنها أحاديث متواترة، ولا من جهة المتن، فهي أحاديث صريحة في أن الذي ينزل هو الله حقيقة، على الوجه اللائق به، ليس رحمته ولا ملائكته، فكل هذا تأويلات منكرة، احتوت على معانٍ فاسدة.

قال الإمام ابن عبد البر المالكي في شرح «حديث النزول»<sup>(1)</sup>: «هذا حديث ثابت من جهة النقل، صحيح الإسناد، ولا يختلف أهل الحديث في صحته»<sup>(2)</sup>، وهو منقول من

وقال ابن رجب رَحْمَةُ اللَّهِ فِي «المحجة في سير الدُّلجة» («الرسائل»، 4/ 420): «والإدلاج: سير آخر الليل، والمراد به ها هنا العمل في آخر الليل وهو وقت الاستغفار، كما قَالَ تعالى: ﴿وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ﴾ [آل

عمران: 17]، وقال تعالى: ﴿وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الذاريات: 18].

وهو آخر أوقات النزول الإلهي المتضمن لاستعراض حوائج السائلين، واستغفار المذنبين، وتوبة التائبين، وسط الليل للمحيين للخلوة بحبيبتهم، وآخر الليل للمذنبين يستغفرون من ذنوبهم. من عجز عن مشاركة المحيين في الجري معهم في ذلك المضمار فلا أقل من مشاركة المذنبين في الاعتذار. انتهى.

1- «التمهيد» (7/ 128-159). وانظر: «العلو» (ص 218)، للذهبي، و«معارج القبول» (1/ 301).

2- قال العلامة الألباني رَحْمَةُ اللَّهِ فِي «صحيح الترغيب والترهيب» (2/ 283): «وهو حديث متواتر، وقد روى جملة طيبة منها ابن أبي عاصم في «السنة» (رقم 492-502) وخرجتها في «ظلال الجنة»، كما خرجت قسماً كبيراً منها في «إرواء الغليل» (449)».

وجاء في «التحفة السنية» (ص 52): «والحديث متواتر، نص على ذلك غير واحد من الأئمة منهم: شيخ الإسلام في «شرح حديث النزول»، وابن القيم في «الصواعق المرسلات»، والذهبي في «العلو»، والسيوطي في

طرق سوى هذه، من أخبار العدول عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ». انتهى.

وقال الإمام الأجرى رَحِمَهُ اللهُ<sup>(1)</sup>: «باب الإيمان والتصديق بأن الله ﷻ ينزل إلى سماء الدنيا كل ليلة. قال محمد بن الحسين رَحِمَهُ اللهُ: الإيمان بهذا واجب، ولا يسع المسلم العاقل أن يقول: كيف ينزل؟ ولا يُرد هذا إلا المعتزلة، وأما أهل الحق فيقولون: الإيمان به واجب بلا كيف<sup>(2)</sup>، لأن الأخبار قد صحت عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أن الله ﷻ ينزل إلى السماء الدنيا كل ليلة»، والذين نقلوا إلينا هذه الأخبار هم الذين نقلوا إلينا الأحكام من الحلال والحرام وعلم الصلاة والزكاة والصيام والحج والجهاد، فكما قبل العلماء عنهم ذلك كذلك، قبلوا منهم هذه السنن، وقالوا: من ردها فهو ضال خبيث يجذرونه ويجذرون منه». انتهى.

«الأزهار المتناثرة»، والكتاني [في «نظم المتناثر من الحديث المتواتر»]، وقد ذكر ابن القيم في «الصواعق» أن ثمانية وعشرين صحابياً رووه وذكرهم». انتهى.

1- «الشرعية» (3/ 1126).

2- قال الإمام ابن خزيمة رَحِمَهُ اللهُ في «كتاب التوحيد» (1/ 289): «نشهد شهادة مقر بلسانه، مصدق بقلبه، مستيقن بما في هذه الأخبار من ذكر نزول الرب من غير أن نصف الكيفية، لأن نبينا المصطفى لم يصف لنا كيفية نزول خالقنا إلى سماء الدنيا، أعلمنا أنه ينزل والله جل وعلا لم يترك، ولا نبيه عَلَيْهِ السَّلَامُ بيان ما بالمسلمين الحاجة إليه، من أمر دينهم، فنحن قائلون مصدقون بما في هذه الأخبار من ذكر النزول غير متكلفين القول بصفته أو بصفة الكيفية». انتهى.

## خاب وخسر من كذب بالحق أو صدق بالباطل

ولهذا قال الناظم: (أَلَا خَابَ قَوْمٌ كَذَّبُوهُمْ وَقَبَّحُوا)، أي: خاب وخسر من رد هذه الأحاديث، وخالف طريقة أهل السنة والحديث، ومعنى (خَابَ)، من الحَيْبَةِ وهي فوت الطلب<sup>(1)</sup>، لأن من خالف السنة وعارض الأحاديث فاته الربح وخسر في الدنيا والآخرة، (وَقَبَّحُوا)، من القُبْح وهو ضد الحسن، وهذا دعاء عليهم.

قال العلامة زيد المدخلي رَحِمَهُ اللهُ<sup>(2)</sup>: «فيه دعاء على من كذب من روى هذا الحديث - حديث النزول - الذي تلقته أمة الإسلام بالتصديق والقبول، وتلقاه أهل البدع والضلال بالتأويل الفاسد المرذول، ألا ذُلُّوا وخسروا بما أقدموا عليه من تكذيب أهل الصدق والوفاء ورثة الأنبياء وحَمَلَةَ الشريعة الحنفاء». انتهى.

وفي ختام هذه المسألة، أنقل كلاما حسنا للألباني رَحِمَهُ اللهُ<sup>(3)</sup> حيث قال بعد أن دافع عن «حديث النزول» رواية ودراية: «اعلم أن نزول الرب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا كُلِّ لَيْلَةٍ، هُوَ صِفَةٌ مِنْ صِفَاتِ أَعْمَالِهِ ﷺ، كَاسْتَوَاتِهِ عَلَى عَرْشِهِ، وَمَجِيئِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، الثَّابِتِينَ فِي نصوص القرآن الكريم، يجب الإيِّمان والإذعان له على ما يليق بذاته

1- «المفردات في غريب القرآن» (ص 300)، للراغب الأصفهاني.

2- «نثر الورود على حائية ابن أبي داود» (ص 52).

قال السفاريني في «لوائح الأنوار» (1/ 338): «(قبحوا) أي نسبواهم إلى القبح». فجعل التقييح من فعل أهل البدع الذين أنكروا الحديث وتأولوه. ولكن الذي النسخ المطبوعة هو (قُبَّحُوا)، وعليه أجريت الشرح. والله أعلم بالصواب.

3- «سلسلة الأحاديث الضعيفة» (8/ 362).

تعالى، دون تعطيل أو تشبيه، إذ الصفة يقال فيها ما يقال في ذاته تعالى، فكما أننا نؤمن بذاته دون أن نكيفها، فكذلك نؤمن بصفاته كلها - ومنها النزول وغيره - دون أن نكيفها، فمن نفى نزوله تعالى حقيقة على ما يليق به بطريق التأويل، لزمه أن ينفي وجود ذات الله تعالى بنفس الطريق، وإلا فهو متناقض، كما حققه شيخ الإسلام ابن تيمية في عديد من كتبه مثل «شرح حديث النزول»، و«التدمرية»، و«الحموية»، ونحوها». انتهى.



## عقيدة أهل السنة في الصحابة الكرام

بعد أن تكلم المصنف على شيء من معتقد أهل السنة والجماعة في باب الأسماء والصفات، وذكر بعض الصفات الذاتية والفعلية، كالكلام والتجلي وصفة اليدين والنزول، انتقل إلى مسألة أخرى من مسائل الاعتقاد المهمة، وهي المعتقد الواجب تجاه الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ.

وهذه المنظومة على اختصارها حَوَتْ جُلَّ أصولِ مباحثِ الاعتقاد، وهذا من توفيق الله لصاحبها، فإنَّ مثل هذه النَّبذ -التي قَلَّتْ ألفاظها وجرُتْ معانيها- أولى ما ينبغي أن تُصرف إليه عناية طلاب العلم، «فلذلك صار كلام المتأخرين كثيرا، قليل البركة، بخلاف كلام المتقدمين، فإنه قليل، كثير البركة»، كما قال ابن أبي العز الحنفي رَحِمَهُ اللهُ<sup>(1)</sup>.

وقال ابن رجب الحنبلي رَحِمَهُ اللهُ تعالى<sup>(2)</sup>: «فليس العلم بكثرة الرواية، ولا بكثرة المقال، ولكنه نور يُقذف في القلب يفهم به العبدُ الحق، ويميز به بينه وبين الباطل، ويعبر عن ذلك بعبارات وجيزة محصلة للمقاصد». انتهى.

ومبحث الصحابة ليس له علاقة مباشرة بأصول الإيمان الستة التي تنبني عليها عقيدة أهل السنة والجماعة<sup>(3)</sup>، وهي الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر

1- «شرح الطحاوية» (ص 9).

2- «فضل علم السلف على الخلف» («الرسائل»، 21/3).

3- والمتأمل في الكتب المصنفة في اعتقاد أهل السنة والجماعة، يجد أن المسائل المودعة فيها على أربعة أقسام:

والقدر خيره وشره، ولكن أهل العلم ما كتبوا كتاباً في الاعتقاد إلا ذكروا فيه ما يتعلق بالصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، والسبب في ذلك خلاف النواصب -أي الخوارج- والروافض في هذا الباب، فإنَّ الخوارج قدحوا فيهم، والروافض كفروا جُلَّهم وتبرَّؤوا منهم وفي نفس الوقت علَّوا في بعضهم سيما من آل البيت، فخرجت كل هذه الطوائف عن حد الشريعة إفراطاً وتفریطاً.

قال ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: «كلام الحرورية ضلالة، وكلام الشيعة هلكة».<sup>(1)</sup> ولهذا صار حب الصحابة شعاراً لأهل السنة، تميزوا به عن غيرهم من الفئات الضالة، فإنَّ مَنْ أَحَبَّ الْأَنْبِيَاءَ أَحَبَّ أَتْبَاعَهُمْ، وخيرُ أتباع الأنبياء هم صحابة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فمن تولاهم له نصيب من قول الله جل وعلا: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴿١٧٣﴾﴾ [الصافات: ١٧١ - ١٧٣]، فكما أن الأنبياء منصورون، فأتباعهم أيضاً منصورون، وكذلك من أتبع أتباعهم

- 
- القسم الأول: ما يتعلَّق بأركان الإيمان الستة، وهي الأصل.
  - القسم الثاني: ما تميَّز به أهل السنة عن غيرهم في مسائل المعاملة: مُعاملة وُلاة الأمر، أو مُعاملة المبتدع، أو التَّعامل مع صحابة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وزوجاته.
  - القسم الثالث: ما هو من المسائل الفرعية، التي أنكرها فريق الضلال كالمسح على الخفين.
  - القسم الرابع: أخلاق أهل السنة، وصفاتهم التي تحلَّوا بها كالتواضع لله والإحسان للخلق.
- انظر: «شرح العقيدة الطحاوية» (2/ 181) لصالح آل الشيخ، وقد نقلت كلامه في «واسع المنة».
- 1- «شرح أصول الاعتقاد» (4/ 713، 771)، للالكائي، و«الإبانة الكبرى» (3/ 286، 4/ 165)، و«جامع بيان العلم» (2/ 1168).

-وعلى رأسهم الصحابة-، وأحبهم، ووالاهم، فإن الله ينصره بقدر ما عنده من الحب والصدق، فمحنة صحابة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ من أعظم القربات، وتنقصهم من أشد المهلكات.

قال الناظم رَحِمَهُ اللهُ:

وَقُلْ إِنَّ خَيْرَ النَّاسِ بَعْدَ مُحَمَّدٍ  
وَرَابِعُهُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ بَعْدَهُمْ  
وَإِنَّهُمْ لِلرَّهْطِ لَا رَيْبَ فِيهِمْ  
سَعِيدٌ وَسَعْدٌ وَابْنُ عَوْفٍ وَطَلْحَةُ  
وَقُلْ خَيْرَ قَوْلٍ فِي الصَّحَابَةِ كُلِّهِمْ  
فَقَدْ نَطَقَ الْوَحْيُ الْمُبِينُ بِفَضْلِهِمْ  
وَزِيرَاهُ قِدَمًا ثُمَّ عَثْمَانُ الْارْجَحُ  
عَلِيٌّ حَلِيفُ الْخَيْرِ بِالْخَيْرِ مُنْجِحُ  
عَلَى نُجُبِ الْفِرْدَوْسِ بِالنُّورِ  
وَعَامِرُ فَهْرٍ وَالزُّبَيْرُ الْمَمْدَحُ  
وَلَا تَكُ طَعَانًا تَعِيبُ وَتَجْرَحُ  
وَفِي الْفَتْحِ آيٌ فِي الصَّحَابَةِ تَمْدَحُ

فقوله: (وَقُلْ) يا صاحب السنة، (إِنَّ خَيْرَ النَّاسِ بَعْدَ مُحَمَّدٍ) أي: إن خير البشر،

وأفضل الإنس والجن بعد النبي محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هم الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، ثم خصص منهم قومًا، وهؤلاء هم العشرة المبشرون بالجنة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، وأفضل العشرة أربعة، وهم الخلفاء الراشدون رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، وأفضل الأربعة رجлан، وهما (وزيراؤه)، وهما أبو بكر وعمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

## فضائل أبي بكر وعمر

وقوله: **(وَزِيرَاهُ قَدَمًا)** أي: من أول الأمر وأول هذه الدعوة والبعثة النبوية، ولهذا لما طعن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قيل له: «أَبَشِرْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِبُشْرَى اللَّهِ لَكَ، مِنْ صُحْبَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَقَدَمٌ<sup>(1)</sup> فِي الْإِسْلَامِ مَا قَدْ عَلِمْتَ، ثُمَّ وَلِيَتْ فَعَدَلَتْ»، الحديث.<sup>(2)</sup>

وقد روي أن رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَا مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا وَلَهُ وَزِيرَانِ مِنْ أَهْلِ السَّمَاءِ وَوَزِيرَانِ مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ، فَأَمَّا وَزِيرَايَ مِنْ أَهْلِ السَّمَاءِ: فَجِبْرِيلُ وَمِيكَائِيلُ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، وَأَمَّا وَزِيرَايَ مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ: فَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ»<sup>(3)</sup>، وكذلك قال زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب لما طلبوا منه أن يتبرأ من الشَّيْخَيْنِ: أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، فَقَالَ: «مَعَاذَ اللَّهِ، وَزِيرَا جَدِّي، فَتَرَكَوهُ وَرَفَضُوهُ، فَسُمُّوا الرَّافِضَةَ»<sup>(4)</sup>، والوزير: مُشْتَقٌّ مِنَ الْمُوَازَرَةِ، وَهِيَ الْمَعَاوَنَةُ وَحَمْلُ الْوِزْرِ وَهُوَ الثَّقَلُ، وَسُمِّيَ الْوَزِيرُ بِذَلِكَ لِأَنَّهُ يُعِينُ الْأَمِيرَ وَيُوَازِرُهُ، وَيَحْمِلُ عَنْهُ مَا حَمَلَهُ مِنَ الْأَثْقَالِ<sup>(5)</sup>، وفي التنزيل: ﴿وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا﴾ [الفرقان: 35]، أي: معينا وظهيرا.

1- قال ابن حجر في «الفتح» (65 / 7): «وقدم: بفتح القاف وكسرهما، فالأول [قدم] بمعنى الفضل، والآخر

[قدم] بمعنى السبق». انتهى.

2- رواه البخاري (3700).

3- رواه الترمذي (3680)، وضعفه الألباني في: «ضعيف الجامع»: (6065).

4- انظر: «الفرق بين الفرق» (ص 61)، لعبد القاهر البغدادي، و«لوامع الأنوار» (1 / 78).

5- انظر: «النهاية» (5 / 179، وزر)، و«مقاييس اللغة» (6 / 108)، لابن فارس.

وهكذا كان أبو بكر وعمر لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولهذا جاء في الحديث أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال فيهما: «هَذَانِ السَّمْعُ وَالْبَصَرُ»<sup>(1)</sup>، وَعَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: كُنْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذْ طَلَعَ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «هَذَانِ سَيِّدَا كُھُولِ أَهْلِ الْجَنَّةِ مِنَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ إِلَّا النَّبِيِّينَ وَالْمُرْسَلِينَ، يَا عَلِيُّ لَا تُخْبِرُهُمَا»، وفي لفظ: «مَا دَامَا حَيِّينَ»<sup>(2)</sup>.

قال المزني رَحِمَهُ اللهُ فِي «شرح السنة»<sup>(3)</sup>: «وَيُقَالُ بِفَضْلِ خَلِيفَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، فَهُوَ أَفْضَلُ الْخَلْقِ وَأَخَيْرُهُمْ بَعْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَنُسِّيَ بَعْدَهُ بِالْفَارُوقِ: وَهُوَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، فَهِيَمَا وَزِيرَا رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَضَجِيعَاهُ فِي قَبْرِهِ، وَجَلِيسَاهُ فِي الْجَنَّةِ». انتهى.

وَرُوي أَنَّ هَارُونَ الرَّشِيدَ رَحِمَهُ اللهُ قَالَ لِلْإِمَامِ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ رَحِمَهُ اللهُ: «كَيْفَ كَانَتْ مَنْزِلَةُ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟»، فَقَالَ مَالِكٌ: «كَقُرْبِ قَبْرَيْهِمَا مِنْ قَبْرِهِ بَعْدَ وَفَاتِهِ»<sup>(4)</sup>. وَقَالَ مَسْرُوقٌ رَحِمَهُ اللهُ: «حُبُّ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، وَمَعْرِفَةُ فَضْلِهِمَا مِنَ السُّنَّةِ»<sup>(5)</sup>.

1- رواه الترمذي (3671)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (814). وانظر: «فيض القدير» (89/1).

2- رواه الترمذي (3665)، وابن ماجه (95)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (824).

3- انظره مع شرح المؤلف «واسع المنة».

4- انظر: «الشرعية» (2369/5)، و«ترتيب المدارك» (19/2)، للقاضي عياض المالكي.

5- «جامع بيان العلم وفضله» (1177/2).

قال القحطاني في «نونيته»<sup>(1)</sup>:

قُلْ إِنَّ خَيْرَ الْأَنْبِيَاءِ مُحَمَّدٌ  
وَأَجَلُّ صَاحِبِ الرُّسُلِ صَاحِبُ  
فَهْمَا اللَّذَانِ تَظَاهَرَا لِنَبِيِّنَا  
وَهُمَا وَزِيرَاهُ اللَّذَانِ هُمَا هُمَا  
وَهُمَا لِأَحْمَدَ نَاطِرَاهُ وَسَمْعُهُ  
كَانَا عَلَى الْإِسْلَامِ أَشْفَقَ أَهْلِهِ  
وَأَجَلُّ مَنْ يَمْشِي عَلَى الْكُثْبَانِ  
وَكَذَلِكَ أَفْضَلُ صَاحِبِهِ الْعُمَرَانِ  
فِي نَصْرِهِ وَهَمَالِهِ صِهْرَانِ  
لِفَضَائِلِ الْأَعْمَالِ مُسْتَبِقَانِ  
وَبِقُرْبِهِ فِي الْقَبْرِ مُضْطَجِعَانِ  
وَهُمَا لِدِينِ مُحَمَّدٍ جَبَلَانِ

وكل هذا بإجماع المسلمين، بل حتى الكفار كانوا مقرين بهذا، ففي «صحيح البخاري»<sup>(2)</sup> لما انقضت معركة أحد، أشرف أبو سفيان فقال: أفي القوم محمد؟ فقال صلى الله عليه وسلم: «لا تُجيبوه» فقال: أفي القوم ابن أبي قحافة [أبو بكر]؟ قال: «لا تُجيبوه» فقال: أفي القوم ابن الخطّاب؟ فقال: إن هؤلاء قتلوا، فلو كانوا أحياء لأجابوا. وفي بعض الروايات<sup>(3)</sup> قال أبو سفيان: «أما هؤلاء، فقد قتلوا، وقد كُفيتموهم».

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله<sup>(4)</sup>: «وفي هذا الحديث من الفوائد: منزلة أبي بكر وعمر من النبي صلى الله عليه وسلم، وخصوصيتهما به، بحيث كان أعداؤه لا يعرفون بذلك

1- (ص 26).

2- (4043). وانظر: «تخريج فقه السيرة» (ص 261)، للألباني.

3- «مسند أحمد» (18593)، وقال محققو المسند (30/556، ط. الرسالة): إسناده صحيح على شرط

الشيخين.

4- «فتح الباري» (7/352).

غيرهما، إذ لم يسأل أبو سفيان عن غيرهما». وقال ابن القيم رَحْمَةُ اللَّهِ<sup>(1)</sup>: «ولم يسأل إلا عن هؤلاء الثلاثة لعلمه وعلم قومه أن قوام الإسلام بهم». انتهى.

وفضائل الشيخين: أبي بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أشهر من أن تُنكر، وأكثر من أن تُذكر<sup>(2)</sup>،

وهي معلومة في الكتاب إجمالاً، وفي السنة تفصيلاً، ومن ذلك قول الله تعالى: ﴿إِلَّا

نَضْرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي

الْفَارِ﴾ [التوبة: ٤٠]، قال الليث بن سعد: «مَا صَحِبَ الْأَنْبِيَاءَ ﷺ مِثْلُ أَبِي بَكْرٍ

الصَّدِيقِ»، وقال سفيان بن عيينة: «خَرَجَ أَبُو بَكْرٍ بِهَذِهِ الْآيَةِ مِنَ الْمُعَابَةِ الَّتِي فِي قَوْلِهِ:

﴿إِلَّا نَضْرُوهُ﴾»، وقيل: «إِنَّمَا اسْتَحَقَّ الصَّدِيقُ أَنْ يُقَالَ لَهُ: ﴿ثَانِيَ اثْنَيْنِ﴾»

لِقِيَامِهِ بَعْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْأَمْرِ كَقِيَامِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِهِ أَوَّلًا، ﴿إِذْ

يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّكَ اللَّهُ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ

وَأَيْدِيَهُمْ يُجْنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا﴾ [التوبة: ٤٠]، وقوله: ﴿فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ﴾، أي:

على أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَأَمَّا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَدْ كَانَتْ السَّكِينَةُ عَلَيْهِ.

ولهذا، فالذي يُقطعُ به من الكتاب والسنة وأقوال علماء الأمة ويجبُ أن تؤمنَ به

القلوبُ والأفئدةُ فضلُ الصَّدِيقِ على جميع الصحابة، ولا مُبالاةُ بأقوال أهل الشَّيعِ ولا

أهل البدع، فإنهم بين مُكفِّرٍ تُضربُ رَقَبَتُهُ، وبين مُبتدِعٍ مُفسِّقٍ لَا تُقبَلُ كَلِمَتُهُ.<sup>(3)</sup>

1- «زاد المعاد» (3/ 180).

2- انظر: «شرح الطحاوية» (363-368)، لابن أبي العز.

3- انظر: «تفسير القرطبي» (8/ 148)، و«الشرعية» (4/ 1710، 1821).

وأما عن فضائل الفاروقِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَلَا تَسْأَلُ، فَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّهُ إِسْلَامَهُ فَتْحًا لِلْمُسْلِمِينَ، وَنُصْرَةً لِلْمُؤْمِنِينَ، وَذِلَّةً لِلْكَافِرِينَ، أَجْرَى اللَّهُ الْحَقَّ عَلَى قَلْبِهِ وَلِسَانِهِ، صَحِبَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَمَاتَ وَهُوَ عَنْهُ رَاضٍ، وَصَحِبَ بَعْدَهُ أَبَا بَكْرٍ وَمَاتَ وَهُوَ عَنْهُ رَاضٍ، وَاسْتَخْلَفَهُ بَعْدَهُ، فَحَكَمَ فَعَدَلَ، وَمَاتَ شَهِيدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قال ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «كَانَ إِسْلَامُ عُمَرَ عِزًّا، وَكَانَتْ هِجْرَتُهُ نَصْرًا، وَكَانَتْ خِلَافَتُهُ رَحْمَةً، وَاللَّهُ مَا اسْتَطَعْنَا أَنْ نُصَلِّيَ ظَاهِرِينَ حَتَّى أَسْلَمَ عُمَرُ»<sup>(1)</sup>.



## فضائل عثمان بن عفان

ثم قال الناظم رَحِمَهُ اللهُ: **(ثُمَّ عُمَانُ الأَرَجِحُ)**، بالتخفيف ليستقيم الوزن، **(ثُمَّ)** أي بعد أبي بكر وعمر في الفضل **(عُمَانُ)** بن عفان، فإنه أفضل من غيره بعدهما رَضِيَ اللهُ عَنْهُ. وعثمان بن عفان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ هو ثالث الخلفاء الراشدين، لُقِّبَ بذي النورين لأنه تزوج بنتي رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أم كلثوم ورقية رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، وماتا في حياة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وهو رَضِيَ اللهُ عَنْهُ الرجل الذي اشترى الجنة مرتين بماله، ففي الصحيح<sup>(1)</sup>، أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «مَنْ يَخْفِرُ بِئْرَ رُوْمَةَ فَلَهُ الْجَنَّةُ»، فَحَفَرَهَا عُثْمَانُ، وَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ جَهَّزَ جَيْشَ الْعُسْرَةِ فَلَهُ الْجَنَّةُ»، فَجَهَّزَهُ عُثْمَانُ. وقوله: **(ثُمَّ عُمَانُ الأَرَجِحُ)**، يحتمل معنيين متقاربين:

- المعنى الأول: الأرجح وزناً ومكانة بالنسبة لمن بعده من سائر الصحابة غير أبي بكر وعمر، فهو ثالثهم في الفضل، كما هو ثالثهم في الخلافة.
- والمعنى الثاني: على الأرجح، إشارة إلى اختلاف السلف في تفضيل عثمان على علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، فالجمهور منهم على تقديم عثمان. وروي عن مالك أنه توقف في ذلك، وروي عنه أنه رجع إلى ما عليه الجمهور، وهو الأصح إن شاء الله<sup>(2)</sup>، بل ذكر ابن تيمية في «الواسطية» أن الإجماع قد استقر على هذا.

1- البخاري (2778). وانظر: «فتح الباري» (54/7).

2- انظر: «تفسير القرطبي» (8/148).

قلت: ويؤيد هذا ما جاء عن ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، أنه قال: «كُنَّا نُحَيِّرُ بَيْنَ النَّاسِ فِي زَمَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَنُحَيِّرُ أَبَا بَكْرٍ، ثُمَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ، ثُمَّ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمُ»<sup>(1)</sup>. قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ<sup>(2)</sup>: «وفي الحديث تقديم عثمان بعد أبي بكر وعمر كما هو المشهور عند جمهور أهل السنة»، ثم ذكر الخلاف المذكور آنفاً.

قال الإمام ابن المبارك رَحِمَهُ اللهُ:

إِنِّي أَحِبُّ عَلِيًّا حُبًّا مُقْتَصِدًا وَلَا أَرَى دُونَهُ فِي الْفَضْلِ عُثْمَانًا  
والكلام هنا عن الأفضلية، أما مسألة الخلافة وأيهما أولى بالخلافة؟ فهذه لم يختلف فيها المسمون قط، بل هي محل إجماع من البداية، والذي يخالف فيها هو أضل من حمار أهله، كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ تعالى في «العقيدة الواسطية».

قال السفاريني في «لوائح الأنوار» (2/15): «تفضيل الصديق ثم عمر مجمع عليه بين أهل الحق، وأما المفاضلة بين عثمان وعلي فمحل خلاف، فالأكثر - ومنهم الإمام أحمد والإمام الشافعي وهو المشهور عن الإمام مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُمُ - أن الأفضل بعد أبي بكر وعمر، عثمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ثم علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وعنهم أجمعين». وانظر للتوسع: «عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة الكرام» (1/259، وما بعدها)، لناصر الشيخ. وكتابه من أوسع وأحسن من تكلم في هذا الباب في المعاصرين.

1- رواه البخاري (3655).

2- «فتح الباري» (7/16)، وانظر منه: (7/34) أيضاً.

ثم قال الناظم رَحْمَةُ اللَّهِ:

**وَرَابِعُهُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ بَعْدَهُمْ عَلِيٌّ حَلِيفُ الْخَيْرِ بِالْخَيْرِ مُنْجِحٌ**

فقوله: (وَرَابِعُهُمْ)، أي رابع الأربعة الخلفاء هو علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أول من أسلم من الصبيان، وكان في العاشرة من عمره، وكان يعيش في بيت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، له فضائل مشهورة معلومة لكل مسلم عافاه الله من بدع النواصب، فهو الذي يُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَيُحِبُّهُ اللهُ وَرَسُولَهُ، وهو الذي كان من النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بمنزلة هارون من موسى، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأرضاه.

قال: (وَرَابِعُهُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ بَعْدَهُمْ)، أي أن خير الخليقة بعد أبي بكر وعمر وعثمان

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ هو (علي) بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ولما سئل إسحاق بن راهويه عمّن يُقدّم من أصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال رَحْمَةُ اللَّهِ<sup>(1)</sup>: «لم يكن بعد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على الأرض أفضل من أبي بكر، ولم يكن بعده أفضل من عمر، ولم يكن بعد عمر أفضل من عثمان، ولم يكن على الأرض بعد عثمان خيراً ولا أفضل من علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ».

وقوله في وصف علي بن أبي طالب: (حَلِيفُ الْخَيْرِ) أي أن الخير يحالفه، فهو موفق مسدد من عند الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، (بِالْخَيْرِ مُنْجِحٌ) أي ظافر بالنجاح وهو تحصيل المقصود وتحصيل الطلبة، وفي بعض النسخ (بِالْخَيْرِ يَمْنَحُ)، وفي بعضها (بِالْخَيْرِ مُنْجِحٌ) أي أنه

1- «جامع بيان العلم وفضله» (2/ 1172)، لابن عبد البر.

يعطي الناس ويمنحهم، ففيه وصفه بالسخاء والجود والكرم<sup>(1)</sup>. وكل هذا إشارة إلى ما كان عليه من التفوق بين الأقران، وموالاته أهل الإيثار، والاعتناء بمكارم الأخلاق، ومزيد الكرم بالأرزاق، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأرضاه.<sup>(2)</sup>

قال السفاريني في «دُرَّتِهِ»<sup>(3)</sup> مادِحًا عليَّ بنَ أبي طالب:

وَإِ فِي النَّدَى مُبْدِي الْهُدَى مُرْدِي مُجْلِي الصَّدى يَا وَيْلَ مَنْ فِيهِ  
قلت: وفي قوله: (عَلِيٌّ حَلِيفُ الْخَيْرِ بِالْخَيْرِ مُنْجِحٌ)، إشارة من الناظم -والله أعلم- إلى أن الحق كان مع علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في مسألة الفتنة التي وقعت بين الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، لأنه قال: (حَلِيفُ الْخَيْرِ بِالْخَيْرِ مُنْجِحٌ)، أي أن الخير حليفه في حياته، ومن ذلك ما وقع بينه وبين بعض الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ من خلاف، والأدلة على صحة اجتهاد علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كثيرة، ومن ذلك قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «تَمَرُّقُ مَارِقَةٌ عِنْدَ فُرْقَةٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، يَقْتُلُهَا أَوْلَى الطَّائِفَتَيْنِ بِالْحَقِّ»<sup>(4)</sup>، والذي قتل الخوارج هو علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قتلهم في معركة النهروان، وهذا من أعظم مناقبه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قال ابن العربي المالكي رَحِمَهُ اللَّهُ<sup>(5)</sup>: «فبين صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن كل طائفة منها تتعلق بالحق، ولكن طائفة علي أدنى إليه». انتهى.

1- «التحفة السنية» (ص 58)، بتصرف.

2- انظر: «لوائح الأنوار» (2/ 25).

3- «لوامع الأنوار البهية» (2/ 334).

4- رواه مسلم (1064).

5- «العواصم من القواصم» (ص 168). وانظر: «فتح الباري» (6/ 619).

وقال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ<sup>(1)</sup>: «والحق أن عليا كان مصيبا في حروبه، فله في كل ما اجتهد فيه من ذلك أجران». انتهى.

ولا شك أن علياً رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أفضل من معاوية رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بالإجماع، بل هو أفضل أهل الأرض في زمانه بعد موت عثمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، ولا يخالف في هذا أحد ولا حتى معاوية نفسه رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وإنما وقع بينهم ما وقع، والصحابة بَشَرٌ، وليسوا معصومين، والله جل وعلا قد زكاهم جميعا ورضي عنهم بفضله، سبحانه.

ثم قال الناظم رَحْمَةُ اللَّهِ:

**وإِنَّهُمْ لِلرَّهْطِ لَا رَيْبَ فِيهِمْ عَلَى نُجُوبِ الْفِرْدَوْسِ بِالنُّورِ**

وجاء في بعض النسخ (وإِنَّهُمْ وَالرَّهْطِ)، الرهط: قوم الرجل، وعددهم من الثلاثة إلى العشرة، وعليه فقوله: (وإِنَّهُمْ لِلرَّهْطِ) يعني بهم العشرة المبشرين بالجنة، وإن كانت (وإِنَّهُمْ وَالرَّهْطِ) فيكون المقصود بهم هنا الستة الباقون، لأن الناظم ذكر الخلفاء الراشدين وهم أربعة، ثم عطف عليهم الستة، وهم المقصودون بالرهط هنا. وقوله: (لَا رَيْبَ فِيهِمْ) أي: لا شك فيهم ولا تهمة، إذ لا يمتري في عدالتهم وفي فضائلهم إلا ضال هالك في الدنيا قبل الآخرة.

وكذلك لا شك في أنهم من أهل الجنة، ولهذا قال بعدها: (عَلَى نُجُوبِ)، جمع نَجِيبة، وهي الدابة الكريمة من الخيل والنوق، أي: هم على دواب الجنة، جنة (الْفِرْدَوْسِ)<sup>(1)</sup>، (بِالنُّورِ تَسْرُحُ)، أي: تسير براكبها المستضيء بالنور والحسن والبهاء

1- قال ابن القيم في «حادي الأرواح» (ص 99): «والفردوس اسم يقال على جميع الجنة، ويقال على أفضلها وأعلاها، كأنه أحق بهذا الاسم من غيره من الجنات، وأصل الفردوس البستان». انتهى.

قلت: وقد جاءت الأخبار بطلب الفردوس الأعلى من الجنة، ففي البخاري (2790) قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «فَإِذَا سَأَلْتُمْ اللَّهَ، فَاسْأَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ، فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الْجَنَّةِ وَأَعْلَى الْجَنَّةِ، فَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ، وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ».

وبعض الجهال يقول: «أنا راض بأقل درجة في الجنة!»، فهذا من خسة الهمة، مع ما فيه من الجهل بالله، فإن الله جَلَّ جَلَالُهُ لا ممسك لرحمته ولا راد لفضله.

حيث شاء في الجنة. وقد صحت بهذا الأخبار، فعن سليمان بن بريدة عن أبيه: أن رجلاً سأل النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: يا رسول الله! هل في الجنة من خيل؟ فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللَّهَ أَدْخَلَكَ الْجَنَّةَ، فَلَا تَشَاءُ أَنْ تُحْمَلَ عَلَيْهَا عَلَى فَرَسٍ مِنْ يَاقُوتَةٍ حَمْرَاءٍ يَطِيرُ بِكَ فِي الْجَنَّةِ حَيْثُ شِئْتَ، إِلَّا كَانَ». قال: وسأله رجل فقال: يا رسول الله! هل في الجنة من إبل؟ قال: فلم يقل له ما قال لصاحبه، قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنْ يُدْخِلَكَ اللَّهُ الْجَنَّةَ، يَكُنْ لَكَ فِيهَا مَا اشْتَهَتْ نَفْسُكَ، وَلَذَّتْ عَيْنُكَ»<sup>(1)</sup>.

وفي نسخة: (في الخلدِ تَسْرَحُ)، أي: في دار الخلدِ تَسْرَحُ.

قال السفاريني رَحِمَهُ اللهُ<sup>(2)</sup>: «والحاصل أن هؤلاء العشرة مقطوع لهم بالجنة، يتزاورون على النجب في جنة الفردوس». انتهى.

=  
يقول ابن الجوزي في «صيد الخاطر» (ص 173): «من أعمل فكره الصافي دله على طلب أشرف المقامات، ونهاه عن الرضى بالنقص في كل حال». وقال (ص 321): «والإنسان يُحْشِرُ ومعه تلك الهمة، فيُعْطَى على مقدار ما حَصَلَتْ في الدنيا، فكما لم تُتَّقِ إلى الكمال وقنعت بالدون، قنعت في الآخرة بمثل ذلك». انتهى.

وقد تكلمت عن الهمة وتفاوت الناس فيها في رسالتي: «سبيل النجاة في فضائل العلم والعمل».

1- انظر: «صحيح الترغيب والترهيب» (3/ 522) (3755-3757).

وقد بوب ابن القيم في «حادي الأرواح»: «الباب الثامن والخمسون: في ذكر مطايا أهل الجنة وخيولهم ومراكبهم»، وساق جملة من الأحاديث في هذا الباب.

2- «لوائح الأنوار» (2/ 52).

### تراجم مختصرة لبقية الستة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ

ثم ذكر هؤلاء الستة الباقين، فقال رَحِمَهُ اللهُ:

**سَعِيدٌ وَسَعْدٌ وَابْنُ عَوْفٍ وَطَلْحَةُ وَعَامِرٌ فَهْرٌ وَالزُّبَيْرُ الْمَمْدَحُ**

(سَعِيدٌ): أي سعيد بن زيد بن عمرو بن نُقَيْل، العدويّ القرشي، يُكنى أبا الأعور،

وأُمّه فاطمة بنت بعجة الخزاعيّة، كانت من السابقين إلى الإسلام، وهو ابن عم عمر بن الخطاب، وزوج أخته فاطمة بنت الخطاب. هاجر إلى المدينة، وشهد المشاهد كلها إلا بدرًا، وكان غائبًا في مهمة أرسله بها النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وكان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ من ذوي الرأي والبسالة، وشهد اليرموك وحصار دمشق، وتوفي بالعقيق، ودُفن بالمدينة، وذلك في سنة خمسين (50 هـ)، وقيل إحدى وخمسين (51 هـ)، وهو يومئذ ابن بضع وسبعين سنة، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.<sup>(1)</sup>

(وَسَعْدٌ): أي ابن أبي وقاص، واسمه مالك بن أهيب بن عبد مناف، ويكنى أبا إسحاق. أحد السابقين الأولين، وأحد الخمسة الذين أسلموا على يد أبي بكر الصديق، شهد بدرًا، والحديبية، وأحد أهل الشورى الستة.

وكان يقال له: فارس الإسلام، وهو أول من رمى بسهم في سبيل، وجمع له رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أبويه، فقال له في معركة أحد: «ارْمِ فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي»<sup>(1)</sup>. وكان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مجاب الدعوة، مشهورًا بذلك.

1- انظر: «الطبقات الكبرى» (6/92)، لابن سعد، و«الإصابة» (3/87)، و«الأعلام» (3/94)، للزركلي.

أسلم وهو ابن سبع عشرة (17) سنة وما في وجهه شعرة، وشهد بدرًا، وافتتح القادسية، ونزل الكوفة، ووليها لعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان. ثم رجع إلى المدينة، ومات ودُفن بها، وذلك سنة خمس وخمسين (55 هـ)، وقيل غير هذا، وله يوم مات أربع وستون سنة، وهو آخر العشرة وفاة.<sup>(2)</sup>

**(وابن عوف):** أي عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف، وكان اسمه في الجاهلية عبد عمرو أو عبد الكعبة، فسماه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حين أسلم عبد الرحمن، ويكنى أبا محمد.

وهو أحد المهاجرين الأولين، هاجر الهجرتين، وشهد بدرًا وغيرها من المشاهد، وهو أحد الثمانية الذين سبقوا إلى الإسلام، وأحد الخمسة الذين أسلموا على يدي أبي

=  
1- رواه البخاري (2905)، ومسلم (2411). وفي هذا الحديث قال علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «مَا جَمَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَبَوَيْهِ لِأَحَدٍ غَيْرِ سَعْدٍ». ولعل هذا هو الذي بلغه، وإلا فقد ذكر ابن عبد البر أن ذلك لسعد بن أبي وقاص والزبير بن العوام رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، فقال في «الاستيعاب» (2/607): «وجمع له (يعني سعدا) رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وللزبير أبويه، فقال لكل واحد منهما، فيما روى عنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ارم، فذاك أبي وأمي». ولم يقل ذلك لأحد غيرهما فيما يقولون، والله أعلم». انتهى.

قلت: وأما الزبير فقد كان ذاك يوم الخندق، إذ قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ يَأْتِ بَنِي قُرَيْظَةَ، فَيَأْتِينِي بِخَبَرِهِمْ؟»، فَأَنْطَلَقَ الزَّبِيرُ بْنُ الْعَوَامِ، فَلَمَّا رَجَعَ جَمَعَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَبَوَيْهِ فَقَالَ: «فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي». رواه البخاري (3720)، ومسلم (2416).

2- انظر: «الطبقات الكبرى» (6/92)، لابن سعد، و«سير السلف الصالحين» (ص 235)، لقوام السنة الأصبهاني، و«تهذيب الكمال» (10/309)، للزمري، و«سير أعلام النبلاء» (1/92)، للذهبي، و«الإصابة» (3/61)، و«الأعلام» (3/87)، للزركلي.

بكر، وأحد الستة الذين جعل عمر بن الخطاب فيهم الشورى، وأخبر أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ توفي وهو عنهم راضٍ.

مات رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سنة اثنتين وثلاثين (32 هـ)، على الأشهر، وعاش اثنتين وسبعين سنة، ودفن بالبقيع، وصلى عليه عثمان، وقيل الزبير بن العوام، رضي الله عن الجميع.<sup>(1)</sup>  
**(وطَّلحةٌ):** أي طلحة بن عبيد الله بن عثمان التميمي، ويكنى أبا محمد، شجاع، من الأجواد، وأحد الثمانية الذي سبقوا إلى الإسلام، وأحد الخمسة الذين أسلموا على يد أبي بكر الصديق، وهو أحد الستة أصحاب الشورى. شهد أحدًا وثبت مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأبلى بلاءً حسنًا، حتى أصيب بأربعة وعشرين جرحًا، وسلم، وشهد الخندق وسائر المشاهد.

قتل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سنة ست وثلاثين من الهجرة (36 هـ)، وله أربع وستون سنة.<sup>(2)</sup>  
**(وعامرٌ فِهْرٍ):** أي عامر قريش، والمقصود به أبو عبيدة عامر بن عبد الله بن الجراح القرشي الفهري، أمين هذه الأمة، وأحد الرجلين الذين عينها أبو بكر للخلافة يوم السقيفة، شهد بدرًا وأحدًا والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

1- انظر: «الطبقات الكبرى» (3/124)، و«مختصر تاريخ دمشق» (14/342)، لابن منظور، و«سير أعلام النبلاء» (1/68)، و«الإصابة» (3/430)، و«الأعلام» (3/229).  
 2- انظر: «الطبقات الكبرى» (3/73)، و«سير أعلام النبلاء» (1/23)، و«الإصابة» (4/290)، و«الأعلام» (3/321).

وكان أحد الأمراء الذين وُلوا فتح دمشق، وشهدوا اليرموك، ثم أفضت إليه إمرة الشام، ومات بها في طاعون عمواس سنة ثمان عشرة (18 هـ)، وعاش ثمانيا وخمسين سنة، وقيل غير هذا.<sup>(1)</sup>

**(والزبيرُ):** أي الزبير بن العوام بن خُوَيْلِدِ بنِ الأَسَدِي القرشي، يُكْنَى أبا عبدِ الله، وهو حوارِيّ رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وابن عمته، أمه صَفِيَّةُ بِنْتُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وهو ابن عم خديجة بنت خويلد زوج رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أسلم على يد أبي بكر الصديق وهو ابن ست عشرة (16) سنة، وتزوج ذات النطاقين أسماء بنت أبي بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

هو أول من سلَّ سيفه في الإسلام، وشهد بدرًا، وأُحُدًا، وغيرها من المشاهد، وشهد اليرموك، وهو من أهل الشورى.

قُتِلَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ سنة ست وثلاثين (36 هـ)، وله ست أو سبع وستون سنة.<sup>(2)</sup>  
وقوله **(الممدحُ):** أي: المتصِّفُ بالمدائح الكثيرة، وهي الخصال التي يُمدح بها ويحمد عليها، إشارة إلى كثرة مناقبه، وغزور مزاياه، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.<sup>(3)</sup>

1- انظر: «الطبقات الكبرى» (3/409)، و«مختصر تاريخ دمشق» (11/264)، و«تاريخ الإسلام»

(2/99)، للذهبي، و«الإصابة» (3/475)، و«الأعلام» (3/252).

2- انظر: «الطبقات الكبرى» (3/100)، و«مختصر تاريخ دمشق» (9/11)، و«سير أعلام النبلاء»

(1/41)، و«الإصابة» (2/457)، و«الأعلام» (3/43).

3- انظر: «لوائح الأنوار» (2/59).

وهؤلاء هم الستة، وتتمة العشرة المبشرين بالجنة، مع الخلفاء الأربعة الراشدين، ومن حَفِظَ هذا البيتَ الجميل لابن أبي داود عَرَفَ أسماءهم.

وسمي هؤلاء الصحابة بالعشرة المبشرين بالجنة لأنهم ذُكروا في سياق حديث واحد، وإلا فالمبشرون أكثر من العشرة بكثير. قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «عَشْرَةٌ فِي الْجَنَّةِ: أَبُو بَكْرٍ فِي الْجَنَّةِ، وَعُمَرُ فِي الْجَنَّةِ، وَعُثْمَانُ فِي الْجَنَّةِ، وَعَلِيٌّ فِي الْجَنَّةِ، وَالزُّبَيْرُ فِي الْجَنَّةِ، وَطَلْحَةُ فِي الْجَنَّةِ، وَابْنُ عَوْفٍ فِي الْجَنَّةِ، وَسَعْدٌ فِي الْجَنَّةِ، وَسَعِيدُ بْنُ زَيْدٍ فِي الْجَنَّةِ، وَأَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجُرَّاحِ فِي الْجَنَّةِ».<sup>(1)</sup>

قال ابن أبي العز<sup>(2)</sup>: «وقد انفق أهل السنة على تعظيم هؤلاء العشرة وتقديمهم، لما اشتهر من فضائلهم ومناقبهم. ومن أجهل ممن يكره التكلم بلفظ العشرة، أو فعل شيء يكون عشرة!! لكونهم يُبغضون خيار الصحابة، وهم العشرة المشهود لهم بالجنة، وهم يستثنون منهم علياً رَضِيَ اللهُ عَنْهُ! فمن العجب: أنهم يوالون لفظ التسعة! وهم يُبغضون التسعة من العشرة! ويبغضون سائر المهاجرين والأنصار، من السابقين الأولين، الذين بايعوا رسول الله تحت الشجرة، وكانوا ألفاً وأربعمائة (1400)، وقد

1- رواه أحمد (1675)، والترمذي (3747)، وابن حبان (7002)، واللفظ له، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (50).

انظر: «فَصَائِلُ الْعَشْرَةِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ» في «سنن ابن ماجه» (275/3)، مع «مشارك الأنوار الوهاجة»، للأثيوبي، و«كتاب المناقب» من سائر كتب السنة. وللمُجِبِ الطَّبْرِي رَحِمَهُ اللهُ كِتَاب: «الرِّيَاضُ النَّضْرَةُ فِي مَنَاقِبِ الْعَشْرَةِ» مَطْبُوعٌ فِي أَرْبَعَةِ أَجْزَاءٍ. وتكلم عليهم عبد الغني المقدسي رَحِمَهُ اللهُ فِي آخِرِ «مختصر السيرة».

2- «شرح الطحاوية» (ص 377)، وانظر: «منهاج السنة النبوية» (38/1)، لابن تيمية.

رضي الله عنهم، كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ [الفتح: ١٨]. وثبت في «صحيح مسلم»<sup>(١)</sup>، عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أنه قال: «لَا يَدْخُلُ النَّارَ أَحَدٌ بَايَعَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ». انتهى كلامه رَحِمَهُ اللَّهُ.

1- (2496)، ولفظه فيه: «لَا يَدْخُلُ النَّارَ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ، مِنْ أَصْحَابِ الشَّجَرَةِ أَحَدٌ، الَّذِينَ بَايَعُوا تَحْتَهَا». قال العلماء: معناه لا يدخلها أحد منهم قطعا، كما صرح به في الحديث الذي قبله حديث حاطب، وإنما قال «إِنْ شَاءَ اللَّهُ» للتبرك لا للشك. انتهى، نقلا عن «شرح مسلم للنووي» (58/16).

قلت: وحديث حاطب الذي عناه النووي رَحِمَهُ اللَّهُ هو ما روي عَنْ جَابِرٍ، أَنَّ عَبْدًا لِحَاطِبٍ جَاءَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَشْكُو حَاطِبًا فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَيْدُخُلَنَّ حَاطِبُ النَّارَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كَذَبْتَ لَا يَدْخُلُهَا، فَإِنَّهُ شَهِدَ بَدْرًا وَالْحُدَيْبِيَّةَ». رواه مسلم (2495).

وانظر: «السلسلة الصحيحة» (2160)، للألباني.

## حرمة الطعن في الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ

قال الناظم رَحِمَهُ اللهُ:

وَقُلْ خَيْرَ قَوْلٍ فِي الصَّحَابَةِ كُلِّهِمْ      وَلَا تَكُ طَعَانًا تَعِيبُ وَتَجْرَحُ  
فَقَدْ نَطَقَ الْوَحْيُ الْمُبِينُ بِفَضْلِهِمْ      وَفِي الْفَتْحِ آيٌ فِي الصَّحَابَةِ تَمْدَحُ

فقوله: (وَقُلْ خَيْرَ قَوْلٍ فِي الصَّحَابَةِ كُلِّهِمْ)، أي قل بلسانك وقلبك في الصحابة كلهم رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ أحسن الأقوال، واثن عليهم بأحسن الثناء، وظنَّ فيهم أحسن الظنون بلا استثناء، فهم أهل لذلك، ولا يُبغضهم إلا هالك، عليهم رضوان الله ورحمته.

وَحُبُّهُمْ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ دينٌ نرجو أن نلقى الله عليه يومَ القيامة، فقد قال الْفَضِيلُ بْنُ عِيَاضٍ: «حُبُّ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذُخْرٌ أَدَّخِرُهُ، ثُمَّ قَالَ: رَحِمَ اللهُ مَنْ تَرَحَّمَ عَلَى أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَإِنَّمَا يَحْسُنُ هَذَا كُلُّهُ بِحُبِّ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»، وقال ابنُ الْمُبَارَكِ: «خَصَلَتَانِ مَنْ كَانَتَا فِيهِ نَجَا: الصِّدْقُ، وَحُبُّ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ». (1)

وَعَنْ أَيُّوبَ السَّخْتِيَانِيِّ، قَالَ: «مَنْ أَحَبَّ أَبَا بَكْرٍ فَقَدْ أَقَامَ الدِّينَ، وَمَنْ أَحَبَّ عُمَرَ فَقَدْ أَوْضَحَ السَّبِيلَ، وَمَنْ أَحَبَّ عُثْمَانَ فَقَدْ اسْتَنَارَ بِنُورِ اللهِ ﷻ، وَمَنْ أَحَبَّ عَلِيًّا فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى، وَمَنْ أَحْسَنَ الْقَوْلَ فِي أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ فَقَدْ بَرِيَ مِنَ النَّفَاقِ». (2)

1- «الشریعة» (4/ 1687)، ولفظُ ابنِ المبارک نقلته عن «الشفاء» (2/ 298)، للقاظي عیاض المالکی.

2- «الشریعة» (4/ 1772).

قال القحطاني في «نونيته»<sup>(1)</sup>:

حُبُّ الصَّحَابَةِ وَالْقَرَابَةِ سُنَّةٌ أَلْقَى بِهَا رَبِّي إِذَا أَحْيَانِي

### تعريف الصحابي

والصحابي عرفه الإمام البخاري<sup>(2)</sup> في «صحيحه» بقوله: «وَمَنْ صَحِبَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَوْ رَأَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، فَهُوَ مِنْ أَصْحَابِهِ»، وعرفه آخرون بقولهم: «الصَّحَابِيُّ: مَنْ لَقِيَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُؤْمِنًا بِهِ وَمَاتَ عَلَى الْإِسْلَامِ، وَلَوْ تَخَلَّتْ رِدَّةٌ فِي الْأَصْحَ». <sup>(3)</sup>

فقولهم: «مَنْ لَقِيَ»، يدخل فيه: مَنْ طالت مجالسته له أو قُصرت، ومن روى عنه أو لم يرو، رآه أو لم يره لعارضٍ كالعمى.

وقولهم: «مَنْ لَقِيَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»، يخرج به: من لقيه مؤمناً به قبل أن يصير نبياً، أي: مؤمناً بأنه سيبعث، ولكنه لم يدرك البعثة، كما وقع لـ «بحيرا الراهب». وقولهم: «مؤمناً»، يدخل فيه: كل مكلف من الجن والإنس، ويخرج به: من لقيه في حال كونه كافراً، ثم أسلم بعد موته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وقولهم: «به»، يخرج به: من لقيه مؤمناً بغيره من الأنبياء ﷺ، كمن لقيه من مؤمني أهل الكتاب قبل البعثة.

1- (ص 29).

2- ونحوه تعريف شيخه علي بن المديني رَحِمَهُ اللَّهُ. انظر: «فتح الباري» (7/ 3-5).

3- وهذا من أحسن التعاريف، قاله الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ في «نخبة الفكر»، وشرحه في: «نزهة النظر» (ص 111)، و«الإصابة في تمييز الصحابة» (1/ 158).

وقولهم: «ومات على الإسلام»، يخرجُ به: من لقيه مؤمناً به ثم ارتدَّ، ومات على رِدَّتِه، فإنه لا يُعدُّ صحابياً.

وقولهم: «ولو تَحَلَّلْتُ رِدَّةً»، يعنون به: من ارتدَّ بعد أن لقيَ النبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مؤمناً به، ثم تابَ وماتَ على الإسلام، فإنَّ اسمَ الصُّحْبَةِ باقٍ له، سواءً أَرَجَعَ إلى الإسلامِ في حياته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أو بعده، ومما يؤكد هذا اتفاقُ أهلِ الحديثِ على عدِّ الأشعثِ بنِ قيسٍ من جُملةِ الصحابة.

وقولهم: «في الأصَحِّ»: إشارةٌ إلى الخلافِ في المسألة.

### عدالة الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ

اتَّفَقَ الْعُلَمَاءُ عَلَى أَنَّ الصَّحَابَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ عُدُولٌ بِتَعْدِيلِ اللَّهِ تَعَالَى لَهُمْ، فَإِذَا كَانَ التَّعْدِيلُ يَثْبُتُ بِقَوْلِ اثْنَيْنِ مِنَ النَّاسِ، فَكَيْفَ لَا يَثْبُتُ بِالثَّنَاءِ الْعَظِيمِ مِنَ اللَّهِ جَلَّ جَلَالُهُ وَمِنْ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ، وَفِي هَذَا يَقُولُ ابْنُ الصَّلَاحِ<sup>(1)</sup>: «إِنَّ الْأُمَّةَ مُجْمَعَةٌ عَلَى تَعْدِيلِ جَمِيعِ الصَّحَابَةِ»، وَقَالَ الْعَلَائِي<sup>(2)</sup>: «لَمْ يَخَالَفْ فِي عَدَالَةِ الصَّحَابَةِ مِنْ حَيْثُ الْجُمْلَةُ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ، وَإِنَّمَا الْخِلَافُ عَنِ الْمُعْتَزَلَةِ وَالْخَوَارِجِ وَأَمْثَالِهِمْ». انْتَهَى.

وَقَالَ الْقُرْطُبِيُّ<sup>(3)</sup>: «فَالصَّحَابَةُ كُلُّهُمْ عُدُولٌ، أَوْلِيَاءُ اللَّهِ تَعَالَى وَأَصْفِيَاؤُهُ، وَخَيْرَتُهُ مِنْ خَلْقِهِ بَعْدَ أَنْبِيَائِهِ وَرَسُولِهِ. هَذَا مَذْهَبُ أَهْلِ السُّنَّةِ، وَالَّذِي عَلَيْهِ الْجَمَاعَةُ مِنْ أُمَّةٍ هَذِهِ الْأُمَّةِ. وَقَدْ ذَهَبَتْ شَرِذْمَةٌ لَا مَبَالَاةَ بِهِمْ إِلَى أَنْ حَالَ الصَّحَابَةَ كَحَالِ غَيْرِهِمْ، فَيَلْزِمُ الْبَحْثَ عَنِ عَدَالَتِهِمْ». انْتَهَى.

1- «مقدمة ابن الصلاح» (ص 295)، وقد نقل الإجماع على عدالة الصحابة جماعة من أهل العلماء: كابن عبد البر في «الاستيعاب» (1/19)، والخطيب البغدادي في «الكفاية» (46-49)، وابن الأثير في «أسد الغابة» (1/10)، والنووي في «إرشاد طلاب الحقائق إلى معرفة سنن خير الخلائق» (2/592)، و«التقريب» (2/674، مع «تدريب الراوي»)، وابن حجر في «الإصابة» (1/21-23)، في آخرين.

انظر: «شرح الكوكب المنير» (2/473-480) لابن النجار الفتوحى رَحِمَهُ اللَّهُ، و«عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة الكرام» (2/795-825)، لناصر الشيخ.

وفي الباب كتب مستقلة بعنوان: «عدالة الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ فِي ضَوْءِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَالسُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ وَدَفْعِ الشُّبُهَاتِ»، لعماد الشربيني، و«عدالة الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ عِنْدَ الْمُسْلِمِينَ»، لمحمد الفهداوي.

2- «تحقيق مُنِيفِ الرُّتْبَةِ لِمَنْ ثَبِتَ لَهُ شَرِيفُ الصُّحْبَةِ» (ص 78).

3- «الجامع لأحكام القرآن» (16/299).

وليس المرادُ بإثبات عدالتهم رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ أَنَّهُمْ معصومون، وأنَّ المعصيةَ مُستحيلةٌ عليهم، كلاً! فَإِنَّ العِصْمَةَ لِلأنبياءِ ﷺ، ولكن المرادُ أَلَّا نَتَكَلَّفَ البحثَ عن عدالتهم، ولا طلبَ التزكية فيهم رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ.<sup>(1)</sup>

قال العلائي<sup>(2)</sup>: «يا لله العجبُ! كيف يداني أحداً من هؤلاء مَنْ بعدهم؟! فضلاً عن مساواتهم، حتى إنه يحتاج الواحدُ منهم إلى الكُشف عن حاله وتزكيتِهِ». انتهى.  
وُخْلاصَةُ القول فيهم، ما قاله الإمام الشافعي رَحِمَهُ اللهُ<sup>(3)</sup>: «هُم فَوْقَنَا فِي كُلِّ عِلْمٍ وَعَقْلٍ وَدِينٍ وَفَضْلِ، وَكُلُّ سَبَبٍ يُنَالُ بِهِ عِلْمٌ، أَوْ يُدْرِكُ بِهِ هُدًى، وَرَأْيُهُمْ لَنَا خَيْرٌ مِنْ رَأْيِنَا لِأَنْفُسِنَا». انتهى.

قال الناظم رَحِمَهُ اللهُ:

**وَقُلْ خَيْرَ قَوْلٍ فِي الصَّحَابَةِ كُلِّهِمْ      وَلَا تَكُ طَعَاناً تَعِيبُ وَتَجْرَحُ**

فقوله: (وَلَا تَكُ طَعَاناً)، أي: لا تكن طاعناً فيهم، واقعاً في أعراضهم، بنحو ذم أو غيبة<sup>(4)</sup>، إذ لا يُفهم منه أن الناظم نهى عن كثرة الطعن ويسمح بما دونه، كما قال بعض المفتونين في عصرنا: (إذا أردت أن تسب أبا هريرة، فسبّه في بيتك)؟!، ألا خاب من

1- انظر: «شرح الكوكب المنير» (2/ 477) لابن النجار الفتوحى رَحِمَهُ اللهُ.

2- «تحقيقُ مُنيّف الرُّتبة لمن ثبت له شريفُ الصُّحبة» (ص 81).

3- نقلاً عن «الفتاوى» (4/ 158)، وانظر: «مناقب الشافعي» (1/ 442) للبيهقي رَحِمَهُ اللهُ.

4- انظر: «فيض القدير» (5/ 360)، للمناوي، و«مرقاة المفاتيح» (7/ 3044)، للقاري.

قال هذا في حق رجل من صحابة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لأنَّ هذا الكلام لا يصدر إلا من رافضي خبيث، أو ضال جاهل متأثر بمقالاتهم وتفاهاتهم.

فقوله: **(ولا تَكُ طَعَّانًا)**، أي لا تطعن ولو بكلمة واحدة، فضلاً عن كثرة اللعن، وهذا أسلوب عربي معروف، إذ قد يأتي على وزن «فَعَّال» ما لا يراد به المبالغة، كقوله تعالى: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ [فصلت: ٤٦] أي: ليس بذئ ظلم، وفي الحديث عن ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مرفوعاً: «لَيْسَ الْمُؤْمِنُ بِالطَّعَّانِ، وَلَا بِاللَّعَّانِ، وَلَا الْفَاحِشِ، وَلَا الْبَذِيءِ»<sup>(1)</sup>، أي ليس بذئ طعن وليس بذئ لعن، هذا مع عموم المسلمين، فكيف بالأمر مع الصحابة المعدلين.<sup>(2)</sup>

قال رَحِمَهُ اللهُ: **(ولا تَكُ طَعَّانًا تَعِيبُ)**، أي: تنسب الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ إلى العيب، وهو الوَضْمَةُ<sup>(3)</sup>، (وَتَجْرَحُ): من الجرح، والمقصود به هنا إسقاط العدالة، والصحابة عدول بإجماع المسلمين، كما سبق بيانه.

قال ابن العربي رَحِمَهُ اللهُ<sup>(4)</sup>: «سِهَامُ الْكَلَامِ كِسِهَامُ النَّصَالِ»<sup>(1)</sup> حَسًّا، وَجَرَحُ الْلسَانِ كَجَرَحِ الْيَدِ. انتهى.

1- رواه أحمد (3839)، الترمذي (1977)، والبخاري في «الأدب المفرد» (312)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (320).

2- انظر: «التحفة السنية» (ص 63).

3- «القاموس المحيط» (ص 118).

4- «عارضضة الأhozدي» (204 / 1).

وفي هذا الكلام من الناظم إشارة إلى رد مقالة أهل الضلال والزيغ والوبال، من أهل الرفض ومن نهج منهجهم من أهل الجفاء والبغض للصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وكيف يكون ذلك الطعن والعيب والجرح في أهل الجد والاجتهاد والنصح والرافة وبذل المعروف لإعلاء كلمة الله وإظهار ما جاء به رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الدين المتين والحق المبين؟! (2)

1- النصل: حَدِيدَةُ الرمح والسهم والسكين، والجمع: نصال، وأنصُل، ونُصُول. انظر: «المعجم الوسيط» (927 /2).

2- انظر: «لوائح الأنوار» (93 /2).

### حكم سب الصحابة وغاية وعاقبة أهله

إِنَّ سَبَّ الصَّحَابَةِ مُحْرَمٌ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَهُوَ كَبِيرَةٌ بِالْإِجْمَاعِ<sup>(1)</sup>، ولولا خوض الخائضين في أعراضهم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، لما احتاج أهل العلم إلى التدليل على عدالتهم، ولا بيان حال سابهم، ولكن لما وقع هذا الأمر، احتجنا إلى البيان، والكشف عن حال أهل السب والبهتان.

والسب: الكلام الذي يقصد به الانتقاص والاستخفاف، وهو ما يفهم منه السب في عقول الناس على اختلاف اعتقاداتهم كاللعن والتقييح ونحوه.<sup>(2)</sup>

ومن تَلَطَّحَ بهذه الجريمة النكراء، فقد استوجب لعنة أهل الأرض والسماء، قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ سَبَّ أَصْحَابِي، فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ»<sup>(3)</sup>.

قال القاضي عياض رَحِمَهُ اللَّهُ<sup>(4)</sup>: «وَسَبُّ آلِ بَيْتِهِ، وَأَزْوَاجِهِ، وَأَصْحَابِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَتَنَقُّصُهُمْ حَرَامٌ مَلْعُونٌ فَاعِلُهُ». انتهى.

وقال القرطبي<sup>(5)</sup>: «فالمكذب لأصغرهم - ولا صغير فيهم - داخل في لعنة الله التي شهد بها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وألزمها كل من سب واحدا من أصحابه أو طعن عليه». انتهى.

1- انظر: «الزواج عن اقتراف الكبائر» (2/379)، للهيتمي رَحِمَهُ اللَّهُ.

2- «الصارم المسلول» (ص 531).

3- قال الألباني: رواه الطبراني (3/174/1)، وصححه في: «الصحيحة»: (2340).

4- «الشفاء» (2/492).

5- «الجامع لأحكام القرآن» (16/298).

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ<sup>(1)</sup>: «فإن الطائفة المخدولة من الرافضة<sup>(2)</sup> يعادون أفضل الصحابة ويغضونهم ويسبونهم، عيادا بالله من ذلك. وهذا يدل على أن عقولهم معكوسة، وقلوبهم منكوسة، فأين هؤلاء من الإيمان بالقرآن إذ يسبون من رضي الله عنهم». انتهى.

وفي «الصحيحين»<sup>(3)</sup>، أن النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي، فَلَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ، ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ، وَلَا نَصِيفَهُ»، فالقليل منهم عند الله كثيرٌ، وذلك راجع لأسباب منها: شرفُ الصُّحبة الذي لا يُدانيه فضلٌ بعد النبوة، وكذلك ما اتصفوا به من اليقين والصدق والزهد، كما قال ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لأصحابه: «أنتم أكثرُ صلاةً، وأكثرُ صيامًا من أصحابِ محمدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهم كانوا خيرا منكم، قالوا: وبِمِ؟ قال: كانوا أزهَدَ منكم في الدنيا، وأرغَبَ منكم في الآخرة»<sup>(4)</sup>، يُشير إلى أن الصحابة فأقوا من بعدهم بشدة تعلق قلوبهم بالآخرة

1- «تفسير القرآن العظيم» (4/203).

2- قال ابن تيمية في «اقتضاء الصراط المستقيم» (2/352): «والرافضة أمة مخدولة، ليس لها عقل صحيح، ولا نقل صريح، ولا دين مقبول، ولا دنيا منصور»، فعلق ابن عثيمين قائلا: «ومن كانت قيادته في أيدي الرافضة فهو مخدول، كما قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ، وهذا الكلام يُبشِّر بالخير، ونسأل الله أن يفضحهم في دعوتهم الباطلة». انتهى كلامه رَحِمَهُ اللهُ من تعليقه على الكتاب.

3- البخاري (3673)، ومسلم (2540).

4- رواه ابن المبارك في «الزهد» (501)، وابن أبي الدنيا في «الزهد» (158)، والحاكم في «المستدرک» (7880)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (10/325): «رواه الطبراني، وفيه عمارة بن يزيد صاحب ابن مسعود، ولم أعرفه، وبقيّة رجاله ثقات».

ورغبتهم فيها وإعراضهم عن الدنيا بتحقيرها وتصغيرها، وإن كانت في أيديهم، فكانت قلوبهم منها فارغة، وبالأخرة ممتلئة، وهذه الحال ورثوها من نبيهم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ<sup>(1)</sup>.

قال أبو الحسن الأشعري رَحِمَهُ اللَّهُ<sup>(2)</sup>: «وأجمعوا على الكف عن ذكر الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ إِلَّا بِخَيْرٍ مَا يَذْكُرُونَ بِهِ، وَعَلَى أَنَّهُمْ أَحَقُّ أَنْ يَنْشُرَ مَحَاسِنَهُمْ، وَيَلْتَمَسَ لِأَفْعَالِهِمْ أَفْضَلَ الْمَخَارِجِ، وَأَنْ نَظُنَّ بِهِمْ أَحْسَنَ الظَّنِّ، وَأَحْسَنَ الْمَذَاهِبِ مِمْتَثِلِينَ فِي ذَلِكَ لِقَوْلِهِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا ذُكِرَ أَصْحَابِي فَأَمْسِكُوا»<sup>(3)</sup>، وقال أهل العلم معنى ذلك: لا تذكروهم إلا بخير الذكر». انتهى.

قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾ [الحشر: 10]، فالؤمن يحبهم ويستغفر لهم فكان حريا به أن يُحشر معهم، والفاجر يذمهم ويسبهم، فكان حريا به أن يُحشر مع أعدائهم أعداء الله ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

1- انظر: «لطائف المعارف» (ص 531)، و«مجموع رسائل الحافظ ابن رجب الحنبلي» (4/ 414).

2- «رسالة إلى أهل الثغر» (ص 172)، ونحوه في «الشفاء» (2/ 296)، لعياض. وانظر: «معارج القبول» (3/ 1208)، لحافظ حكيمي.

3- قال الألباني في «السلسلة» (34): «أخرجه الطبراني في «الكبير» (2/ 78 / 2)، وأبو نعيم في «الحلية» (4/ 108)، وصححه.

وروي عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنه قال: «لَا تَسُبُّوا أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَمَرَنَا بِالِاسْتِغْفَارِ لَهُمْ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُمْ سَيَقْتُلُونَ»<sup>(1)</sup>.  
وقال ابن كثير<sup>(2)</sup>: «فيا ويل من أبغضهم، أو سبهم، أو أبغض أو سب بعضهم». انتهى.

فإذا كانت الغيبة حراماً بيننا، وذنباً عظيماً في حق فرد من أفراد المسلمين الأحياء الموجودين، فكيف بغيبة الأموات التي صحَّ عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ النهي عنها بقوله: «لَا تَسُبُّوا الْأَمْوَاتَ، فَإِنَّهُمْ قَدْ أَفْضَوْا إِلَى مَا قَدَّمُوا»<sup>(3)</sup>.  
فيكف إذا كان هؤلاء المسبوبين الممزقة أعراضهم المهتوكة حرمتهم هم خير الخليفة، وخير العالم كما قدمنا تحقيقه. فسبحان الصبور الحليم<sup>(4)</sup>.

ومن أحسن من قرَّر المذهب الحق في الأخبار المنقولة حول ما وقع بين الصحابة شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ في عقيدته المباركة المُسَمَّاة: «العقيدة الواسطية»،

1- «الشریعة» (5/ 2491).

2- «تفسیر القرآن العظیم» (4/ 203).

3- رواه البخاري (1393).

4- «ذب الإمام الشوكاني عن أصحاب النبي العدناني» (ص 33-34)، بتصرف.

وانظر: «إرشاد الغبي إلى مذهب أهل البيت في صحب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ» ضمن «الفتح الرباني من فتاوى الإمام الشوكاني» (2/ 868)، وفيها نقل الشوكاني رَحِمَهُ اللَّهُ إجماع آل البيت على حرمة سب الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين.

وكذلك في: «منهاج السنة»<sup>(1)</sup>، حيث قال رَحِمَهُ اللهُ: «وَمَنْ عَلِمَ مَا دَلَّ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ وَالسُّنَّةُ مِنَ الثَّنَاءِ عَلَى الْقَوْمِ، وَرِضَا اللهِ عَنْهُمْ، وَاسْتِحْقَاقِهِمُ الْجَنَّةَ، وَأَنَّهم خَيْرُ هَذِهِ الْأُمَّةِ الَّتِي هِيَ خَيْرُ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ، لَمْ يُعَارِضْ هَذَا الْمُتَيَقِّنَ الْمَعْلُومَ بِأُمُورٍ مُشْتَبِهَةٍ:

- منها: ما لا يُعَلِّمُ صحته،
- ومنها: ما يَتَّبِعُ كَذِبَهُ،
- ومنها: ما لا يُعَلِّمُ كيف وقع،
- ومنها: ما يُعَلِّمُ عُذْرَ الْقَوْمِ فِيهِ،
- ومنها: ما يُعَلِّمُ تَوْبَتَهُمْ مِنْهُ،
- ومنها: ما يُعَلِّمُ أَنَّ لَهُمُ مِنَ الْحَسَنَاتِ مَا يَغْمُرُهُ،

فَمَنْ سَلَكَ سَبِيلَ أَهْلِ السُّنَّةِ اسْتَقَامَ قَوْلُهُ، وَكَانَ مِنَ أَهْلِ الْحَقِّ وَالِاسْتِقَامَةِ وَالِاعْتِدَالِ، وَإِلَّا حَصَلَ فِي جَهْلِ وَكَذِبٍ وَتَنَاقُضٍ كَحَالِ هَؤُلَاءِ الضَّلَالِ (يعني الروافض)». انتهى.

قَالَ الْعَوَّامُ بْنُ حَوْشَبٍ: «اذْكُرُوا مُحَاسِنَ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَأْتِلِفُ الْقُلُوبُ عَلَيْهِمْ، وَلَا تَذْكُرُوا مَسَاوِيَهُمْ تُحَرِّشُوا النَّاسَ عَلَيْهِمْ»<sup>(2)</sup>.

1- (312/4).

2- «جامع بيان العلم وفضله» (2/1119).

وَمَا قِيلَ لِعَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: إِنَّ نَاسًا يَتَنَاوَلُونَ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حَتَّىٰ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ! فَقَالَتْ: «وَمَا تَعَجَّبُونَ مِنْ هَذَا! انْقَطَعَ عَنْهُمْ الْعَمَلُ، فَأَحَبَّ اللَّهُ أَنْ لَا يَقْطَعَ عَنْهُمْ الْأَجْرَ».<sup>(1)</sup>

وقد ذكر أهل العلم أن سب الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ على ثلاثة أقسام:<sup>(2)</sup>

- الأول: أن يُسبَّهَم بما يقتضي كُفْرَ أَكْثَرِهِمْ، أو أن عَامَّتَهُمْ فَسَقُوا فهذا كفر؛ لأنه تكذيبٌ لله ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالثناء عليهم والترضي عنهم.
- الثاني: أن يُسبَّهَم بِاللَّعْنِ وَالتَّجْبِيحِ، ففي كُفْرِهِ قولان لأهل العلم، وعلى القول بأنه لا يكفر يجب أن يُجْلَدَ وَيُجَبَسَ حتى يموتَ، أو يرجعَ عمًا قال.
- الثالث: أن يُسبَّهَم بما لا يَقْدَحُ في دينِهِمْ، كالجبن والبخل فلا يكفر، ولكن يُعزَّرَ بما يردُّه عن ذلك.

1- «شرح الطحاوية» (ص 360)، لابن أبي العز.

2- انظر: «الصَّارِمُ الْمَسْلُوبُ عَلَى شَاتِمِ الرَّسُولِ» (ص 571، وما بعدها)، لابن تيمية، و«الشفاء» (ص 492/2-495)، و«الفتح الرباني من فتاوى الإمام الشوكاني» (2/840، وما بعدها)، و«التعليق على لمعة الاعتقاد» (ص 79)، لابن عثيمين، و«منهج الإمام مالك في إثبات العقيدة» (ص 449-462)، للدَّعْجَان، و«شرح الطحاوية» (2/352-347) لصالح آل الشيخ، و«عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة الكرام» (2/831-879)، لناصر الشيخ، و«موسوعة العقيدة» (4/1771)، و«تسديد الإصابة فيما شجر بين الصحابة» (142-144)، للغامدي.

وفي الباب كتب مستقلة، ومن ذلك: «النهي عن سب الأصحاب وما فيه من الإثم والعقاب»، للضياء المقدسي، و«شم العوارض في ذم الروافض»، لملا علي القاري، و«صب العذاب على من سب الأصحاب» لمحمود شكري الألوسي.

والقدح في الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ هو في الحقيقة: قدحٌ في الله جَلَّ جَلَالُهُ، وفي رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وفي دينه، وفي كتابه، لأنَّ جَرَحَ الناقل يعود بالجرح على المنقول، ومن المعلوم أنَّ الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ هُمْ نَقَلَةُ الشريعة، فإذا سقطت عدالتهم لم يبقَ ثِقَةٌ فيما نقلوه من الشريعة، وقد نبّه على هذا أهل العلم قديماً وحديثاً.<sup>(1)</sup>

قال الشوكاني رَحِمَهُ اللَّهُ<sup>(2)</sup>: «فإن هؤلاء المخذولين (يعني الروافض<sup>(3)</sup>) لما أرادوا رد الشريعة المطهرة ومخالفتها، طعنوا في أعراض الحاملين لها الذين لا طريق لنا إليها إلا

1- انظر لهذا: «شرح أصول الاعتقاد» (8/1544)، للالكائي، و«الكفاية في علم الرواية» (ص 49) للخطيب البغدادي، و«شرح الواسطية» (2/283)، لابن عثيمين، و«ذب الإمام الشوكاني عن صحابة النبي العدناني» (ص 40، 51)، للرازحي. وذكرت هذه النقولات في كتابي: «شرح عقيدة ابن سعدي» تحت فصل بعنوان: (غاية الروافض من وراء سب صحابة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ).

2- «الفتح الرباني من فتاوى الإمام الشوكاني» (11/5441).

3- ومن أعظم مَنْ رد عليهم في المتأخرين شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه الشهير «منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية»، والذي رد به على ابن المطهر الحلي (648-726 هـ) الرافضي، صاحب كتاب «منهاج الكرامة في معرفة الإمامة».

وكتاب «منهاج السنة» كبير في حجمه، فمن لم يستطع قراءة الأصل، فليستفد من مختصراته، ومن ذلك: اختصار للذهبي المسمى: «المنتقى من منهاج الاعتدال في نقض كلام أهل الرفض والاعتزال»، واختصار العلامة عبد الرحمن بن حسن صاحب «فتح المجيد»، واختصار الشيخ عبد الله الغنيان. المهم ألا يُغفل الطالب الاستفادة من هذا الكتاب المبارك إن شاء الله تعالى.

والتشيع موجود في مجتمعاتنا -والعياذ بالله-، وهو يكثر في مناطق دون أخرى، وينبغي للعبد أن يكون متفطناً لمسالكهم، فلا ينتظر حتى يسمع سباً صريحاً للصحابة، فغالباً لا يبدؤون ببدعتهم هذه، فإن عبد الله بن سبأ -مؤسسهم الأول- لم يبدأ بهذا، بل بدأ بإظهار الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والنصح للعامة، ثم انتهى به

من طرقهم، واستذلوا أهل العقول الضعيفة والإدراكات الركيكة بهذه الذريعة الملعونة والوسيلة الشيطانية، فهم يُظهرون السب واللعن لخير الخليقة، ويضمرون العناد للشريعة ورفع أحكامها عن العباد، وليس في الكبائر ولا في معاصي العباد أشنع ولا أخنع ولا أبشع من هذه الوسيلة إلا ما توسلوا بها إليه فإنه أقبح منها، لأنه عناد لله ﷻ ولرسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ولشريعته.

فكان حاصل ما هم فيه من ذلك أربع كبائر كل واحدة منها كفر بواح:

الأولى: العناد لله ﷻ.

والثانية: العناد لرسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ.

والثالثة: العناد للشريعة المطهرة وكيادها، ومحاولة إبطالها.

والرابعة: تكفير الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، الموصوفين في كتاب الله سبحانه بأنهم ﴿

أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ﴾ [الفتح: ٢٩]، وأن الله سبحانه يغيظ بهم الكفار، وأنه قد رضي عنهم﴾.

انتهى.

الأمر إلى ما لا يخفى على أحد. ولهذا بعضهم يبدأ بكلمات في انتقاد التاريخ الإسلامي، وأخرى في التشكيك في البخاري، تليها أخرى أشد نكارة في معاوية بن أبي سفيان وأبي هريرة، وهكذا، حتى ينتهي به الأمر إلى سب الصحابة جميعاً، والتشكيك في الشريعة عامة.

وطالب العلم الحصيف الذكي أول ما يرى هذه الكلمات يتفطن بأن هناك رائحة ضلالة قادمة، فيحاول أن يقطعها قبل أن تمتد في الخلق، والله يحفظ ديار المسلمين من الشرك والبدع والمعاصي ودعاتها. آمين.

وقد جرت سنة الله سبحانه، أنه ما خاض أحدٌ في عرض صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا رأى الناس فيه من آيات الله عجباً، وما تلوث أحدٌ بسبِّ الصحابة إلا رأيتُهُ مُحْتَقراً ذليلاً مهيناً في الدنيا قبل الآخرة، ﴿وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى﴾ [طه: 127]، لأنَّ الله قد أعلن الحربَ على من آذى له ولياً واحداً، فكيف إذا كان هذا الولي هم سادة الخلق بعد الأنبياء، وهم الصحابة رضي الله عنهم؟! (1)

1- انظر: «الصارم المسلول» (ص 587)، و«الفتاوى» (4/ 583)، لابن تيمية، و«ذب الإمام الشوكاني عن صحابة النبي العدناني» (ص 44). وعقدت فصلاً في كتابي: «شرح عقيدة ابن سعدي» بعنوان: (سنة الله فيمن سب صحابة رسوله صلى الله عليه وسلم).

### فضل الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ

قال الناظم بعدها، مُبَيَّنًا فضل الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، ومستشهدًا لذلك:

**فَقَدْ نَطَقَ الْوَحْيُ الْمُبِينُ بِفَضْلِهِمْ      فِي الْفَتْحِ آيٍ لِلصَّحَابَةِ تَمْدَحُ**

قوله: (فَقَدْ نَطَقَ) مأخوذ من قوله تعالى: ﴿هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ﴾ [الحائية:

٢٩]، وقوله: (الْوَحْيُ): أي القرآن، وإن كان الْوَحْيُ يُطْلَقُ عَلَى الْكِتَابِ وَالسَّنَةِ جَمِيعًا، فَإِنَّ السَّنَةَ وَحْيٌ مِنَ اللَّهِ وَإِنْ كَانَتْ أَلْفَاظُهَا مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللَّهِ، وَأَمَّا الْقُرْآنُ فَهُوَ لَفْظًا وَمَعْنَى مِنْ عِنْدِ اللَّهِ جَلَّ جَلَالُهُ، وَلَكِنَّ السِّيَاقَ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ مَرَادَ النَّازِمِ هُنَا الْقُرْآنَ، بِدَلِيلِ قَوْلِهِ بَعْدَهَا: (وَفِي الْفَتْحِ آيٍ لِلصَّحَابَةِ تَمْدَحُ).

وقوله: (الْوَحْيُ الْمُبِينُ)، كما قال تعالى: ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ [يوسف: ١]، أي: الواضح الجلي، الذي يُفْصِحُ عَنِ الْأَشْيَاءِ الْمُبْهَمَةِ وَيُفَسِّرُهَا وَيُبَيِّنُهَا<sup>(١)</sup>، ويوضح الحق من الباطل، والهدى من الضلال.

والأمر الذي نطق به (الْوَحْيُ الْمُبِينُ) هو فضل الصحابة، ورضوان الله عليهم، وتزكيتهم لهم، في آيات كثيرة، ومن ذلك آيات «سورة الفتح»، ولهذا قال: (وَفِي الْفَتْحِ آيٍ لِلصَّحَابَةِ تَمْدَحُ).

قال العلامة صدِّيق حسن خان القنوجي رَحِمَهُ اللهُ<sup>(٢)</sup>: «فَمَنْ أَبْغَضَهُمْ (يعني الصحابة) ونسبهم إلى سوء في القول أو في العمل فهو غير عارف بمدارك الآيات

1- انظر: «تفسير ابن كثير» (4/365).

2- «الدين الخالص» (3/288).

الشريفة في شأنهم، وبمعزل عن الصدق والإنصاف، مغمور في الجهل والاعتساف». انتهى.

وقال ابن سعدي رَحِمَهُ اللهُ<sup>(1)</sup>: «ذكر الله ورسوله للصحابة فضائل كثيرة، على الأمة الإيمان بها، وأن يدينوا الله بها، ويحبوا الصحابة لأجلها». انتهى.

و(آي): جمع آيه، (للصحابة) رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، (تمدح): بذكر فضائلهم، وتزكية ظاهرهم وباطنهم. وخص الناظم آيات الفتح بالذكر لعظيم ما اشتملت عليه من المعاني البديعة والمآثر الرفيعة والمزايا العظيمة، والمناقب الجسيمة. و«سورة الفتح» الشريفة نزلت على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في السنة السادسة من الهجرة بعد انصرافه من الحديبية، وفيها كانت بيعة الرضوان، وكانوا أربع عشر مائة على المشهور.<sup>(2)</sup>

ومن هذه الآيات قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمُسَوِّبُهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح: ١٠]، وقوله: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح: ١٨]، وقوله جلَّ شأنه: ﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ الْحَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ

1- «التنبيهات اللطيفة فيما احتوت عليه الواسطية من المباحث المنيفة» (ص 114).

2- انظر: «لوائح الأنوار» (2/ 94، 101).

سَكِينَةٌ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالزَّمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا  
وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿ [الفتح: ٢٦].

وفي ختام السورة آية عظيمة في بيان منزلة الصحابة عند الله، وأنهم المذكورون في  
الكتب السابقة كالتوراة والإنجيل، قال تعالى: ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى  
الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ  
مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَفَازَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ  
فَاسْتَوَى عَلَى سُوْقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ  
مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿ [الفتح: ٢٩].<sup>(1)</sup>

قال العلامة ابن عاشور رَحِمَهُ اللهُ<sup>(2)</sup>: «والمراد: أصحابه كلهم لا خصوص أهل  
الحديبية، وإن كانوا هم المقصود ابتداء». وقال<sup>(3)</sup>: «وفي الجمع لهم بين هاتين الخليتين  
المتضادتين الشدة والرحمة إيماء إلى أصالة آرائهم وحكمة عقولهم، وأنهم يتصرفون في  
أخلاقهم وأعمالهم تصرف الحكمة والرشد، فلا تغلب على نفوسهم محمداً دون  
أخرى، ولا يندفعون إلى العمل بالجبلة وعدم الرؤية». انتهى.

وروي أن هارون الرشيد دخل المسجد النبوي فصلى ثم أتى مجلس الإمام مالك،  
فقال: «السلام عليك ورحمة الله وبركاته»، ثم قال له: «هل لمن سب أصحاب رسول

1- انظر: «التحفة السننية» (ص 67)، للشيخ عبد الرزاق العباد جزاه الله خيراً ونفع به.

2- «التحرير والتنوير» (203/26).

3- «المصدر السابق» (205/26).

الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الفيء حق؟»، فقال الإمام مالك: «لا، ولا كرامة»، قال: «من أين قلت ذلك؟»، فقال: «قال الله: ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾، فمن عابهم فهو كافر، ولا حق للكافر في الفيء». (1)

وقال أيضا: «من أصبح من الناس في قلبه غيظ على أحد من أصحاب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقد أصابته هذه الآية»، يعني قوله تعالى: ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾. علق على هذا الأثر القرطبي بقوله (2): «لقد أحسن مالك في مقاله وأصاب في تأويله، فمن نقص واحدا منهم أو طعن عليه في روايته فقد رد على الله رب العالمين، وأبطل شرائع المسلمين». انتهى.

وفي الباب نصوص كثيرة في فضائل الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ (3)، تتبعها أهل العلم وأفردوا لها المصنفات المستقلة، والفصول والأبواب في كتب العلم والعقيدة والحديث، من طلبها وجدها. (4)

1- «ترتيب المدارك» (2/46)، بتصرف.

2- «الجامع لأحكام القرآن» (16/297).

3- نقلت طائفة من النصوص في فضائل الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ في «شرح عقيدة ابن سعدي»، و«واسع المنة بالتعليق على شرح السنة للمزني»، نفع الله بهما.

4- ومن ذلك: «فضائل الصحابة»، للنسائي، والدارقطني، و«الإنصاف في فضائل الصحابة الأشراف»، لابن البناء، ومن أفضلها وأقدمها «فضائل الصحابة»، للإمام أحمد ابن حنبل، وانظر مقدمة الشيخ وصي الله عباس لتحقيقه (1/17-20).

قال حافظ حكيمي في «سلم الوصول»<sup>(1)</sup>:

فَكُلُّهُمْ فِي مُحْكَمِ الْقُرْآنِ      أَثْنَى عَلَيْهِمْ خَالِقُ الْأَكْوَانِ  
فِي الْفَتْحِ وَالْحَدِيدِ وَالْقِتَالِ      وَغَيْرَهَا بِأَكْمَلِ الْخِصَالِ  
كَذَلِكَ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ      صِفَاتُهُمْ مَعْلُومَةُ التَّفْصِيلِ  
وَذَكَرُهُمْ فِي سُنَّةِ الْمُخْتَارِ      قَدْ سَارَ سَيْرَ الشَّمْسِ فِي الْأَقْطَارِ

وفي المعاصرين كتاب حافل بعنوان: «الأحاديث الواردة في فضائل الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ»، في 12 مجلد، للشيخ

سعود الصاعدي رَحِمَهُ اللَّهُ رَحْمَةً وَاسِعَةً، وقد توفي من قريب.

وصدر منذ أيام (ونحن في جمادى الآخرة من عام 1440) كتاب حافل للشيخ حمد العثمان بعنوان «خير

الناس» يَبِّينُ فِيهِ أَوْجُهَ تَمْيِيزِ جَيْلِ الصَّحَابَةِ رِضْوَانِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ.

1- «معارج القبول» (3/ 1196).

## تفاضل الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ

وفي ختام هذه المباحث المتعلقة بالصحابة رضوان الله عليهم - والتي أطلت فيها لشدة الحاجة سيما في هذه الأعصار - أرى من المناسب ذكر مراتب الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ.

فأقول: طبقاً لهم رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ في الفضل من حيث الإجمال على هذا النحو: (1)

- المهاجرون أفضل الصحابة لجمعهم بين الهجرة والنصرة،
- ثم أهل بدر، (2)
- ويليهم الأنصار،
- ثم من شهد بيعة الرضوان، الذين قال الله فيهم: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلِ أَوْلِيَّكَ أَكْبَرُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ وَقَتْلِهِ﴾، والفتح هنا: هو صلح الحديبية على الصحيح.
- ثم من أسلم قبل الفتح، أي: فتح مكة.

1- انظر: «باب في التفضيل» من «سنن أبي داود» (30/7)، و«الإصابة» (23/1)، لابن حجر، و«لوامع الأنوار البهية» (2/324-396)، و«لوائح الأنوار» (2/67)، للسفاريني. وأحسن العلامة صالح آل الشيخ في تفصيل هذه المسألة في «اللآلئ البهية» (2/425-434).

2- قال أبو الحسن الأشعري في «رسالة إلى أهل الثغر» (ص 170): «وأجمعوا على أن خير القرون قرن الصحابة، ثم الذين يلونهم، على ما قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «خيركم قرني»، وعلى أن خير الصحابة أهل بدر، وخير أهل بدر العشرة، وخير العشرة الأئمة الأربعة: أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي، رضوان الله عليهم». انتهى.

• ويليه من أسلم بعد ذلك، من باقي الصحابة الكرام رضوان الله عليهم أجمعين. وعلى هذا، فحُبُّنا للصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ يتفاوتُ على قدر فضلهم ومنزلتهم، لأنَّ حبَّ المؤمن تبعٌ لمحبة الله جلَّ جلاله ومحبة رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كما قال المزي رَحِمَهُ اللهُ في «شرح السنة»<sup>(1)</sup>: «وَنُخْلِصُ لِكُلِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ مِنَ الْمَحَبَّةِ بِقَدْرِ الَّذِي أَوْجَبَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ التَّفْضِيلِ».

وهذا آخر الكلام على عقيدة السلف في الصحابة رضوان الله عليهم.<sup>(2)</sup>



1- انظر: «واسع المنة في التعليق على شرح السنة»، للمؤلف -عفا الله عنه-.

2- جاء بعد هذه الأبيات في فضل الصحابة أبيات أخرى مُدرجة، منها سبعة جاءت في آخر «الكتاب اللطيف لشرح مذاهب أهل السنة» (ص 255)، لابن شاهين، ومن هذه السبعة ثلاثة، وهي:

|  |   |
|--|---|
| وَعَايَشُ أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ وَخَالَنَا      | مُعَاوِيَةَ أَكْرِمَ بِهِ فَهُوَ مُصْلِحٌ         |
| وَأَنْصَارُهُ وَالْهَاجِرُونَ دِيَارَهُمْ      | بَنَصْرَهُمْ عَنِ ظِلْمَةِ النَّارِ زَحْزُحُوا    |
| وَمَنْ بَعْدَهُمْ وَالتَّابِعُونَ بِحُسْنِ مَا | حَدَوْا حَذْوَهُمْ قَوْلًا وَفِعْلًا فَأَفْلَحُوا |

وهذه الأبيات شرحها السفاريني في «لوائح الأنوار»، وصرح (2/ 105) أنها: «ليست من كلام الناظم الذي هو الإمام الحافظ أبو بكر بن أبي داود، بل من كلام العلامة المحقق ابن البناء». انتهى.

قلت: وهذه الأبيات زادها ابن البناء في شرحه للحائية المسمى: «الأصول المجردة على ترتيب القصيدة المجودة»، وهو تعليق مختصر على هذه القصيدة، وعليه شرح لشيخنا صالح بن عبد الله العصيمي سدده الله تعالى في درس واحد. ويظهر من حيث السبك والصناعة الشعرية أن هذه الأبيات ليست للناظم، وعليه فلا حاجة لنا بشرحها في هذا الموضوع.

## الإيمان بالقدر

بعد أن أنهى الناظم الكلام على عقيدة أهل السنة في صحابة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، انتقل إلى الركن السادس من أركان الإيمان وهو الإيمان بالقدر خيره وشره. (1)

فقال رَحِمَهُ اللهُ:

**وَبِالْقَدْرِ الْمَقْدُورِ أَيْقِنْ فَإِنَّهُ دِعَامَةٌ عِقْدِ الدِّينِ وَالدِّينُ أُنْفِیْحُ**

فقوله: **(وَبِالْقَدْرِ)**، المقصود به: القضاء والقدر، **(الْمَقْدُورِ)** أي: المقدَّر من عند الله،

قال تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩] (2)، وقال تعالى: ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا

﴾ [النساء: ٤٧]، وقال جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ نَقْدِيرًا﴾ [الفرقان: ٢]، أي: وكان

1- وقد أفرد له أهل العلم سلفا وخلفا كتبا مستقلة، تنوعت طرائق أهلها بين متوسع ومختصر، وراو بالأسانيد وآخر على المتن يقتصر، ومن ذلك -على سبيل الإشارة-:

«القدر» لابن وهب وللغريابي، و«القضاء والقدر»، للبيهقي، و«تائية القدر»، لابن تيمية، مع شروحا (ومن ذلك شرح ابن سعدي «الدرة البهية»)، و«شفاء العليل»، لابن القيم، و«رفع الشبهة والغرر عمن يحتج على فعل المعاصي بالقدر»، لمرعي الكرمي... وفي المعاصرين: «القضاء والقدر»، لابن عثيمين، والأشقر، وآل محمود... والأخير كتابه موسع وشامل في بابه...

2- روى الغريابي في «القدر» (ص 69) وغيره عن محمد بن كعب القرظي أنه قال عن هذه الآية: «نزلت تعييرا لأهل القدر».

أمر الله الذي يقدره كائنا لا محالة، وواقعا لا محيد عنه ولا معدّل، وقضاء مقضياً، وحكماً مبتوتاً، لأنّ ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن.<sup>(1)</sup>

وقوله: (أيقن) أي: فليستيقن قلبك به، واليقين ضد الشك والريب والتردد، فهنا لا بد أن تجزم بهذه العقيدة ومن ذلك عقيدتك في القدر، (فإنه) أي: الإيمان بالقدر (دعامة) أي: أساس وعمود، من الدعم وهو التقوية، وجمعها دعائم، (عقد الدين)، لأنّ الدين كالعقد الذي يوضع في الجيد (العنق) وفيه خرزات، وهذه الخرزات يشدها شيء حتى لا تتفكك وتتساقط، والقدر من الأركان الأساسية التي ينبنى عليها إيمان الموحدين، ولا يصح إيمان العبد إلا به، وفي حديث جبريل المشهور قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الإيمان: أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ»<sup>(2)</sup>.

و(أل) في قوله: (الدين) للعهد، أي دين الله الذي بعث به رسوله محمدا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأنزل به كتابه.<sup>(3)</sup>

1- انظر: «تفسير ابن كثير» (6/427)، و«فتح البيان في مقاصد القرآن» (11/99)، لصديق حسن خان.

2- رواه مسلم (1).

3- انظر: «لوائح الأنوار» (2/117).

## أهمية الإيمان بالقدر

والإيمان بالقدر من أهم ما يجب معرفته على المكلف النبيل فضلا عن الفاضل الجليل، فهو من أسنى المقاصد والإيمان به قطب رحى التوحيد ونظامه، ومبدأ الدين المبين وختامه، فهو أحد أركان الإيمان، وقاعدة أساس الإحسان.<sup>(1)</sup>

ولكن الإيمان بالقدر بعض الإيمان وليس كل الإيمان، ولهذا قال **(والدين أفيح)** أي: أوسع<sup>(2)</sup>، فإن مراتب الدين ثلاث: إيمان وإسلام وإحسان. والقدر من الإيمان، فهو إذن بعض الدين، ومن أركانه العظمى، ولكن الدين أوسع من هذا.

قال ابن سعدي رَحِمَهُ اللهُ<sup>(3)</sup>: «الإيمان بالقدر أمره عظيم وشأنه مهم جداً، وهو أحد أركان الإيمان الستة، وقد انحرف فيه طوائف من أهل البدع والضلال، فضلا عن المنكرين من الملحدين وغيرهم». انتهى.

1- «شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل» (ص 2)، لابن القيم.

2- وحمل السفاريني في شرحه (2/ 117) قول الناظم: **(والدين أفيح)** أي أنه واسع لا حرج فيه.

قلت: وفي هذا نظر -والله أعلم- فإن ذكر محاسن الدين الإسلامي وأنه لا حرج فيه لا علاقة له بالكلام على القدر هنا، وإنما المراد -كما سبق بيانه- أن الدين أوسع من القدر، فالقدر من أسس الإيمان وليس كل الدين.

ومع هذا، فلا شك أن الدين واسع لا حرج فيه كما قال تعالى ﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ﴾

[المائدة: 6]، وقال: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: 78]، ومن قواعد الشريعة الكلية: «المشقة

تجلب التيسير»، ويندرج تحتها قاعدة: «الأمر إذا ضاق اتسع»، وبسط هذا في كتب القواعد الفقهية.

3- «التنبيهات اللطيفة» (ص 92).

وقال رَحِمَهُ اللهُ<sup>(1)</sup>: «قد ثبت بالكتاب والسنة وإجماع الأمة أن الإيمان بالقدر أحد أركان الإيمان، وأنه ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، فمن لم يؤمن بهذا فإنه ما آمن حقيقة». انتهى.

فإن الذي لا يؤمن بالقدر لا يصح دينه، ولا تُقبل أعماله، ولهذا قال ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا لما بلغه أن معبدا الجهني وأصحابه أنكروا القدر وزعموا أنه لا قدر وأن الأمر أنف - أي: حادث -<sup>(2)</sup>، قال: «فَإِذَا لَقِيتَ أَوْلِيكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنِّي بَرِيءٌ مِنْهُمْ، وَأَتَمُّهُمْ بَرَاءً مِنِّي»، وَالَّذِي يَخْلِفُ بِهِ عَبْدُ اللهِ بْنِ عُمَرَ «لَوْ أَنَّ لِأَحَدِهِمْ مِثْلَ أَحَدٍ ذَهَبًا، فَأَنْفَقَهُ مَا قَبِلَ اللهُ مِنْهُ حَتَّى يُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ»<sup>(3)</sup>.

روى البيهقي<sup>(4)</sup> عن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنه قال: «إِنْ أَحَدَكُمْ لَنْ يَخْلُصَ الْإِيمَانَ إِلَى قَلْبِهِ حَتَّى يَسْتَيْقِنَ يَقِينًا غَيْرَ ظَنٍّ أَنْ مَا أَصَابَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئْهُ، وَأَنْ مَا أَخْطَأَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبْهُ، وَيَقَرَّ بِالْقَدَرِ كُلِّهِ».

وقال الحسن البصري رَحِمَهُ اللهُ: «من كفر بالقدر، فقد كفر بالإسلام»، ثم قال: «إن الله خلق خلقا فخلقهم بقدر، وقسم الأجال بقدر، وقسم أرزاقهم بقدر، والبلاء بقدر، والعافية بقدر»<sup>(5)</sup>.

1- «القول السديد» (ص 180).

2- بمعنى أن الله لا يعلم الأمور إلا بعد وقوعها، تعالى الله عن كفرهم علوا كبيرا، وسبحانه بكرة وأصيلا.

3- رواه مسلم (1)، وهو مقدمة حديث جبريل المشهور.

4- في «الفضاء والقدر» (ص 299).

5- انظر: «الشرعية» (2/ 882)، و«القدر» (ص 188)، للفرجاني.

وقال إبراهيم بن إسحاق الحربي رَحِمَهُ اللهُ: «أجمع عقلاء كل أمة أنه من لم يجرم مع القدر لم يتهنَّ بعيشه». (1)

---

1- «صفة الصفوة» (1/ 512)، لابن الجوزي. قال الشوكاني معلقا على هذا الكلام في «قطر الولي على حديث الولي» (ص 396): «وهذا صحيح، فما تعاضمت القلوب بالمصائب، وصاقت بها الأنفس وخرجت بها الصدور، إلا من ضعف الإيمان بالقدر. اللهم ارحمنا برحمتك، فإننا من الضعف ما أنت أعلم به، ومن عدم الصبر على حوادث الزمان ما لا يخفى عليك، ومن عدم الثبات عند المحن ما لديك حقيقة». انتهى.

## مراتب الإيمان بالقدر

والإيمان القدر: هو الإيمان بأنه لا يقع شيء في الوجود إلا بعلم الله الأزلي، وكتابته السابقة ومشيئته لما وقع، وخلق له، خيراً أو شراً، حلواً أو مُراً. (1)

وهذه هي مراتب القدر الأربع إجمالاً، وهي على التفصيل: (2)

المرتبة الأولى: الإيمان بأن الله عليمٌ الله محيط بكل شيء، لا يعزب (3) عنه مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض، فيعلم ما كان، ويعلم ما يكون، ويعلم ما سيكون، ويعلم ما لا يكون لو كان كيف كان يكون، وأنه تعالى قد علم جميع خلقه قبل أن يخلقهم، وعلم أرزاقهم وآجالهم وأقوالهم وأعمالهم وجميع حركاتهم وسكناتهم وأسرارهم وعلانيتهم، ومن هو منهم من أهل الجنة، ومن هو منهم من أهل النار. قال تعالى:

﴿ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزِلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [لقمان: ٣٤]، فهو عليم بالظاهر، خبير بالباطن، وقال تعالى: ﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلْمَتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ [الأنعام: ٥٩]، وقال جلَّ شأنه: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ

1- «موسوعة العقيدة» (5/ 2318).

2- انظر: «أعلام السنة المنشورة» (ص 78، وما بعدها)، لحافظ حكيمي. ولشيخنا صالح العصيمي تعليق نفيس عليه، منشور على موقعه، وقد فرغ وعلقت على بعض أجزائه، يسر الله إخراجها.

3- أي: لا يعيب.

مَنْ يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِ<sup>ط</sup> وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿ [الأنعام: ١١٧]، إلى آخر ذلك من الآيات التي لا تُحصى إلا بكُلفة.

وقد أنكر هذه المرتبة والتي تليها غلاة القدرية، ولهذا لما سئل الإمام مالك رَحِمَهُ اللهُ عن «القدرية»، من هم؟ قال: «إنهم الذين يقولون: إنَّ الله لا يعلمُ الشيء قبل كونه»<sup>(1)</sup>. وقد قال كثيرٌ من السلف: «ناظروا القدرية بالعلم، فإن أقرُّوا به خُصِّموا، وإن جحدوا فقد كَفَرُوا»، يريدون: أن من أنكر العلم القديم السابق بأفعال العباد، وأنَّ الله تعالى قَسَمَهُم قبل خلقهم إلى شقي وسعيد، وكتب ذلك عنده في كتاب حفيظ، فقد كَذَّبَ بالقرآن، فيكفِّرُ بذلك، وإن أقرُّوا بذلك وأنكروا أن الله خَلَقَ أفعال العباد وشاءها وأرادها منهم إرادة كونية قدريةً فقد خُصِّموا، لأنَّ ما أقرُّوا به حُجَّةٌ عليهم فيما أنكروه.<sup>(2)</sup>

قال أبو العباس القرطبي رَحِمَهُ اللهُ<sup>(3)</sup>: «قد انقرضَ هذا المذهب، ولا نعرفُ أحدًا يُنسَبُ إليه من المتأخرين. والقدرية اليومَ مُطبِقونَ على أنَّ الله عالمٌ بأفعال العباد قبل وقوعها، وإنَّما خالفوا السلف في زعمهم بأنَّ أفعال العباد مقدورةٌ لهم، وواقعةٌ منهم على جهة الاستقلال». انتهى.

1- انظر: «منهج الإمام مالك في إثبات العقيدة» (ص 501-502)، للدعجان.

2- «جامع العلوم والحكم» (ص 45).

3- «المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم» (1/132).

وقال الحافظ النووي رَحِمَهُ اللهُ<sup>(1)</sup>: «وصارت القدرية في الأزمان المتأخرة تعتقد إثبات القدر، ولكن يقولون: الخير من الله، والشر من غيره، تعالى الله عن قولهم». انتهى.

قلت: والذين ذكرهم القرطبي والنووي: هم المعتزلة الذين أنكروا عموم مشيئة الله، وزعموا أن المعاصي لم يشأها الله، وأن الإنسان يخلق فعل نفسه. وهذا سيأتي تفصيله في الكلام على المرتبة الثالثة والرابعة.

المرتبة الثانية: هي الإيذان بأن الله تعالى قد كتب جميع ما سبق به علمه أنه كائن، وأنه كتب كل شيء في اللوح المحفوظ بالقلم، فالقلم آلة كتابة القدر، واللوح المحفوظ هو الموضع الذي كتب فيه القدر. وهذه الكتابة هي الكتابة العامة<sup>(2)</sup> التي لا يتخلف عنها شيء مما هو كائن في هذه الدنيا.

1- «شرح صحيح مسلم» (1/154).

2- وهناك كتابات أخرى خاصة، كالكتابة العُمرية (نسبةً لعمر الإنسان)، فالعبد إذا كان في بطن أمه يبعث الله إليه ملكا، فيؤمر بأربع كلمات، بكتب عمله، ووزقه، وأجله، وشقي أو سعيد، ثم ينفخ فيه الروح.

وأما الكتابة السنوية أو الحولية، فهي التي تكون في ليلة القدر، كما قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبْرَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾<sup>(٣)</sup> فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ<sup>(٤)</sup> أَمْرًا مِّنْ عِنْدِنَا ﴿الدخان: ٣ - ٥﴾. قال مجاهد: «في ليلة القدر كل أمر يكون في السنة إلى السنة: الحياة والموت، يقدر فيها المعاش والمصائب كلها»، وقال ابن جرير في «تفسيره» (11/22): «في هذه الليلة المباركة يُقضى ويُفصل كل أمر أحكمه الله تعالى في تلك السنة إلى مثلها من السنة الأخرى». انتهى.

وهناك كتابة يومية، على أحد الأقوال، وهي التي ذكرت في «سورة الرحمن»، قال تعالى: ﴿يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن: ٢٩].

والأدلة على هذه المرتبة كثيرة، منها قول الله تعالى: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامِهِ مُبِينٍ﴾ [يس: ١٢]، وقوله: ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا يَعْلَمُهُ وَمَا يَعْمُرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقِصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [فاطر: ١١]، وقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كُتِبَ اللَّهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، قَالَ: وَعَرَّشُهُ عَلَى الْمَاءِ»<sup>(1)</sup>، وقال عبادة بن الصَّامِتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لابنه: «يَا بُنَيَّ إِنَّكَ لَنْ تَجِدَ طَعْمَ حَقِيقَةِ الْإِيمَانِ حَتَّى تَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَمَا أَخْطَاكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِنْ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْقَلَمُ، فَقَالَ لَهُ: اكْتُبْ، قَالَ: رَبِّ، وَمَاذَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: اكْتُبْ مَقَادِيرَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ»، يَا بُنَيَّ، إِنْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «مَنْ مَاتَ عَلَى غَيْرِ هَذَا

وهذه الكتابات مأخوذة أساساً من اللوح المحفوظ، وبعضها قد يتغير كالكتابة السنوية واليومية، وأما العمرية والتي في اللوح المحفوظ فهي لا تتبدل ولا تتغير، على تفصيل ليس هذا موضع بسطه، قال جل وعلا: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ [الرعد: ٣٩]، أي: اللوح المحفوظ.

ولرعي الكرمي الحنبلي رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى رسالة بعنوان: «إتحاف ذوي الألباب في قوله تعالى: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾».

فليس مني»<sup>(1)</sup>، وقال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «مَا مِنْ نَفْسٍ مَنُفُوسَةٍ إِلَّا كُتِبَ مَكَانُهَا مِنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، وَإِلَّا قَدْ كُتِبَ شَقِيَّةً أَوْ سَعِيدَةً»<sup>(2)</sup>.

والمرتبة الثالثة: هي الإيمان بمشيئة الله تعالى النافذة، وقدرته الشاملة، فما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، فلا يقع شيء في ملك الله من طاعة الطائعين أو معصية العاصين ومصيبة المصابين أو فرحة الفرحين، إلا بمشيئة الله جل وعلا، قال تعالى: ﴿وَلَا نَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ [الكهف: ٢٣ - ٢٤]، وقال سبحانه: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ﴾ [الأنعام: ١٣٧]، وقال جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَفْتَلَوْا﴾ [البقرة: ٢٥٣]، وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ كُلَّهَا بَيْنَ إِبْصَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ، كَقَلْبٍ وَاحِدٍ، يُصَرِّفُهُ حَيْثُ يَشَاءُ»<sup>(3)</sup>.

فمشيئة الله وحده مستلزمة لكل ما يريد، فما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، وما سواه لا تستلزم إرادته شيئاً، بل ما أَرَادَهُ لا يكون إلا بأمور خارجة عن مقدوره، إن لم يعنه الرَّبُّ بها لم يحصل مراده، ونفس إرادته لا تحصل إلا بمشيئة الله تعالى، كما قال تعالى: ﴿لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [التكوير: ٢٨ - ٢٩]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ﴿٢٩﴾ وَمَا

1- رواه أحمد (22705)، وأبو داود (4700)، والترمذي (2155)، وغيرهم، وصححه الألباني في «الصحيحة» (133).

2- رواه البخاري (1362)، ومسلم (2647).

3- رواه مسلم (2654).

تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾ يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ  
أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿[الإنسان: ٢٩ - ٣١]، وقال: ﴿فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ﴾ ﴿٥٥﴾ وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا  
أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ هُوَ أَهْلُ الْقُوَى وَأَهْلُ الْغَفَرَةِ ﴿[المدثر: ٥٥ - ٥٦].<sup>(١)</sup>

والمشيئة هي الإرادة الكونية، لأنَّ الإرادة نوعان: شرعية وكونية<sup>(٢)</sup>. وحاصل  
الفرق بينهما كما قال العلامة الشنقيطي رَحِمَهُ اللهُ<sup>(٣)</sup>: «أن الله دعا جميع الناس على ألسنة  
رُسُلِهِ إلى الإيمان به وعبادته وحده وأمرهم بذلك، وأمره بذلك مُستلزمٌ للإرادة الدِّينية  
الشَّرعية، ثم إن الله جَلَّ وعلا يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ مِنْهُمْ وَيُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ بِإِرَادَتِهِ الْكُونِيَّةِ  
الْقَدْرِيَّةِ فَيَصِيرُونَ إِلَى مَا سَبَقَ بِهِ الْعِلْمُ مِنْ شَقَاوَةٍ وَسَعَادَةٍ...». انتهى.

ولا تلازم بين الإرادتين، بل قد تتعلق كل منهما بما لا تتعلق به الأخرى، فبينهما  
عموم وخصوص من وجه.

فالإرادة الكونية أعم من جهة تعلقها بما لا يحبه الله ويرضاه من الكفر والمعاصي،  
وأخص من جهة أنها لا تتعلق بمثل إيمان الكافر وطاعة الفاسق.  
والإرادة الشرعية أعم من جهة تعلقها بكل مأمور به واقعا كان أو غير واقع،  
وأخص من جهة أن الواقع بالإرادة الكونية قد يكون غير مأمور به.

1- «مجموع الفتاوى» (283/5) (331/10).

2- ومنشأ الضلال والانحراف في باب القدر من جراء عدم التفريق بين الإرادتين: الكونية والشرعية، وقياس  
أفعال الله بأفعال الخلق، ودخول العقل في التحسين والتقييح، وعدم التسليم لأمر الله وقضائه.

انظر تفصيل هذا في «شرح الطحاوية» (1/414)، للعلامة صالح آل الشيخ، جزاه الله عنا خيرا.

3- «أضواء البيان» (7/448)، وانظر: «دفع إيهام الاضطراب» (ص 122)، له أيضا.

والحاصل أن الإرادتين قد تجتمعان معا في مثل إيمان المؤمن، وطاعة المطيع، وتنفرد الكونية في مثل كفر الكافر، ومعصية العاصي، وتنفرد الشرعية في مثل إيمان الكافر، وطاعة العاصي.<sup>(1)</sup>

والمرتبة الرابعة: من الإيمان بالقدر هي الإيمان بخلق الله تعالى لكل ما يقع في ملكه، ومن ذلك أفعال العباد مؤمنهم وكافرهم، فإن العمل لا يتم إلا بإرادة جازمة، وقدرة تامة، وكلاهما مخلوق لله، فدلّ على أنّ الناتج عنهما -وهو العمل- مخلوق، فإنّ ما نتج عن المخلوق مخلوق.

1- «شرح الواسطية» (ص 100)، للهراس. وقال ابن سعدي في «التنبيهات اللطيفة» (ص 102):

«ولما ضاق تحقيق هذا المقام على قلوب كثير من الخلق انحرفت هنا طائفتان من الناس:

طائفة يقال لهم الجبرية: غلّوا في إثبات القدر وتوهموا أن العبد ليس له فعل حقيقة، وأنه لا يمكن أن يثبت للعبد عموم المشيئة، ولا يثبت له أيضًا عموم الاختيار.

والطائفة الأخرى: القدرية، قابلتهم فشهدت وقوع أفعالهم بقدرتهم واختيارهم، وتوهموا أنه لا يمكن مع ذلك أن يدخل ذلك في قضاء الله وقدره. ولم تتسع قلوب الجبرية والقدرية للجمع بين الأمرين.

فرد كل منهما قسماً كبيراً من نصوص الكتاب والسنة المؤيدة للقول الصحيح، وهدى الله أهل السنة والجماعة فأمنوا بجميع الكتاب والسنة، وآمنوا بقضائه وقدره وشمولها لكل موجود وبشرعه وأمره، وأن العباد فاعلون حقيقة مختارون. فإيمانهم بعموم القدر يوجب لهم الاستعانة التامة برههم». انتهى.

والخلاصة كما قال شيخنا العصيمي في شرحه لـ «أعلام السنة المنشورة»: «القدرية من المعتزلة أثبتوا الإرادة الشرعية فقط، وقابلتهم الجبرية فأثبتت الإرادة الكونية فقط، فغلطت كل طائفة فيما تركت من حقيقة إرادة ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ونشأ من غلطهما في الإرادة غلطهم في القدر». انتهى.

قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصفات: ٩٦]، أي أَنَّ الله جل وعلا خلق العامل وعمله، فكلُّ فعل لا يكون إلا إذا خلقه الله.

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ<sup>(١)</sup>: «يَحْتَمِلُ أَنْ تَكُونَ «مَا» فِي قَوْلِهِ: ﴿وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ مَصْدَرِيَّةً، فَيَكُونُ تَقْدِيرُ الْكَلَامِ: «وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَعَمَلَكُمْ». وَيَحْتَمِلُ أَنْ تَكُونَ بِمَعْنَى «الَّذِي»، وَتَقْدِيرُهُ: «وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَالَّذِي تَعْمَلُونَهُ». وَكِلَا الْقَوْلَيْنِ مُتَلَازِمٌ، وَالْأَوَّلُ أَظْهَرَ، لَمَّا رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ فِي كِتَابِ «خَلْقِ أَفْعَالِ الْعِبَادِ»<sup>(٢)</sup>، عَنْ حَزِيْفَةَ مَرْفُوعًا قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ يَصْنَعُ كُلَّ صَانِعٍ وَصَنَعَتُهُ»<sup>(٣)</sup>. انتهى.

1- «التفسير» (26 / 7)، باختصار وتصرف يسير.

2- (ص 46).

3- ورواه ابن أبي عاصم في «السنة» (357)، وغيره، وصححه الألباني في «السلسلة» (1637).

### الرد على الجبرية وبيان أنه لا حجة لعاصٍ في القدر

ومن العجائب أن الجبرية استدلوا بهذه الآية لباطلهم، ووجه استدلالهم هو أن الله إذا كان يخلق أعمال العباد فهذا يدل على أنه ليس لهم اختيار في ذلك، وأن الله قد أجبرهم على ذلك؟! هكذا زعموا، جهلا ومكابرة للمعقول والمنقول.

والجواب عن هذا، أن يُقال: إن الله ما كان لِيُلْهِمَ الكفار من قوم إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ الحجةَ عليه بعد أن آتاه الحجة عليهم، إذ لو كان يريد المعنى الذي زعمته الجبرية لرد عليه قومه قائلين: (فما بالك تلومنا على أمر لا إرادة لنا فيه، ولا قدرة لنا عليه، ولا حيلة لنا في الخلاص منه، لأن الله خلقنا وخلق عملنا، ومن ذلك: عبادتنا للأصنام، فلا توجه إلينا ذلك الكلام، ولا تصوب إلينا سهام العتاب والملام).

ولو كان إبراهيم يقصد ذلك المعنى لقامت الحجة عليه، ولا استطاع قومه أن يُفحموه، وما استطاع أن يرد عليهم.<sup>(1)</sup> ولكن التفسير الصحيح للآية الكريمة، والذي يساير نصوص القرآن ولا يُجافئها، ويوافقها ولا ينافئها، هو الذي مر ذكره في كلام ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ.

1- انظر: «العقائد السلفية بادلتها العقلية والعقلية» (1/ 459)، للعلامة أحمد ابن حجر آل بوطامي.

والحجج العقلية، والأمثلة اللطيفة، والقصص الظريفة في الرد على المستدلين بالقدر إفراطا وتفريطا، كثيرة ومبثوثة في كلام أهل العلم قديما وحديثا. انظر بعضها في «شرح الطحاوية» (ص 166)، لابن أبي العز رَحِمَهُ اللهُ.

إذا تقرر هذا، فليس شيء من الأمور التي تقع في ملك الله إلا وقد عَلِمَهَا اللهُ جَلَّ جَلَالُهُ أَزْلاً، ثم كَتَبَهَا فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ، ثم إذا شاءَهَا خَلَقَهَا، وهذه المراتب الأربعة عليها أصول الإيمان بالقدر، وفي كل مرتبة من هذه المراتب خالف طوائف من أهل الباطل، وهذه المراتب الأربع مترابطة في كل شيء من مقادير الله تعالى ولو في ريشة يتقلب بها الهواء، فالله يعلم عنها في سابق علمه، وكتب ذلك في سابق تقديره، ولم تتقلب إلا بمشيئته وتقديره، ولما شاء الله ذلك فيها خلقه وأوجده، ولو أراد جميع الخلق أن يدفعوا شيئاً شاءه الله وأراده ما استطاعوا، كما لو اجتمع الخلق على أن يحدثوا ما لم يردده الله تعالى ما استطاعوا ولو كان بعضهم لبعض ظهراً.<sup>(1)</sup>

قال ابن سعدي رَحِمَهُ اللهُ<sup>(2)</sup>: «والإيمان بالقدر لا يتم إلا بتحقيق هذه الأمور الأربعة التي يفتقر كل منها إلى البقية، وقد ارتبط بعضها ببعض ارتباطاً وثيقاً لا ينفصم إلا بالانحراف إلى الأقوال المنحرفة». انتهى.

1- انظر: «القصيدة الحائية في السنة» (ص 46)، لشيخنا بدر بن طامي العتيبي، سده الله ونفع به، (والتعليق مطبوع مع حاشيته على عقيدة السلف لابن أبي زيد القيرواني، ضمن مشروع طباعة الكتب السلفية).

2- «التنبيهات اللطيفة» (ص 92).

قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كُلُّ شَيْءٍ بِقَدَرٍ، حَتَّى الْعَجْزُ وَالْكَيْسُ»<sup>(1)</sup>. شرح هذا الحديث ابن عبد البر فقال<sup>(2)</sup>: «وفي هذا الحديث أدل الدلائل وأوضحها على أن الشر والخير كل من عند الله، وهو خالقهما لا شريك له ولا إله غيره». ثم روى عن عطاء بن أبي رباح أنه قال: «كنت عند ابن عباس فأتاه رجل فقال: «أرأيت من حرمني الهدى وأورثني الضلالة والردى، أترأه أحسن إلي أو ظلمني؟»، فقال ابن عباس: «إن كان الهدى شيئاً كان لك عنده فمنعك فقد ظلمك، وإن كان الهدى له يؤتاه من يشاء فما ظلمك شيئاً، ولا تجالسني بعده».

وذكر عن غيلان القدرى أنه قال لربيعة بن عبد الرحمن: «أنت الذي تزعم أن الله يجب أن يعصى»؟، فقال ربيعة: «وأنت تزعم أن الله يعصى قسراً».

قال ابن سعدي رَحِمَهُ اللهُ<sup>(3)</sup>: «فمن وجَّه وجهه وقصده لربه: حُبب إليه الإيمان وزينه في قلبه، وكرَّه إليه الكفر والفسوق والعصيان، وجعله من الراشدين، فتمت عليه نعم الله من كل وجه. ومن وجَّه وجهه لغير الله، بل تولى عدوه الشيطان: لم ييسره لهذه الأمور، بل وَلَّاهُ اللهُ ما تولى، وخذله، ووكله إلى نفسه، فضَلَّ وغوى وليس له على ربه حجة، فإن الله أعطاه جميع الأسباب التي يقدر بها على الهداية، ولكنه اختار الضلالة

1- رواه مسلم (2045).

2- «التمهيد» (63 / 6)

3- «بهجة قلوب الأبرار» (ص 29)

على الهدى، فلا يلومن إلا نفسه. قال تعالى: ﴿فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ إِنَّهُمْ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [الأعراف: ٣٠]. انتهى.

فمن احتج بالقدر على ترك الطاعة وفعل المعاصي، نقول له: لو كنت تريد السفر لمكة، وكان لها طريقان، أخبرك الصادق أن أحدهما مخوف صعب والثاني آمن سهل، فإنك ستسلك الثاني، ولا يمكن أن تسلك الأول وتقول: إنه مقدر عليّ، ولو فعلت ذلك لعدك الناس في قسم المجانين.

ونقول أيضا: لو عرض عليك وظيفتان، إحداهما ذات مرتب أكثر، فإنك سوف تعمل فيها دون الناقصة، فكيف تختار لنفسك في عمل الآخرة ما هو الأدنى ثم تحتج بالقدر؟

ونقول له أيضا: نراك إذا أصبت بمرض جسمي طرقت باب كل طبيب لعلاجك، وصبرت على ما ينالك من ألم عملية الجراحة وعلى مرارة الدواء، فلماذا لا تفعل مثل ذلك في مرض قلبك بالمعاصي؟<sup>(1)</sup>

يقول أبو الوفاء محمد درويش رَحِمَهُ اللهُ في رسالة له في «القضاء والقدر»<sup>(2)</sup>: «فإن قصرنا في عمل كان في وسعنا أن نعمله، وحق بنا تقصيرنا، كنا خلقاء باللوم والتشريب، وأحرياء بما أعد الله للمقصرين من الخيبة في الدنيا، والعذاب الأليم في

1- «عقيدة أهل السنة والجماعة» (ص 29)، لابن عثيمين.

2- نقلا عن «العقائد السلفية» (1/ 467)، لأحمد ابن حجر. وانظر: «التخلي عن التقليد والتحلي بالأصل

المفيد» (ص 225)، للحملاوي.

الآخرة، فكل امرئ يدرك إدراكا تاما الفرق بين ما يأتيه وما يذر، وما يصيبه وليس له فيه اختيار، ومن أنكر هذا فقد سفه نفسه وأنكر عقله». انتهى.

ولقد أحسن علامة تونس محمد المكي بن عزوز رَحِمَهُ اللهُ حين قال<sup>(1)</sup>: «فالإِنسان له اختيار، للفرق الضروري بين حركة الأرتعاش وحركة البطش. وعلى فعله بقصده وتعمُّده يثاب ويعاقب، ﴿لَا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ [البقرة: ٢٨٦]، ﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَلِيغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدْنَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الأنعام: ١٤٩]. والتفريط اعتمادا على القدر جهلٌ، فالذي على العبد أن يسعى في الصالحات، ولا يتجاوز خطته إلى التكلف فيما أخفاه الله عنه من أنه المقدور أو غير المقدور. ثم الرجوع إلى القدر يكون عند الطاعات من غير كسل، وبعد المصائب، لا عند الذنوب، فهو سوء أدب، ومن غرور الشيطان». انتهى

ومن القواعد في هذا الباب أنه: «يُستدلُّ بالقدر في المصائب، ولا يُستدلُّ بالقدر في المعائب».

وقد قرّر هذا شيخ الإسلام ابن تيمية في مواضع كثيرة من كتبه، ومن ذلك قوله رَحِمَهُ اللهُ<sup>(2)</sup>: «فالسعيد يستغفر من المعائب، ويصبر على المصائب، كما قال تعالى: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ وَأَسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ﴾ [غافر: ٥٥]، والشقي يجزع عند المصائب، ويحتج بالقدر على المعائب». انتهى.

1- «عقيدة التوحيد الكبرى» (ص 19).

2- «الفتاوى» (8/454).

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ رَادًّا عَلَى مَنْ يَحْتَجُّ بِالْقَدَرِ عَلَى كُفْرِهِ وَفُجُورِهِ<sup>(1)</sup>: «يا ويله ظهيرا للشيطان على ربه، خصما لله مع نفسه، جبري المعاصي، قَدْرِي الطاعات، عاجزُ الرأي، مضياغ لفرصته، قاعد عن مصالحه، معاتب لأقدار ربه، يحتج على ربه بما لا يقبله من عبده وامراته وأمته إذا احتجوا به عليه في التهاون في بعض أمره، فلو أمر أحدهم بأمر ففرط فيه، أو نهاه عن شيء فارتكبه، وقال: القدر ساقني إلى ذلك، لما قبل منه هذه الحجة، ولبادر إلى عقوبته.

فإن كان القدر حجة لك أيها الظالم الجاهل في ترك حق ربك، فهلا كان حجة لعبدك وأمتك في ترك بعض حقك؟». انتهى كلامه رَحِمَهُ اللهُ، وله ولشيخه ابن تيمية نحو هذا نظما ونثرا في مواضع كثيرة.

فإنَّ العاقلَ خَصِمُ نَفْسِهِ، والجاهلُ خَصِمُ أَقْدَارِ رَبِّهِ<sup>(2)</sup>، كما قيل:  
وعاجزُ الرأيِ مضياغٌ لفرصته حتى إذا فات أمرٌ عاتبَ القَدَرَ

1- في «مدارج السالكين» (210/1). وانظر: «واسع المنة» (مسألة: توجيه أهل العلم لحديث محاجة آدم

لموسى عليهما السلام)، للمؤلف.

2- «مدارج السالكين» (101/1).

## الإيمان اليوم الآخر

قال الناظم رَحِمَهُ اللهُ:

وَلَا تُنْكِرُنْ جَهْلًا نَكِيرًا وَمُنْكَرًا      وَلَا الْحَوْضَ وَالْمِيزَانَ إِنَّكَ  
 وَقُلْ يُخْرِجُ اللهُ الْعَظِيمُ بِفَضْلِهِ      مِنَ النَّارِ أَجْسَادًا مِنَ الْفَحْمِ  
 عَلَى النَّهْرِ فِي الْفِرْدَوْسِ تَحْيَا      كَحَبِّ حَمِيلِ السَّيْلِ إِذْ جَاءَ  
 وَإِنَّ رَسُولَ اللهِ لِلْخَلْقِ شَافِعٌ      وَقُلْ فِي عَذَابِ الْقَبْرِ حَقٌّ مُوَضَّحٌ

انتقل هنا إلى الكلام على الركن الخامس من أركان الإيمان، وهو الإيمان باليوم الآخر<sup>(1)</sup>، وضابطه كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية في «العقيدة الواسطية»<sup>(2)</sup>: «وَمِنَ الْإِيمَانِ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ الْإِيمَانُ بِكُلِّ مَا أَخْبَرَ بِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِمَّا يَكُونُ بَعْدَ الْمَوْتِ». وهذا مأخوذ من كلام السلف ومن ذلك قول ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا في قوله تعالى: ﴿وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ [البقرة: ٤]، قال: «أي بالبعث، والقيامة، والجنة، والنار، والحساب، والميزان»<sup>(3)</sup>.

1- وقد توسعت في ذكر المباحث المتعلقة باليوم الآخر في كتابي «واسعة المنة»، فأحيل القارئ عليه.

2- «الفتاوى» (3/ 145).

3- «تفسير الطبري» (1/ 252).

### فتنة القبر وسؤال الملكين

وأول منازل الآخرة هو القبر، ومما يقع في القبر الفتنة، وهي سؤال الملكين، ولهذا،

قال ابن أبي داود رَحِمَهُ اللهُ:

**وَلَا تُنْكِرَنَّ جَهْلًا نَكِيرًا وَمُنْكَرًا وَلَا الْحَوْضَ وَالْمِيزَانَ إِنَّكَ**

فقوله: (ولا)، ناهية، (تُنْكِرَنَّ): فعل مضارع مبني على الفتح، لأنه مؤكد بالنون

الخفيفة في محل جزم بـ«لا الناهية»<sup>(1)</sup>، فمعنى (وَلَا تُنْكِرَنَّ جَهْلًا) أي: لا تجحد لجهلك

بالحديث والسنة والعقيدة الإسلامية الصحيحة (نَكِيرًا وَمُنْكَرًا)<sup>(2)</sup>، وهما الملكان

الذنان يتوليان سؤال الناس في قبورهم، وهما أسودان أزرقان، أحدهما يقال له: منكر،

والآخر: نكير.

وسبب هذه التسمية لأنها يأتيان على صورة منكرة لم يعهدا الإنسان، وليس فيها

أنس للناظرين.<sup>(3)</sup>

قال عبد الرؤوف المناوي<sup>(4)</sup>: «وَحَلَقَهَا لَا يَشْبَهُ خَلْقَ الْآدَمِيِّينَ وَلَا الْمَلَائِكَةَ وَلَا الطَّيْرَ

وَلَا الْبَهَائِمَ وَلَا الْهُوَامَ، بَلْ خَلَقَ بَدِيعًا، وَلَيْسَ فِي خَلْقِهَا أَنْسٌ لِلنَّاطِرِينَ، جَعَلَهَا اللهُ

1- «لوائح الأنوار» (2/ 144).

2- قال ابن القيم في «الروح» (ص 78): «قال كثير من المعتزلة: لا يجوز تسمية ملائكة الله بمنكر ونكير، وَإِنَّمَا الْمُنْكَرُ مَا يَبْدُو مِنْ تَلَجُّجِهِ إِذَا سُئِلَ، وَالنَّكِيرُ تَقْرِيعُ الْمَلَكَيْنِ لَهُ!!؟؟». انتهى.

3- «التحفة السنية» (ص 81).

4- «فيض القدير» (5/ 151).

مَكْرَمَةً لِلْمُؤْمِنِ لِتَشْيِئَتِهِ وَنَصْرَتِهِ، وَهَتَكَ لِسْتِرِ الْمَنَاقِقِ فِي الْبَرْزَخِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَبْعَثَ حَتَّى يَجِلَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ». انتهى.

فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا قُبِرَ الْمَيِّتُ، أَوْ قَالَ: أَحَدُكُمْ، أَتَاهُ مَلَكَانِ أَسْوَدَانِ أَزْرَقَانِ، يُقَالُ لِأَحَدِهِمَا: الْمُنْكَرُ، وَلِلْآخَرِ: النَّكِيرُ، فَيَقُولَانِ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟ فَيَقُولُ: مَا كَانَ يَقُولُ: هُوَ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَيَقُولَانِ: قَدْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُولُ هَذَا، ثُمَّ يُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ سَبْعُونَ ذِرَاعًا فِي سَبْعِينَ، ثُمَّ يُنَوِّرُ لَهُ فِيهِ، ثُمَّ يُقَالُ لَهُ، نَمْ، فَيَقُولُ: أَرْجِعْ إِلَى أَهْلِي فَأَخْبِرْهُمْ، فَيَقُولَانِ: نَمْ كَنُومَةِ الْعُرُوسِ الَّذِي لَا يُوقِظُهُ إِلَّا أَحَبُّ أَهْلِهِ إِلَيْهِ، حَتَّى يَبْعَثَهُ اللَّهُ مِنْ مَضْجَعِهِ ذَلِكَ، وَإِنْ كَانَ مُنَافِقًا قَالَ: سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ، فَقُلْتُ مِثْلَهُ، لَا أَدْرِي، فَيَقُولَانِ: قَدْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُولُ ذَلِكَ، فَيُقَالُ لِلْأَرْضِ: التَّيْمِي عَلَيْهِ، فَتَلْتَمِمْ عَلَيْهِ، فَتَخْتَلِفُ فِيهَا أَضْلَاعُهُ، فَلَا يَزَالُ فِيهَا مُعَذَّبًا حَتَّى يَبْعَثَهُ اللَّهُ مِنْ مَضْجَعِهِ ذَلِكَ»<sup>(1)</sup>.

قال القحطاني في «نونيته»<sup>(2)</sup>:

وَحَيَاتُنَا فِي الْقَبْرِ بَعْدَ مَمَاتِنَا حَقًّا وَيَسْأَلُنَا بِهِ الْمَلَكَانِ  
وَسُؤَالَ الْمَلَكَيْنِ يَسْمَى فِتْنَةُ الْقَبْرِ، وَهَذَا يُسَمَّى هَذَا الْمَلَكَانِ: الْفَتَانَانِ، لِأَنَّهَا يَفْتِنَانِ  
(أَي يَسْأَلَانِ وَيَمْتَحِنَانِ وَيَخْتَبِرَانِ) الْمَيِّتَ فِي قَبْرِهِ عَنِ رَبِّهِ، وَدِينِهِ، وَنَبِيِّهِ، فَيُجِيبُ  
الْمُؤْمِنُ، وَيَهْلِكُ الْفَاجِرُ وَالْكَافِرُ.

1- رواه الترمذي (1071)، وحسنه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (1391).

2- (ص 23).

يقول حافظ حكيم رَحْمَةُ اللَّهِ فِي «سَلَّمَ الْوُصُولُ»<sup>(1)</sup>:

وَأَنَّ كُلاًّ مُتَعَدِّ مَسْئُولٌ مَّا الرَّبُّ مَّا الدِّينُ وَمَا الرَّسُولُ؟  
وفتنة القبر ثابتة في الكتاب، وتواترت بها السنة، وعليها إجماع المسلمين.

أما الكتاب، ففي قول الله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ [إبراهيم: ٢٧]، وَعَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِذَا أُقْعِدَ الْمُؤْمِنُ فِي قَبْرِهِ آتَاهُ آتٍ، ثُمَّ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾<sup>(2)</sup>.

ونقل الإجماع على الإيذان بهذين الملكين ابن عبد البر المالكي<sup>(3)</sup>، فقال: «وأما قوله [صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ]: «إِنَّكُمْ تُفْتَنُونَ فِي قُبُورِكُمْ»<sup>(4)</sup>، فإنه أراد فتنة الملكين منكر ونكير حين يسألان العبد: من ربك، وما دينك، ومن نبيك؟ فالآثار بذلك متواترة، وأهل السنة والجماعة وهم أهل الحديث والرأي في أحكام شرائع الإسلام كلهم مجمعون على الإيذان

1- «معارج القبول» (2/ 713).

2- رواه البخاري (1369)، ومسلم (2201).

3- «الاستذكار» (2/ 423). ونحوه في «التمهيد» (22/ 247) له من غير تصريح بالإجماع. وكذلك القاضي

عياض في «الشفاء» (مع «شرح مُلَّا القاري» 2/ 543) عدَّهما من الملائكة المتفق على قبول الخبر بهما.

4- رواه البخاري (86)، ومسلم (584).

والتصديق بذلك، إلا أنهم لا يتكلمون فيه شيئاً، ولا ينكره إلا أهل البدع». انتهى كلامه رَحْمَةُ اللَّهِ.

قال جلال الدين السيوطي رَحْمَةُ اللَّهِ فِي «أرجوزة التثبيت في ليلة التبييت»<sup>(1)</sup>:

اعْلَمْ هَذَاكَ اللَّهُ لِلرَّشَادِ      مُوَفَّقًا لَطُرُقِ السَّادِدِ  
 أَنَّ الَّذِي عَلَيْهِ أَهْلُ السُّنَّةِ      بِحُجَجِ أَمْضَى مِنَ الْأَسِنَّةِ  
 أَنَّ سُؤَالَ الْمَلَائِكِينَ مَنْ قُبِرَ      حَقٌّ وَالْإِيمَانُ بِهِ فَرَضُ شَهْرٍ  
 أَتَى بِهِ الْقُرْآنُ بِالْإِشَارَةِ      وَوَأَفَقَتْ آيَاتُهُ الْإِثَارَةَ  
 تَوَاتَرَتْ بِهِ الْأَحَادِيثُ الَّتِي      قَدْ بَلَغَتْ سِتِّينَ عِنْدَ الْعِدَّةِ  
 الْآيَةُ السُّؤَالُ فِيهَا كَامِنٌ      **﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾**  
 وَإِنَّمَا الْمُنْكَرُ لِلْسُّؤَالِ      ذَوْوُ ابْتِدَاعٍ وَذَوْوُ اعْتِزَالِ

وفعلا، لا يُنكر هذا الأمر من الغيبات إلا صاحب بدعة جهول كأهل الاعتزال

ومن سار على طريقهم، وما أكثرهم في عصرنا لا أكثرهم الله. ولهذا قال الناظم: **(وَلَا**

**تُنْكِرُنَّ جَهْلًا نَكِيرًا وَمُنْكَرًا)**، فبعض الناس ينكر وجود هذين الملكين ويقول: إن هذا

لا يصح، وإن هذا من باب أحاديث الآحاد التي لا تثبت بها عقيدة، كما يقول المعتزلة

ومن نحا نحوهم، وهذا من تناقضهم، فإنهم لا يؤمنون بأمر يستعيدون بالله منه في

صلاتهم وأدعيتهم، فقد كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يدعو في تشهد صلاته فيقول: **«اللَّهُمَّ**

1- ذكر الأستاذ عبد الله محمد الحبشي في كتابه الرائع: «مُعْجَمُ الْمَوْضُوعَاتِ الْمَطْرُوقَةِ فِي التَّأْلِيفِ الْإِسْلَامِيِّ

وبيان ما ألف فيها» (ص 238)، بعد ذكر «أرجوزة التبييت» للسيوطي، أن لصديق حسن خان القنوجي

رَحْمَةُ اللَّهِ كِتَابًا بِعَنْوَانِ: «ثَمَارُ التَّنْكِيتِ شَرْحُ آيَاتِ التَّثْبِيتِ».

إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَمِنْ عَذَابِ النَّارِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَالِ»<sup>(1)</sup>، وكان يقول: «اللَّهُمَّ فَإِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ النَّارِ وَعَذَابِ النَّارِ، وَفِتْنَةِ الْقَبْرِ وَعَذَابِ الْقَبْرِ»<sup>(2)</sup>، إلى غير ذلك من الأحاديث الشاهدة بهذه الحقيقة المتعلقة بعالم الغيب الذي من واجبنا الإيمان والاستيقان به والتسليم له والثبات عليه.

وأما أهل البدع، فهم يقبلون هذه الأحاديث في كتب الفروع، ثم إذا جاؤوا إلى تقرير العقيدة لا يثبتونها<sup>(3)</sup>، وهذا حال من ترك الكتاب والسنة فإنه لا بد أن يتناقض، قال تعالى: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: 82]، وقال: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾ [البقرة: 176]، وقال: ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ﴾ (١) عَنِ النَّبِيِّ الْعَظِيمِ ﴿٢﴾ الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ﴾ [النبأ: ١ - ٣]، وقال جل وعلا عن المشركين: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِيحٍ﴾ [ق: ٥]، وهذا حال كل من خرج عن الحق، والمريح: المختلف المضطرب الملتبس، فلا يعرفون حقه من باطله<sup>(4)</sup>، فهم مختلفون في الكتاب، مخالفون للكتاب، مجمعون على مفارقة الكتاب، يقولون على الله، وفي الله، وفي كتاب الله بغير علم.<sup>(5)</sup>

1- رواه البخاري (1377)، ومسلم (588).

2- رواه البخاري (6377)، ومسلم (589).

3- انظر رسالة العلامة الألباني: «الحديث حجة بنفسه في العقائد والأحكام».

4- انظر: «تفسير الطبري» (22/329)، و«ابن كثير» (7/395).

5- «الرد على الجهمية والزندقة» (ص 56)، للإمام أحمد.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ<sup>(1)</sup>: «فكُلُّ مَنْ أَعْرَضَ عَنِ الطَّرِيقَةِ السَّلْفِيَّةِ الشَّرْعِيَّةِ الإِلَهِيَّةِ، فَإِنَّهُ لَا بَدَّ أَنْ يَضِلَّ وَيَتَنَاقَضَ، وَيَبْقَى فِي الْجَهْلِ الْمُرَكَّبِ أَوْ الْبَسِيطِ». انتهى.

وإلى هؤلاء أشار ابن القيم في «النونية»<sup>(2)</sup> بقوله:

يَكْفِيكَ أَنَّكَ لَوْ حَرَصْتَ فَلَنْ تَرَى      فِتْنَيْنِ مِنْهُمْ قَطُّ يَتَّفِقَانِ  
إِلَّا إِذَا مَا قَلَّدَا لِسَوَاهُمَا      فَتَرَاهُمْ جِيلاً مِنَ الْعُمِيَانِ  
وروي عن مطرف بن الشخير أنه قال: «لو كانت الأهواء كلها واحدة لقال القائل: «لعل الحق فيه»، فلما تشعبت وتفرقت عرف كل ذي عقل أن الحق لا يتفرق»، وروي أيضا عن مجاهد أنه قال في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ [هود: 118]: «هم أهل الباطل»، ﴿إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ﴾ [هود: 119]: «هم أهل الحق ليس فيهم اختلاف».<sup>(3)</sup>

1- «درء تعارض العقل والنقل» (5/ 356). وانظر: «الفتوى الحموية» (ص 271).

2- «شرح ابن عيسى» (2/ 576).

3- انظر: «جامع بيان العلم وفضله» (2/ 920).

### فتنة القبر عامة لكل الأمم

وفتنة القبر تعم كل ميّت: قُبرٍ أو لم يُقبر، ونُسبت للقبر تغليبا، لأنَّ أغلب الناس يُقبرون، وهي لا تختصُّ بهذه الأمة فقط، بل تعمُّ جميع الأمم، فُتسأل كلُّ أُمَّةٍ عن نبيِّها، وأما بعد بعثة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فُيُسأل الجميعُ عنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لأنَّ اللهَ أرسله لجميع الناس بلا استثناء. ويُسأل كلُّ مُكَلَّف: المؤمنُ والكافرُ، والكبيرُ والصغيرُ، والمرأةُ والرجل. (1)

### من يستثنى من فتنة القبر

ويُستثنى من السؤال غير المكلف، كالصبيِّ والمجنون، ومن صحت الأخبار باستثناءه: كالنبي، لأنه يُسأل عنه، ولا يُسأل لأنَّ السؤالَ يختصُّ بمن شأنه أن يفتن، ومن لا يُسأل الشهيد الذي امتحن وثبتَّ بجهاده في الدنيا، والصدِّيقُ الذي هو أعلى رتبة من الشهيد، والمُرابطُ، ومن داوم على قراءة سورة الملك، ومن مات يوم الجمعة. (2)



1- انظر لهذا «إثبات عذاب القبر وسؤال الملكين» (ص 33، وما بعدها)، للبيهقي رَحِمَهُ اللهُ.

2- انظر أدلة هذه الأقوال، ومذاهب العلماء فيها في عدة كتب، منها: «التذكرة» (1/ 125-130)، و«فهارس الفتاوى» (36/ 543)، و«الروح» (ص 106-112)، و«شرح الطحاوية» (ص 300)، و«فتح الباري» (3/ 239)، و«أرجوزة التثبيت»، للسيوطي، و«لوامع الأنوار البهية» (2/ 20)، و«البحور الزاهرة» (1/ 206) للسفاريني...

## حوض النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

قال ابن أبي داود رَحِمَهُ اللهُ:

**وَلَا تُنْكِرُنْ جَهْلًا نَكِيرًا وَمُنْكَرًا وَلَا الْحَوْضَ وَالْمِيزَانَ إِنَّكَ**

فقوله: (وَلَا)، أي: تنكرن أيضًا جهلاً وعنادًا وسفهاً وإلحادًا (الحوض)، و(أَل) فيه للعهد وبدلاً عن الإضافة، أي حوض النبي محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فإنه حق ثابت بإجماع أهل الحق<sup>(1)</sup>، وأنكرته المعتزلة، فلم تقر به مع ثبوته بالسنة الصحيحة الصريحة، بل والقرآن<sup>(2)</sup> كما سيأتي. (و) لا تنكرن أيضًا (الميزان)، الثابت بالكتاب والسنة والإجماع، (إِنَّكَ) أيها المستمع لهذا النظم المتفهم لمنطوقه (تُنْصَحُ): من النصيحة، وهي كلمةٌ يعبرُ بها عن جملةٍ هي إرادة الخَيْرِ للمنصوح له، كما قال الخطابي<sup>(3)</sup>.

ويقال: إن هذه الكلمة من وجيز الأسماء ومختصر الكلام، فإنه ليس في كلام العرب

كلمة مفردة تُستوفى بها العبارة عن معنى هذه الكلمة، حتى يضم إليها شيء آخر<sup>(4)</sup>.

فقوله: (تُنْصَحُ): أي يا صاحب السنة، بأن تقتفي الأثر وتتبع النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه، تُنصح يا صاحب السنة بأن تدرس العقيدة الصحيحة على أهل العلم الموثوقين، تُنصح يا صاحب السنة بأن تكون صادقاً في تلقي هذه العقيدة، وأن تبذل في

1- «لوائح الأنوار» (2/ 164).

2- انظر: «لوائح الأنوار» (2/ 173).

3- «معالم السنن» (4/ 125).

4- «أعلام الحديث» (1/ 189)، للخطابي.

سبيل تعلمها وتعليمها للخلق ما عندك، فإن الخير والفلاح في هذه العقيدة الصحيحة، كما مرَّ بيانه في أول هذا الشرح عند قوله (لَعَلَّكَ تُفْلِحُ).

والحوض: مجتمع الماء، لغة<sup>(1)</sup>، وأما حوض النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فهو حوض حقيقي مخلوق، يكون في الموقف يوم القيامة، وهو قبل الصراط على الصحيح<sup>(2)</sup>، يصب ماؤه من نهر الكوثر الذي في الجنة، طوله شهر وعرضه شهر، وزواياه سواء، فهو مربع على الصحيح، ماؤه أشد بياضا من اللبن والثلج والفضة، وأطيب ريحا من المسك، وأحلى مذاقا من العسل، وأبرد من الثلج، آنيته أكثر من نجوم السماء عددا<sup>(3)</sup>، ومثلها حسنا

1- «المعجم الوسيط» (1/207).

2- قال القرطبي في «التذكرة» (1/261): «والصحيح أن الحوض قبل الصراط، والمعنى يقتضيه، فإن الناس يخرجون عطاشاً من قبورهم، فيُقدم قبل الصراط والميزان، والله أعلم». انتهى، بتصرف كبير. وانظر: «زاد المعاد» (3/596)، و«فتح الباري» (11/466).

3- وهاهنا أمر منتشر عند الناس وهو قولهم: «اللهم اسقنا شربة من يد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عند الحوض»، وهذا لا دليل عليه، وإنما الأدلة جاءت على وجود آنية يشرب بها الناس. وعليه، فهذا الدعاء لا يصح لا رواية ولا دراية، بل يعد من الاعتداء في الدعاء، وقد نبه على هذا العلامة صالح الفوزان حفظه الله (شرح العقيدة الطحاوية، شريط رقم 14).

قال ابن القيم في «بدائع الفوائد» (3/13): «فكل سؤال يناقض حكمة الله، أو يتضمن مناقضة شرعه وأمره، أو يتضمن خلاف ما أخبر به، فهو اعتداء لا يحبه الله ولا يجب سائله». انتهى.

قلت: وردت رواية في صحيح البخاري (7049) بلفظ: «أَنَا فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ، لِيُرْفَعَنَّ إِلَيَّ رِجَالُ مِنْكُمْ، حَتَّى إِذَا أَهْوَيْتُ لِأَنَاوَلَهُمْ اخْتَلَجُوا دُونِي». قال العيني في «عمدة القاري» (24/176): «والفرط من يتقدم الواردين فيهيئ لهم الإرشاء والدلاء وعدد الحياض ويسقي لهم». انتهى.

وضياءً، يَرِدُهُ من شاء الله من أمة محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، من شرب منه شربةً لا يظماً بعدها أبداً.<sup>(1)</sup>

وقد جاء ذكر الحوض في القرآن في قول الله تعالى: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَكَ الْكَوْثَرَ﴾ [الكوثر: 1]، أي: الخير الكثير، والفضل الغزير، الذي من جملته، ما يعطيه الله لنبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوم القيامة، من النهر الذي يقال له الكوثر ومنه الحوض.<sup>(2)</sup>

وقد نقل القرطبي في «تفسيره»<sup>(3)</sup> اختلاف أهل التأويل في الكوثر الذي أُعطيهِ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على ستة عشر قولاً، رجح منها القولين الأولين، وهما: تفسيره بالنهر الذي في الجنة، وبالحوض.

وقال القاضي عياض في «مشارك الأنوار» (2/32، 273): «وقوله: (أَهْوَيْتُ لِأَنَاوَهُمْ) أي: أسقيهم بيدي». قلت: فالله أعلم بصحة هذا الأمر، ولكن ترك مثل هذا الدعاء أولى للشك في صحة معناه، وليدع المؤمن بقوله: «اللهم اجعلنا ممن يرد حوض نبيك صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وارزقنا شربة منه، لا نظماً بعدها أبداً».

1- انظر: «موسوعة العقيدة» (2/1084)، وهذا الوصف للحوض متفرق في نصوص الأحاديث النبوية. قال القاضي عياض في «إكمال المعلم بفوائد مسلم» (7/257): «ظاهره يدل أن الشرب منه بعد الحساب والنجاة من النار، فذلك الذي لا يظماً، لقوله: «لم يظماً أبداً». وقيل: بل لا يشرب منه إلا من لم يقدر عليه بالنار. وقد يحتمل أن من شرب منه من هذه الأمة ثم قدر الله عليه العقوبة بالنار على ذنوبه أنه لا يعذب فيها بالظماً بل يكون عذابه بغير ذلك». انتهى.

2- «تفسير السعدي» (ص 935).

3- (20/216-218).

قلت: والتفسيران متلازمان، فإنَّ الحوضَ يُمدُّه ميزابان من نهر الكوثر، وإن كان موضعه في عَرَصاتِ القيامة<sup>(1)</sup>، فهو كوثر من جهة الأصل والبداية، وحوض من جهة الموضع والنهاية.<sup>(2)</sup>

فَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: بَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ بَيْنَ أَظْهُرِنَا إِذْ أَغْفَى إِغْفَاءً ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ مُتَبَسِّمًا، فَقُلْنَا: مَا أَصْحَكَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: «أُنزِلَتْ عَلَيَّ أَنْفًا سُورَةٌ» فَقَرَأَ: «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴿١﴾ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرِ ﴿٢﴾﴾ إِنَّ شَانِكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ﴿﴾ [الكوثر: ١ - ٣]»، ثُمَّ قَالَ: «أَتَدْرُونَ مَا الْكَوْثَرُ؟» فَقُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «فَإِنَّ نَهْرًا وَعَدْنِيهِ رَبِّي ﷻ، عَلَيْهِ خَيْرٌ كَثِيرٌ، هُوَ حَوْضٌ تَرُدُّ عَلَيْهِ أُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، أَنِيَّتُهُ عَدَدُ النُّجُومِ، فَيُخْتَلَجُ الْعَبْدُ مِنْهُمْ، فَأَقُولُ: رَبِّ، إِنَّهُ مِنْ أُمَّتِي فَيَقُولُ: مَا تَدْرِي مَا أَحَدَّثْتَ بَعْدَكَ.»<sup>(3)</sup>

وقال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «إِنَّ لِي حَوْضًا مَا بَيْنَ أَيْلَةَ<sup>(4)</sup> إِلَى صَنْعَاءَ، عَرْضُهُ كَطُولِهِ، فِيهِ مِيزَابَانِ يَنْتَعِبَانِ مِنَ الْجَنَّةِ مِنْ وَرِقٍ، وَالْآخِرُ مِنْ ذَهَبٍ أَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ، وَأَبْرَدُ مِنَ الثَّلْجِ،

1- العَرَصات: جمع عَرَصة، وهي ساحات القيامة الواسعة التي لا بناء فيها. انظر: «النهاية» (3/ 208، عَرَصَ).

2- وانظر: تعليق شيخنا صالح العصيمي على «أعلام السنة المنشورة»، ففيه مزيد بيان.

3- رواه مسلم (400).

4- مدينة بين مصر والشام.

وَأَبْيَضُ مِنَ اللَّبَنِ، مَنْ شَرِبَ مِنْهُ لَمْ يَظْمَأْ حَتَّى يَدْخُلَ الْجَنَّةَ، فِيهِ أَبَارِيقُ عَدَدَ نُجُومِ السَّمَاءِ»<sup>(1)</sup>.

وأحاديث الحوض متواترة<sup>(2)</sup>. قال السيوطي في «البدور السافرة»<sup>(3)</sup>: «وَرَدَ ذِكْرُ الحوض من رواية بضعة وخمسين صحابياً، منهم الخلفاء الأربعة الراشدون، وحفاظ الصحابة المكثرون، وغيرهم، رضوان الله عليهم أجمعين». انتهى.

1- رواه أحمد (19804)، وابن حبان في «صحيحه» (6458)، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب» (443/3).

2- انظر: «نظم المتناثر من الحديث المتواتر» (ص 236).

3- نقلا عن «لوائح الأنوار» (2/164).

## أسباب الحرمان من ورود الحوض يوم القيامة

### 1- الإحداث في دين الله:

فإن من أكثر الأسباب التي ذكرها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للذود عن الحوض هي الإحداث في الدين، وذلك في قوله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحَدْتُوا بَعْدَكَ»<sup>(1)</sup>.

قال الحافظ ابن حجر<sup>(2)</sup>: «وحاصل ما محمّل عليه حال المذكورين أنهم:

- إن كانوا ممن ارتد عن الإسلام، فلا إشكال في تبري النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ منهم وإبعادهم،<sup>(3)</sup>

- وإن كانوا ممن لم يرتد لكن أحدث معصية كبيرة من أعمال البدن أو بدعة من اعتقاد القلب<sup>(4)</sup>، فقد أجاب بعضهم بأنه يحتمل أن يكون أعرض عنهم ولم يشفع لهم اتباعاً لأمر الله فيهم حتى يعاقبهم على جنائتهم، ولا مانع من دخولهم في عموم شفاعته

1- رواه البخاري (6576)، ومسلم (2295).

2- «الفتح» (4/13).

3- في رواية عند البخاري (7048)، قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «أَنَا عَلَى حَوْضِي أَنْتَظِرُ مَنْ يَرِدُ عَلَيَّ، فَيُؤْخَذُ بِنَاسٍ مِنْ دُونِي»، فَأَقُولُ: «أُمَّتِي»، فَيَقَالُ: «لَا تَدْرِي، مَشَوْا عَلَى الْقَهْقَرَى». قَالَ ابْنُ أَبِي مُلَيْكَةَ بَعْدَ رَوَايَتِهِ لِلْحَدِيثِ: «اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ أَنْ نَرْجِعَ عَلَى أَعْقَابِنَا، أَوْ نُفْتَنَ». آمين.

4- وهذا الذي اختاره الشاطبي في «الاعتصام» (6/10)، حيث قال: «ويظهر من أول الحديث أن ذلك الارتداد لم يكن ارتداد كفر لقوله: «وَإِنَّهُ سَيُؤْتَى بِرِجَالٍ مِنْ أُمَّتِي»، ولو كانوا مرتدين عن الإسلام لما نُسبوا إلى أمته». وانظر: «التمهيد» (20/262)، لابن عبد البر، و«التذكرة» (1/264)، للقرطبي.

لأهل الكبائر من أمتهم، فيخرجون عند إخراج الموحدين من النار، والله أعلم». انتهى.

وذكر ابن بطال المالكي<sup>(1)</sup> أنه يدخل في ذلك كل حدث في الدين لا يرضاه الله من خلاف جماعة المسلمين، وجميع أهل البدع كلهم فيهم مبدلون محدثون، وكذلك أهل الظلم والجور وخلاف الحق وأهله، كلهم محدث مبدل ليس في الإسلام داخل في معنى هذا الحديث.

قال القحطاني في «نونيته»<sup>(2)</sup>:

وَالْبَعَثُ بَعْدَ الْمَوْتِ وَعَدُّ صَادِقٌ      بِإِعَادَةِ الْأَرْوَاحِ فِي الْأَبْدَانِ  
وَصِرَاطُنَا حَقٌّ وَحَوْضُ نَبِينَا      صِدْقٌ لَهُ عَدَدُ النُّجُومِ أَوَانِي  
يُسْقَى بِهَا السُّنِّيُّ أَعَذَبَ شَرْبَةً      وَيُزَادُ كُلُّ مُخَالِفٍ فَتَّانِ  
وختلاصة الكلام أن الإحداث نوعان:

- حدث أكبر، وهذا يكون بالردة عن دين الله والبدع الكفرية.
- وحدث أصغر، وهو الذي يكون بسائر البدع.

وكلاهما موجب للإبعاد عن الحوض، إما إبعادا كلياً وهذا لمن فارق الدين مفارقة تامة، وإما إبعادا جزئياً، وهذا لمن فارق الدين مع بقاء أصله وهو التوحيد. قال الأحسائي رَحِمَهُ اللهُ فِي نَظْمِهِ لِمَقْدَمَةِ «رِسَالَةِ ابْنِ أَبِي زَيْدِ الْقَيْرَوَانِيِّ»<sup>(3)</sup>:

1- «شرح البخاري» (6 / 10).

2- (ص 23).

3- «عقيدة السلف» (ص 67).

وَأَنَّ لِلْمُضْطَفَى حَوْضاً مَسَافَتُهُ  
أَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ الصَّافِي مَذَاقَتُهُ  
وَلَمْ يَرِدْهُ سِوَى أَتْبَاعِ سُنَّتِهِ  
وَكَمْ يُنَحَّى وَيُنْفَى كُلُّ مُبْتَدِعٍ  
مَا بَيْنَ صَنْعَا وَبُصْرَى هَكَذَا ذُكِرَا  
وَأَنَّ كِيزَانَهُ مِثْلُ النُّجُومِ تُرَى  
سِيَاهُهُمْ أَنْ يَرَى التَّحْجِيلَ وَالْغُرَا  
عَنْ وَرْدِهِ وَرِجَالُ أَحَدَثُوا الْغَيْرَا  
2- طاعة الأمراء في المعصية:

فَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِكَعْبِ بْنِ عُجْرَةَ:  
«أَعَاذَكَ اللَّهُ مِنْ إِمَارَةِ السُّفَهَاءِ»، قَالَ: وَمَا إِمَارَةُ السُّفَهَاءِ؟، قَالَ: «أَمْرَاءُ يَكُونُونَ بَعْدِي،  
لَا يَقْتَدُونَ بِهَدْيِي، وَلَا يَسْتَنُونَ بِسُنَّتِي، فَمَنْ صَدَّقْتَهُمْ بِكَذِبِهِمْ، وَأَعَانَهُمْ عَلَى ظُلْمِهِمْ،  
فَأُولَئِكَ لَيْسُوا مِنِّي، وَلَسْتُ مِنْهُمْ، وَلَا يَرِدُوا عَلَيَّ حَوْضِي، وَمَنْ لَمْ يُصَدِّقْتَهُمْ بِكَذِبِهِمْ، وَلَمْ  
يُعْنَهُمْ عَلَى ظُلْمِهِمْ، فَأُولَئِكَ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُمْ، وَسَيَرِدُوا عَلَيَّ حَوْضِي»<sup>(1)</sup>.

وفي نفس السياق، دلت الأحاديث على أن الصبر على جور الحكام، وعلى استئثارهم  
بالدنيا من أسباب ورود الحوض، فقد قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّكُمْ سَتَلْقَوْنَ  
بَعْدِي أَثْرَةً، فَاصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوْنِي عَلَى الْحَوْضِ»<sup>(2)</sup>.

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ<sup>(3)</sup>: «لذلك يُرجى لمن صبر على السلطان وعلى  
جوره أن ينال مثل هذا الوعد من النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ». انتهى.

1- رواه أحمد (14441)، وابن حبان (4514)، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب» (2/540).

2- رواه البخاري (4330)، ومسلم (1845).

3- «شرح العقيدة السفارينية» (ص 480).

## لكل نبي حوض

وهل الحوض خاص برسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ الجواب: أن لكل نبي حوضاً، فقد روى الترمذي في «جامعه»<sup>(1)</sup>، عَنْ سَمُرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوْضًا، وَإِنَّهُمْ يَتَبَاهُونَ أَيُّهُمْ أَكْثَرُ وَارِدَةً، وَإِنِّي أَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ وَارِدَةً».

وعليه، فحوض النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يمتاز بميزات:

• منها: ما ذكرنا من وصفه وحسنه وعظمته،

• ومنها: أنه أكثر الحياض وروداً، بين سائر الأنبياء عَلَيْهِ السَّلَامُ.

ومن شرب من حوض سنة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ونصوص الوحي في الدنيا، كان

خليقاً بأن يشرب من حوضه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوم القيامة، والجزاء من جنس العمل.



1- (2443)، وقال عنه الألباني في «الصحيحه» (4 / 120): «وجملة القول: إن الحديث بمجموع طرقه حسن

أو صحيح. والله أعلم».

## الميزان يوم القيامة

إذن، قال ابن أبي داود رَحِمَهُ اللهُ:

**وَلَا تُنْكِرُنْ جَهْلًا نَكِيرًا وَمُنْكَرًا وَلَا الْحَوْضَ وَالْمِيزَانَ إِنَّكَ**

فقلوه: **(والميزان)**، أي: ولا تنكرون أيضا جهلاً وعناداً **(الميزان)** الذي توزن به

الأعمال من حسنات وسيئات يوم القيامة، لأنه حق ثابت بالكتاب والسنة والإجماع.

قال تعالى: ﴿وَالْوِزْنَ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾

وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِعَآيِنَتِنَا يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾ [الأعراف: ٨

- ٩]، وقوله: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ

مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ ﴿٤٧﴾ [الأنبياء: ٤٧]،

وقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأُ الْمِيزَانَ»<sup>(١)</sup>، وغير ذلك من

النصوص الواضحة الجليّة في بيان هذه الحقيقة الغيبية.

### تعريف الميزان وموضعه يوم القيامة

والميزان لغةً: الآلة التي تُقَدَّرُ بها الأشياءُ خِفَّةً وَثِقَلًا<sup>(1)</sup>، وأما المقصود به هنا فهو الميزان الذي توزن به الأعمال يوم القيامة، وهو ميزانٌ حَقِيقِي من جنس الموازين، له كِفَّتَانِ حِسِّيَّتَانِ مُشَاهِدَتَانِ. وبهذا صرَّح السلف كابن عباس والحسن، ومن سار على طريقهم من أهل العلم.<sup>(2)</sup>

وعلى هذا إجماع أهل السنة. قال ابن حجر<sup>(3)</sup>: «قال أبو إسحاق الزجاج: أجمع أهل السنة على الإيمان بالميزان، وأن أعمال العباد توزن يوم القيامة، وأن الميزان له لسان وكفتان، ويميل بالأعمال...». انتهى.

ومع هذا، فالبابُ غَيْبٌ مُحْضٌ، والله أعلم بما وراء ذلك من الكيفيات، وفي هذا يقول ابن تيمية<sup>(4)</sup>: «وأما كيفية تلك الموازين، فهو بمنزلة كيفية سائر ما أخبرنا به من الغيب». انتهى

وقد أنكر المعتزلة ومن نحا نحوهم الميزان، جهلا وعنادا، وقالوا: هو عبارة عن العدل، فخالفوا جماعة المسلمين، ومن جهل شيئا عاداه، ومن ترك اتباع الحق ابتلي بالذل لعقله وهواه.

- 
- 1- انظر: «لسان العرب» (13/ 446، وزن)، و«التعليق على لمعة الاعتقاد» (ص 59)، لابن عثيمين.
  - 2- انظر: «التذكرة» (2/ 272)، و«لوامع الأنوار البهية» (2/ 198)، و«لوائح الأنوار» (2/ 180)، و«موسوعة العقيدة» (5/ 2909)، إذ فيها خلاصة حسنة.
  - 3- «الفتح» (13/ 538).
  - 4- «الفتاوى» (4/ 302).

قال ابن أبي العز الحنفي<sup>(1)</sup>: «فعلينا الإيمان بالغيب، كما أخبرنا الصادق صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من غير زيادة ولا نقصان. ويا خيبة من ينفي وضع الموازين القسط ليوم القيامة كما أخبر الشارع، لخفاء الحكمة عليه، ويقدم في النصوص بقوله: (لا يحتاج إلى الميزان إلا البقال والفوال)!! وما أحرأه بأن يكون من الذين لا يُقيم الله لهم يوم القيامة وزناً». انتهى.

### وهل هو ميزان أو موازين؟

اختلف أهل العلم في هذا<sup>(2)</sup>، فمن قائل: إنها موازينٌ متعدّدة، مستدلّين بأدلة كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾، وقوله سبحانه: ﴿ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ﴾.<sup>(3)</sup>

1- «شرح الطحاوية» (ص 316). وانظر: «الفتح» (13/ 538).

2- انظر: «المحرر الوجيز» (2/ 376)، لابن عطية الأندلسي، و«شرح الطحاوية» (ص 314) لابن أبي العز، و«تحقيق البرهان في إثبات حقيقة الميزان»، لمرعي، و«البحور الزاهرة» (2/ 854)، و«لوامع الأنوار» (2/ 199)، و«لوائح الأنوار» (2/ 194) ...

قال الشيخ عبد الرحمان خليف رَحِمَهُ اللَّهُ -مفتي القبروان- في كتابه «مشاهد الناس بعد الموت» (ص 117) مُتحدّثاً عن ميزان يوم القيامة: «وما وَرَدَ فِي الْقُرْآنِ إِلَّا بِصِيغَةِ الْجَمْعِ، وَأَمَّا وَرُودُهُ مُفْرَدًا فِي قَوْلِهِ: ﴿ وَالسَّمَاءُ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ﴿٧﴾ أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ ﴿٨﴾ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ﴾ [الرحمن: ٧ - ٩]، فالمراد به العدل، وهو حكم مؤكد من الله لإلزام البشر في الدنيا بأن يتعاملوا بتمام العدل». انتهى بتصرف يسير.

3- واختاره ابن عثيمين في «شرح السفارينية» (ص 474)، وصالح آل الشيخ في «شرح الطحاوية» (2/ 226)، و«اللآلئ البهية» (2/ 231).

والقول الآخر - وهو الأشهر - : إنه ميزان واحد لجميع الأمم، ولجميع الأعمال، والأدلة على ذلك كثيرة، منها قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا مِنْ شَيْءٍ أَثْقَلُ فِي الْمِيزَانِ مِنْ حُسْنِ الْخُلُقِ»<sup>(1)</sup>، وغير ذلك من النصوص.

وأجاب أصحاب هذا القول عن الآيات التي ذكرت فيها «الموازين»، هكذا بصيغة الجمع، أن ذلك بالتَّظَرُّرَ لكثرة الموزونات، لا لتعدد الموازين، واختاره الحافظ ابن حجر، والسفاري، وغيرهما...<sup>(2)</sup>

### موضع الميزان

والميزان يكون بعد الحساب، والحكمة في ذلك - والله أعلم - أنه إذا انقضى الحساب كان بعده وزن الأعمال، لأن الوزن للجزاء، فينبغي أن يكون بعد المحاسبة، فإن المحاسبة لتقدير الأعمال والوزن لإظهار مقاديرها، ليكون الجزاء بحسبها.<sup>(3)</sup>

### ما الذي يوضع في كفتي الميزان

الخلاف في هذه المسألة حاصل بين أهل السنة والجماعة، على أقوال: القول الأول: إن الموزون هو العمل فقط، واختاره ابن أبي زيد القيرواني<sup>(4)</sup>، والحافظ ابن حجر<sup>(5)</sup>، وابن عثيمين<sup>(1)</sup>.

1- رواه الترمذي (2003)، وأبو داود (4799)، وصحَّحه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (876).

2- انظر: «فتح الباري» (538 / 13)، «لوائح الأنوار» (2 / 194)، و«لسان العرب» (13 / 446).

3- «التذكرة» (2 / 269).

4- قال رَحِمَهُ اللَّهُ في «عقيدته» (ص 59): «وَتَوْضَعُ الْمَوَازِينُ لَوْزْنِ أَعْمَالِ الْعِبَادِ». انتهى.

5- «الفتح» (13 / 539).

وكانَّ القحطاني صاحب «النونية» يختاره، لما قال<sup>(2)</sup>:  
وكذلك الأعمال يومئذ تُرى مَوْضُوعَةً فِي كِفَّةِ الْمِيزَانِ  
والقول الثاني: إن الموزون هو صحائف الأعمال، وصوبه القرطبي، وابن عبد البر،  
ومرعي الكرمي، والسفارييني، ونسبه إلى جمهور المفسرين.<sup>(3)</sup>  
والقول الثالث: هو الجُمُعُ بين هذه الآثار بأن يكون ذلك كُلُّهُ صَحِيحًا، فتارةً تُوزَنُ  
الأعمال، وتارةً تُوزَنُ محالُّها، وتارةً يُوزَنُ فاعِلُها، وهذا اختيار ابن كثير.<sup>(4)</sup>  
والقول الرابع: وهو أنَّ الكل يوزن، أي: العمل، والعامل، وصحائف الأعمال،  
جَمْعًا بين الأدلة، واختاره شارح «الطحاوية»<sup>(5)</sup>، والشيخ صالح بن عبد العزيز آل  
الشيخ<sup>(6)</sup>، وإلى هذا أشار شيخنا صالح بن عبد الله العصيمي بقوله:  
والوزن في أصحِّ قَوْلٍ لِلْعَمَلِ وَعَامِلٍ مَعَهُ صُحْفِهِ نِلَتْ الْأَمَلِ

=  
1- قال في «شرح العقيدة الواسطية» (2/ 143): «ولكن عند التأمل نجد أن أكثر النصوص تدل على أن  
الذي يوزن هو العمل، ويُخَصُّ بعض الناس فتوزن صحائف أعماله، أو يوزن هو نفسه» انتهى.

2- (ص 23).

3- انظر: «التذكرة» (2/ 272)، و«تحقيق البرهان في إثبات حقيقة الميزان»، و«لوائح الأنوار» (2/ 196)،  
«البحور الزاهرة» (2/ 855)، و«لوامع الأنوار» (2/ 200) للسفارييني ...

4- «التفسير» (3/ 390).

5- (ص 316).

6- «شرح الطحاوية» (2/ 227)، و«اللآلئ البهية» (2/ 232).

## الحكمة من الوزن يوم القيامة

فإن قيل: أليس الله جَلَّ جَلَالُهُ يعلم مقادير الأعمال، فما الحكمة في وزنها؟  
الجواب أن يُقال: إِنَّ أَهْلَ الْعِلْمِ ذَكَرُوا حِكْمًا مُتَعَدِّدَةً لِلْوِزْنِ الْكَائِنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمِنْ ذَلِكَ: (1)

- امتحان الخلق بالإيمان بذلك في الدنيا، وهذا عام في الميزان وفي غيره من الغيبات.
- إظهار علامة السعادة والشقاوة في الآخرة. يوضّحه:
- إظهار فضل المتقين برُجحان أعمالهم في الميزان.
- إقامة الدُّلِّ والحِزِّي على الكافرين، وبيان أنّهم لا وزن لهم عند الله، كما لم يكن للإيمان بالله ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في قلوبهم في الدنيا وزن.
- تعريف العباد ما لهم وما عليهم من خير وشر.
- إقامة الحجة عليهم.
- إظهار عدل الله بين الناس، وأنه لا يظلم أحدا.
- بيان رحمة الله، بأن ضاعف الحسنات، وأفرد السيئات، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ<sup>ط</sup> وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضْعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٠]، ومع هذا

1- انظر: «زاد المسير» (2/103)، لابن الجوزي، و«التذكرة» (2/274)، «شرح الطحاوية» (ص 316)، و«تحقيق البرهان في إثبات حقيقة الميزان»، لمرعي الحنبلي، و«موسوعة العقيدة» (5/2914).

الفضل العظيم، والرحمة الواسعة، فالهَلَكَى كثيرٌ، والنَّاجون يوم القيامة قليل،  
والويل لمن غلبت آحادُه عشْرَاتِه. (1)

---

1- روى الطبري في «جامع البيان» عند تفسيره لآيات أصحاب «الأعراف» (454 / 12) عن ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنه قال: «... العبد إذا عمل حسنة كتب له بها عشر، وإذا عمل سيئة لم تكتب إلا واحدة. ثم قال: هلك من غلب وُحْدَانُهُ أعشاره».

## إخراج الموحدين من النار إلى الجنة

بعد التحذير من إنكار بعض السمعيات المتعلقة بالإيمان باليوم الآخر، تكلم الناظم رَحْمَةُ اللَّهِ هَاهُنَا عَلَى الشَّفَاعَةِ، وَأَنَّ الصَّالِحِينَ وَعَلَى رَأْسِهِمُ الْأَنْبِيَاءُ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ يَشْفَعُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي أَقْوَامٍ دَخَلُوا النَّارَ وَلَكِنَّ اللَّهَ جَلَّ وَعَلَا أَخْرَجَهُمْ مِنْهَا بِفَضْلِهِ، لِأَنَّ مَعَهُمْ شَيْئًا مِنَ الْإِيمَانِ يَمْنَعُ خُلُودَهُمْ فِي النَّارِ، فَإِنَّ الَّذِي يَلْقَى اللَّهَ عَلَى التَّوْحِيدِ مَهْمَا عُدَّ بَ، فَإِنَّ نَهَايَتَهُ إِلَى الْجَنَّةِ، وَهَذَا مِنْ فَضَائِلِ التَّوْحِيدِ، حَتَّى قَالَ بَعْضُهُمْ: الْمَوْحِدُ لَا يُلْقَى فِي النَّارِ كَمَا يُلْقَى الْكُفَّارُ، وَلَا يَلْقَى فِيهَا مَا يَلْقَى الْكُفَّارُ، وَلَا يَبْقَى فِيهَا كَمَا يَبْقَى الْكُفَّارُ، فَإِنَّ كَمُلَ تَوْحِيدُ الْعَبْدِ وَإِخْلَاصُهُ لِلَّهِ فِيهِ، وَقَامَ بِشَرْطِهِ كُلُّهَا بِقَلْبِهِ وَلِسَانِهِ وَجَوَارِحِهِ، أَوْ بِقَلْبِهِ وَلِسَانِهِ عِنْدَ الْمَوْتِ، أَوْجَبَ ذَلِكَ مَغْفِرَةَ مَا سَلَفَ مِنَ الذَّنُوبِ كُلِّهَا، وَمَنْعَهُ مِنْ دُخُولِ النَّارِ بِالْكَلِيَّةِ.

فَمَنْ تَحَقَّقَ بِكَلِمَةِ التَّوْحِيدِ قَلْبُهُ، أَخْرَجَتْ مِنْهُ كُلَّ مَا سِوَى اللَّهِ مَحَبَّةً وَتَعْظِيمًا وَإِجْلَالًا وَمَهَابَةً، وَخَشْيَةً، وَرَجَاءً وَتَوَكُّلاً، وَحِينَئِذٍ تُحَرِّقُ ذُنُوبَهُ وَخَطَايَاهُ كُلُّهَا وَلَوْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ، وَرَبَّمَا قَلْبَتَهَا حَسَنَاتٍ، فَإِنَّ هَذَا التَّوْحِيدَ هُوَ الْإِكْسِيرُ الْأَعْظَمُ<sup>(1)</sup>، فَلَوْ وَضَعَ ذَرَّةً مِنْهَا عَلَى جِبَالِ الذَّنُوبِ وَالْخَطَايَا، لَقَلْبَهَا حَسَنَاتٍ<sup>(2)</sup>.

1- جاء في «المعجم الوسيط» (1/22): «الإكسير: مادة مركبة كان الأقدمون يزعمون أنها تحول المعدن الرخيص إلى ذهب وشراب في زعمهم يطيل الحياة». وانظر: «معجم متن اللغة» (1/191).

2- «جامع العلوم والحكم» (2/417).

قال ابن أبي داود رَحْمَةُ اللَّهِ:

وَقُلْ يُخْرِجُ اللَّهُ الْعَظِيمُ بِفَضْلِهِ      مِنْ النَّارِ أَجْسَادًا مِنَ الْفَحْمِ  
عَلَى النَّهْرِ فِي الْفِرْدَوْسِ تَحِيًّا      كَحَبِّ حَمِيلِ السَّيْلِ إِذْ جَاءَ  
وَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ لِلْخَلْقِ شَافِعٌ      وَقُلْ فِي عَذَابِ الْقَبْرِ حَقٌّ مُوَضَّحٌ

فقوله: (وَقُلْ)، أي: أيها السُّنِّي المُوَحَّد (يُخْرِجُ اللَّهُ الْعَظِيمُ بِفَضْلِهِ) العميم وكرمه  
الجسيم وعفوه الفخيم، (مِن النَّارِ) المعهودة التي هي نار جهنم الموقودة (أَجْسَادًا) بعد  
دخولها فيها وإصابتها من عذابها ما تستحقه منها، (مِن الْفَحْمِ)، أي: بعد ما صاروا  
فَحْمًا، والفتح: الجمر الطافي، (تُطْرَحُ): أي تُرْمَى وتُلْقَى.<sup>(1)</sup>

وصحَّ عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «أَمَّا أَهْلُ النَّارِ الَّذِينَ هُمْ أَهْلُهَا، فَإِنَّهُمْ  
لَا يَمُوتُونَ فِيهَا وَلَا يَحْيُونَ، وَلَكِنْ نَاسٌ أَصَابَتْهُمْ النَّارُ بِذُنُوبِهِمْ - أَوْ قَالَ بِخَطَايَاهُمْ -  
فَأَمَاتَهُمْ إِمَاتَةً حَتَّى إِذَا كَانُوا فَحْمًا، أُذِنَ بِالشَّفَاعَةِ، فَجِيءَ بِهِمْ ضَبَائِرَ ضَبَائِرٍ<sup>(2)</sup>، فَبُثُّوا عَلَى  
أَنْهَارِ الْجَنَّةِ، ثُمَّ قِيلَ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، أَفِيضُوا عَلَيْهِمْ، فَيَنْبُتُونَ نَبَاتَ الْحَبَّةِ تَكُونُ فِي حَمِيلِ  
السَّيْلِ».<sup>(3)</sup>

وفي قوله: (بِفَضْلِهِ): إشارة إلى أَنَّ هذا الإخراج من النار من فضل الله على عباده،  
الذي ألهم هؤلاء القوم التوحيد الذي استوجب خروجهم من النار برحمة الله سبحانه.  
ومن جميل الشعر قول الإمام الشافعي رَحْمَةُ اللَّهِ:

1- «لوائح الأنوار» (2/ 234-235)، باختصار وتصرف.

2- قال أهل اللغة: الضبائر جماعات في تفرقة. «شرح مسلم» (3/ 38).

3- رواه مسلم (185).

إِنْ كُنْتَ تَغْدُو فِي الذُّنُوبِ جَلِيدًا      وَتَخَافُ فِي يَوْمِ الْمَعَادِ وَعِيدًا  
فَلَقَدْ أَتَاكَ مِنَ الْمُهَيِّمِينَ عَفْوُهُ      وَأَفَاضَ مِنْ نِعَمِ عَلَيْكَ مَزِيدًا  
لَوْ شَاءَ أَنْ تَصَلِيَ جَهَنَّمَ خَالِدًا      مَا كَانَ أَلْهَمَ قَلْبَكَ التَّوْحِيدًا  
وفي قوله: (أجسادًا): إشارة إلى أنه ما بقي منهم شيء -والعياذ بالله من حالهم-،  
ولهذا قال بعدها: (مِنَ الْفَحْمِ تُطْرَحُ)، فهي أجسادٌ متفحمةٌ محترقة.

ثم يبيِّن الموضع الذي تُطْرَحُ فيه أجسادهم، فقال: (عَلَى النَّهْرِ فِي الْفِرْدَوْسِ تَحْيَا بِمَائِهِ).

**عَلَى النَّهْرِ فِي الْفِرْدَوْسِ تَحْيَا      كَحَبِّ حَمِيلِ السَّيْلِ إِذْ جَاءَ**  
فقوله: (عَلَى النَّهْرِ): مُتَعَلِّقٌ بـ«تُطْرَحُ»، (فِي) جنة (الْفِرْدَوْسِ تَحْيَا): أي: تلك  
الأجساد بعد ما صارت فحماً وطُرحَت على النهر الذي هو في جنة الفردوس  
(ب)إصابة (مَائِهِ)، أي: ماء ذلك النهر لتلك الأجساد، وتنبت تلك الأجساد بسيلان  
ماء أنهار الجنة عليها كما تَنبُت حَبَّةُ (حَمِيلِ السَّيْلِ) أي الحبة التي يحملها السيل، وفي  
بعض النسخ: (كحَبَّةِ حَمْلِ السَّيْلِ)، وهما بمعنى واحد، (إِذْ جَاءَ يَطْفَحُ): أي: يَفِيضُ،  
يقال: طَفَحَ الْإِنَاءُ طَفْحًا، وَطُفُوْحًا: امتلأ وارتفع، وإِنَاءٌ طَفْحَانٌ يَفِيضُ مِنْ جَوَانِبِهِ.<sup>(1)</sup>

وفي «الصحيحين»<sup>(2)</sup> قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا فَرَّغَ اللهُ مِنَ الْقَضَاءِ بَيْنَ  
الْعِبَادِ، وَأَرَادَ أَنْ يُخْرِجَ بِرَحْمَتِهِ مَنْ أَرَادَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، أَمَرَ الْمَلَائِكَةَ أَنْ يُخْرِجُوا مِنَ النَّارِ  
مَنْ كَانَ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا مِمَّنْ أَرَادَ اللهُ تَعَالَى أَنْ يَرْحَمَهُ مِمَّنْ يَقُولُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ،

1- «لوائح الأنوار» (2/ 235)، باختصار في مواضع، وزيادات في أخرى.

2- رواه البخاري (806)، ومسلم (182).

فَيَعْرِفُونَهُمْ فِي النَّارِ، يَعْرِفُونَهُمْ بِأَثَرِ السُّجُودِ، تَأْكُلُ النَّارُ مِنْ ابْنِ آدَمَ إِلَّا أَثَرَ السُّجُودِ،  
حَرَّمَ اللَّهُ عَلَى النَّارِ أَنْ تَأْكُلَ أَثَرَ السُّجُودِ، فَيَخْرُجُونَ مِنَ النَّارِ وَقَدْ امْتَحَشُوا، فَيَصْبُ  
عَلَيْهِمْ مَاءُ الْحَيَاةِ، فَيَنْبُتُونَ مِنْهُ كَمَا تَنْبُتُ الْحَبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ».

فقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَيَنْبُتُونَ مِنْهُ كَمَا تَنْبُتُ الْحَبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ»، أي: يَنْبُتُونَ بسببه، وأما «الْحَبَّةُ» بكسر الحاء، فهي بَزْرُ البُقُولِ والعُشْبِ تَنْبَتَ فِي الْبَرَارِيِّ وَجَوَانِبِ السُّيُولِ، مِمَّا لَيْسَ بِقَوْتٍ، وَجَمْعُهَا حَبَبٌ بِكسر الحاء<sup>(1)</sup>، وَأما «حَمِيلِ السَّيْلِ»، هُوَ الزَّبَدُ، وَمَا يَلْقَاهُ عَلَى شَاطِئِهِ، أَي: مَا جَاءَ بِهِ السَّيْلُ مِنْ طِينٍ أَوْ غُثَاءٍ، وَمَعْنَاهُ: مَحْمُولُ السَّيْلِ. فَإِذَا اتَّفَقَتْ فِيهِ حَبَّةٌ وَاسْتَقَرَّتْ عَلَى شَطِّ مَجْرَى السَّيْلِ، فَإِنَّهَا تَنْبَتُ فِي يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، وَالْمُرَادُ تَشْبِيهُهُ سُرْعَةَ عَوْدِ أَجْسَامِ الْمُخْرَجِينَ مِنَ النَّارِ بَعْدَ أَنْ احْتَرَقَتْ فِيهَا، بِسُرْعَةِ ظُهُورِ النَّبَاتِ وَحُسْنِهِ وَطَرَاوَتِهِ.<sup>(2)</sup>

قال القاضي عياض رَحِمَهُ اللَّهُ<sup>(3)</sup>: «وتشبيهه نباتهم بنبات الحبة لوجهين:

- أحدهما: بباضها كما ذكر في الحديث فيهم وفيها (كاللؤلؤ)،
- والثانية: سرعة نباتها لأنها قالوا تَنْبَتَ فِي يَوْمٍ أَوْ لَيْلَةٍ لِأَنَّهَا لَمَّا رُوِيَ مِنَ الْمَاءِ ثُمَّ تَرَدَّدَتْ فِي غُثَاءِ السَّيْلِ وَقَدْ رُوِيَ وَتَيْسَرَتْ قَلْبَتُهَا لِلخُرُوجِ فَإِذَا خَرَجَتْ إِلَى طِينِ الشَّطِّ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ غَرَزَتْ عَرُوقَهَا فِيهِ لِحِينِهَا وَنَبَتَتْ بِسُرْعَةٍ. انتهى.

1- أما الحَبَّةُ: بفتح الحاء، فهي البذور التي تُبَدَّرُ فِي الْأَرْضِ. وَيُطْلَقُ عَلَى الحِنْطَةِ والشعير. انظر: «مشارك الأنوار» (1/ 174)، و«صحيح الترغيب» (3/ 432).

2- انظر: «شرح مسلم» (3/ 23)، و«النهاية» (1/ 442، حَمَل).

3- «مشارك الأنوار» (1/ 175).

وفي هذين البيتين الإشارة إلى أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كغيره من الأنبياء والملائكة والصالحين يشفع في عصاة الموحدين، فيُخرجون من النار ويصيرون إلى الجنة، لأنهم من أهلها انتهاءً، وإن كانوا من أهل النار ابتداءً، وعلى هذا حمل كثير من المفسرين قديماً (وهو قول ابن عباس، والضحاك، وغيرهما) وحديثاً قوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَيُنزَلُونَ فِيهَا نَارًا جَدِيدًا كُلَّمَا أَفْتَقُوا فِيهَا عُثْبًا بِضَعًّا لَبِئْسَ مَا يَجُودُونَ ﴾ [هود: ١٠٦ - ١٠٧]، وهو أن الاستثناء عائد على العصاة من أهل التوحيد، ممن يُخرجهم الله من النار بشفاعة الشافعين، من الملائكة والنبیین والمؤمنين، حين يشفعون في أصحاب الكبائر، ثم تأتي رحمة أرحم الراحمين، فتُخرج من النار من لم يعمل خيراً قطاً<sup>(١)</sup>، وقال يوماً من الدهر: «لا إله إلا الله»، كما وردت بذلك الأخبار الصحيحة المستفيضة عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.<sup>(٢)</sup>

وهذا فيه رد على الخوارج والمعتزلة الذين يقولون: إن مرتكب الكبيرة مخلد في النار، وإن اختلفوا في حكمه في الدنيا، كما سيأتي تفصيله في موضعه - إن شاء الله تعالى -.

1- قال أبو الحسن الأشعري في «رسالة إلى أهل الثغر» (ص 163): «وأجمعوا على أن الله تعالى يخرج من النار من كان في قلبه شيء من الإيمان بعد الانتقام منه». انتهى.

2- انظر: «تفسير ابن كثير» (4/351). وحكى -على عادته في حُسن الجمع- أبو الفرج بن الجوزي رَحِمَهُ اللَّهُ أقوالاً كثيرةً حول تفسير هذه الآية في «زاد المسير» (2/402).

قال الشيخ عبد الرزاق البدر نفع الله به<sup>(1)</sup>: «وفي البيتين أيضاً: إشارة إلى الجنة ونعيمها، والنار وعذابها، والإيمان بذلك وبكافة التفاصيل الواردة في الكتاب والسنة المتعلقة بالجنة والنار هو من الإيمان باليوم الآخر». انتهى.

قلت: وتفاصيل هذا مبثوثة في نصوص الكتاب والسنة<sup>(2)</sup>، كما قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ فِي آخِر كَلَامِهِ عَلَى مَبْحَثِ الْإِيمَانِ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ مِنْ «العقيدة الواسطية»<sup>(3)</sup>: «وأصناف ما تضمنته الدار الآخرة من الحساب والثواب والعقاب والجنة والنار وتفاصيل ذلك مذكورة في الكتب المنزلة من السماء والآثار من العلم المأثور عن الأنبياء. وفي العلم الموروث عن محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من ذاك ما يشفي ويكفي، فمن ابتغاه وجده».

1- «التحفة السنية» (ص 88).

2- وقد فصلت شيئاً منها -بفضل الله- في كتابي «واسع المنة بالتعليق على شرح السنة للمزني» (ص 244)، يَسَّرَ اللهُ طِبَاعَتَهُ وَسَائِرِ كُتُبِي، الَّتِي بَقِيَتْ حَبِيسَةَ الْخِزَانَةِ الْإِلِكْتَرُونِيَّةِ الشَّخْصِيَّةِ، فَإِنَّهُ لَمْ يُنْشَرِ مِنْهَا شَيْءٌ بَعْدُ. ولعل في هذا خيراً -إن شاء الله-، فَإِنَّ الاسْتِعْجَالَ بِإِخْرَاجِ التَّأْلِيفِ لَيْسَ بِمَحْمُودٍ، حَتَّى يَشْتَدَّ السَّاعِدُ بِالْعِلْمِ، وَيَزْدَانِ الْقَلَمُ بِالْأَدَبِ، وَرَبِمَا كَانَ مَعَ الْمُسْتَعْجَلِ النَّدَمُ، فَإِنَّ اللَّهَ لَوْ عَلِمَ فِيهَا خَيْرًا لَأَخْرَجَهَا وَنَفَعَ بِهَا مَنْ شَاءَ مِنْ خَلْقِهِ -وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ-. وَالْعِبْرَةُ بِالصَّدَقِ مَعَ اللَّهِ، وَشِدَّةُ الْإِقْبَالِ عَلَيْهِ، وَكَثْرَةُ الْإِنْطِرَاحِ بَيْنَ يَدَيْهِ، حَتَّى يَجْعَلَ لِمَا نَقُولُ وَنَكْتُبُ عِنْدَهُ قُبُولًا، وَلَا يَجْعَلَ لِأَثَارِ أَعْمَالِنَا أَقْوَالَ، فَمَا كَانَ اللَّهُ دَامَ وَاتَّصَلَ، وَمَا كَانَ لِغَيْرِهِ انْقِطَعُ وَانْفَصَلَ! وَمَا أَجْمَلَ قَوْلَ الْإِمَامِ ابْنِ عَبْدِ الْبَرِّ رَحِمَهُ اللهُ فِي «الكَافِي فِي فَهْمِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ» (2/ 1132): «ومن طلب العلم لله فالقليل يكفيه، ومن طلبه للناس فحوائج الناس كثيرة». انتهى. ونحوه في «التمهيد» و«الاستذكار».

3- انظرها بشرحها الرائع: «التنبيهات السنية» (ص 244)، للعلامة عبد العزيز الناصر الرشيد رَحِمَهُ اللهُ.

### شفاعة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوم القيامة

وبعد الإشارة إلى الشفاعة إجمالاً، صرّح بها ابن أبي داود رَحِمَهُ اللهُ بقوله:

**وإنَّ رَسُولَ اللَّهِ لِلْخَلْقِ شَافِعٌ وَقُلْ فِي عَذَابِ الْقَبْرِ حَقٌّ مُوَضَّحٌ**

فحرف الواو في قوله: (و)، أي: وما ينبغي أن يُعتقد ويُقال أيضاً: (إنَّ رَسُولَ اللَّهِ):

محمد بن عبد الله النبي الهاشمي القرشي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (للخلق) جميعاً، بلا استثناء،

(شافع)، اسم فاعل من الشفاعة، والمقصود بها هنا الشفاعة العُظمى للخلق يوم

القيامة، وهي خاصة برسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بين سائر الأنبياء والمرسلين وكافة

العالمين، وهي لواء الحمد، والمقام المحمود الذي ذكره الله تعالى في قوله: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ

فَتَهَجَّدُ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ [الإسراء: 79].<sup>(1)</sup>

و«عسى» من الله واجبة، فهذا المقام واقع قطعاً يوم القيامة. قال ابن جرير الطبري

رَحِمَهُ اللهُ<sup>(2)</sup>: «قال أكثر أهل العلم: ذلك هو المقام الذي هو يقومه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوم

القيامة للشفاعة للناس ليريحهم ربهم من عظيم ما هم فيه من شدة ذلك اليوم». انتهى.

ولرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تشريفات يوم القيامة لا يَشْرُكُهُ فيها أحد، ومقامات لا

يُدانيه فيها أحد: فهو أول من تنشق عنه الأرض، ويبعث راكباً إلى المحشر، وله اللواء

1- بتصريف عن شرح «القصيدة الحائية في السنة» (ص 49)، لشيخنا بدر بن طامي العتيبي.

2- «جامع البيان في تأويل القرآن» (17 / 526).

الذي آدم فمن دونه تحت لوائه، وله الحوض الذي ليس في الموقف أكثر واردا منه، وله الشفاعة العظمى عند الله لفصل القضاء بين الخلائق.<sup>(1)</sup>

وفي «الصحيحين»<sup>(2)</sup> عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَهَلْ تَدْرُونَ بِمَ ذَاكَ؟ يَجْمَعُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، فَيُسْمِعُهُمُ الدَّاعِيَ، وَيَنْفِذُهُمُ الْبَصَرَ، وَتَدْنُو الشَّمْسُ فَيَبْلُغُ النَّاسَ مِنَ الْغَمِّ وَالْكَرْبِ مَا لَا يُطِيقُونَ، وَمَا لَا يَحْتَمِلُونَ، فَيَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ لِبَعْضٍ: أَلَا تَرَوْنَ مَا أَنْتُمْ فِيهِ؟ أَلَا تَرَوْنَ مَا قَدْ بَلَغَكُمْ؟ أَلَا تَنْظُرُونَ مَنْ يَشْفَعُ لَكُمْ إِلَى رَبِّكُمْ؟ فَيَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ لِبَعْضٍ: ائْتُوا آدَمَ، فَيَأْتُونَ آدَمَ، فَيَقُولُونَ: يَا آدَمَ، أَنْتَ أَبُو الْبَشَرِ، خَلَقَكَ اللَّهُ بِيَدِهِ، وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ، وَأَمَرَ الْمَلَائِكَةَ فَسَجَدُوا لَكَ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلَا تَرَى إِلَى مَا قَدْ بَلَغَنَا؟ فَيَقُولُ آدَمُ: إِنَّ رَبِّي غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنَّهُ نَهَانِي عَنِ الشَّجَرَةِ فَعَصَيْتُهُ، نَفْسِي نَفْسِي<sup>(3)</sup>،

1- انظر: «تفسير ابن كثير» (5/104).

2- البخاري (3340، 4712)، ومسلم (194)، واللفظ له. ورواية مسلم للحديث تامة كما قال الشيخ الألباني في «صحيح الترغيب» (3/462).

3- وفي روايات كثيرة أن كل نبي يعتذر بقوله: «لَسْتُ هُنَاكُمْ» كناية عن أن منزلته دون المنزلة المطلوبة، أي: أنا دون مقام الشفاعة. انظر: «مرقاة المفاتيح» (8/3538).

قال القاضي عياض رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «إِكْمَالِ الْمَعْلَمِ» (1/577): «وَقَدْ يَكُونُ إِشَارَةً مِنْ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ إِلَى أَنَّ هَذِهِ الشَّفَاعَةَ وَهَذَا الْمَقَامَ لَيْسَ لَهُ، بَلْ لِغَيْرِهِ، وَدَلَّ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ عَلَى الْآخِرِ حَتَّى انْتَهَى الْأَمْرُ إِلَى صَاحِبِهِ بِدَلِيلِ قَوْلِهِ: «أَنَا هَا»، وَيَحْتَمِلُ أَنَّهُمْ عَلِمُوا أَنَّ صَاحِبَهَا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُعَيَّنًا، وَيَكُونُ إِحَالَةً كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ عَلَى الْآخِرِ عَلَى تَدْرِيجِ الشَّفَاعَةِ فِي ذَلِكَ إِلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.»

اذْهَبُوا إِلَىٰ غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَىٰ نُوحٍ، فَيَأْتُونَ نُوحًا، فَيَقُولُونَ: يَا نُوحُ، أَنْتَ أَوَّلُ الرُّسُلِ إِلَىٰ الْأَرْضِ، وَسَمَّاكَ اللهُ عَبْدًا شَكُورًا، اشفَعْ لَنَا إِلَىٰ رَبِّكَ، أَلَا تَرَىٰ مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلَا تَرَىٰ مَا قَدْ بَلَغْنَا؟ فَيَقُولُ لَهُمْ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنَّهُ قَدْ كَانَتْ لِي دَعْوَةٌ دَعَوْتُ بِهَا عَلَىٰ قَوْمِي، نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ، فَيَقُولُونَ: أَنْتَ نَبِيُّ اللهِ وَخَلِيلُهُ مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ، اشفَعْ لَنَا إِلَىٰ رَبِّكَ، أَلَا تَرَىٰ إِلَىٰ مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلَا تَرَىٰ إِلَىٰ مَا قَدْ بَلَغْنَا؟ فَيَقُولُ لَهُمْ إِبْرَاهِيمُ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَا يَغْضَبُ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَذَكَرَ كَذْبَاتِهِ، نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَىٰ غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَىٰ مُوسَى، فَيَأْتُونَ مُوسَى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَيَقُولُونَ: يَا مُوسَى، أَنْتَ رَسُولُ اللهِ فَضَّلَكَ اللهُ بِرِسَالَاتِهِ، وَبِتَكْلِيمِهِ عَلَى النَّاسِ، اشفَعْ لَنَا إِلَىٰ رَبِّكَ، أَلَا تَرَىٰ إِلَىٰ مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلَا تَرَىٰ مَا قَدْ بَلَغْنَا؟ فَيَقُولُ لَهُمْ مُوسَى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنِّي قَتَلْتُ نَفْسًا لَمْ أُؤْمَرْ بِقَتْلِهَا، نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَىٰ عِيسَى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَيَأْتُونَ عِيسَى، فَيَقُولُونَ: يَا عِيسَى أَنْتَ رَسُولُ اللهِ، وَكَلَّمْتَ النَّاسَ فِي الْمُهْدِ، وَكَلِمَةٌ مِنْهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ، وَرُوحٌ مِنْهُ، فَاشْفَعْ لَنَا إِلَىٰ رَبِّكَ، أَلَا تَرَىٰ مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلَا تَرَىٰ مَا قَدْ بَلَغْنَا؟ فَيَقُولُ لَهُمْ عِيسَى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ

وفيه تقديم ذوي الأسنان والآباء على الأبناء في الأمور التي لها بآل، وعلى هذا جاء تدرج سؤال الأنبياء في هذا الحديث ومبادرة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لذلك وإجابته لرغبتهم لما حققه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من أن هذه الكرامة والمقولة خاصة كما وعدّه بها ربّه». انتهى.

يَغْضَبُ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَلَمْ يَذْكُرْ لَهُ ذَنْبًا<sup>(1)</sup>، نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى مُحَمَّدٍ، فَيَأْتُونِي فَيَقُولُونَ: يَا مُحَمَّدُ، أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ، وَخَاتَمُ الْأَنْبِيَاءِ، وَغَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ، وَمَا تَأَخَّرَ، أَشْفَعُ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلَا تَرَى مَا قَدْ بَلَّغْنَا؟ فَانْطَلِقْ، فَاتِي تَحْتَ الْعَرْشِ، فَأَقْعُ سَاجِدًا لِرَبِّي، ثُمَّ يَنْفَتِحُ اللَّهُ عَلَيَّ وَيُلْهِمُنِي مِنْ مَحَامِدِهِ، وَحُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ شَيْئًا لَمْ يَفْتَحْهُ لِأَحَدٍ قَبْلِي، ثُمَّ يُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ، ارْزُقْ رَأْسَكَ، سَلْ تُعْطَهُ، أَشْفَعُ تُشْفَعُ، فَارْزُقْ رَأْسِي، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ، أُمَّتِي أُمَّتِي، فَيُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ، أَدْخِلِ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِكَ مَنْ لَا حِسَابَ عَلَيْهِ مِنَ الْبَابِ الْأَيْمَنِ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ، وَهُمْ شُرَكَاءُ النَّاسِ فِيهَا سِوَى ذَلِكَ مِنَ الْأَبْوَابِ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، إِنَّ مَا بَيْنَ الْمَضْرَاعَيْنِ مِنْ مَصَارِيحِ الْجَنَّةِ لَكَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَهَجَرَ، أَوْ كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَبُضْرَى<sup>(2)</sup>.

وهناك شفاعات أخرى خاصة به صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثبتت بها النصوص، كشفاعته في عمه الكافر أبي طالب في أن يُخفف الله عنه العذاب، ومنها شفاعته في المؤمنين حتى يدخلوا الجنة<sup>(3)</sup>.

1- وفي بعض الروايات في «سنن الترمذي» (3148): «فَيَأْتُونَ عَيْسَى، فَيَقُولُ: إِنِّي عَبْدُكَ مِنْ دُونِ اللَّهِ، وَلَكِنْ أَتُوا مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ». انظر: «القيامة الكبرى» (ص 175)، لعمر الأشقر رَحِمَهُ اللَّهُ.

2- وفي بعض الروايات في «الصحيح»: «ثُمَّ أَشْفَعُ فَيُحْدِثُ لِي حَدًّا، فَأُخْرِجُهُمْ مِنَ النَّارِ وَأَدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ»، قَالَ: فَلَا أَدْرِي فِي الثَّلَاثَةِ أَوْ فِي الرَّابِعَةِ، قَالَ: «فَأَقُولُ: يَا رَبِّ، مَا بَقِيَ فِي النَّارِ إِلَّا مَنْ حَبَسَهُ الْقُرْآنُ، أَيْ وَجَبَ عَلَيْهِ الْخُلُودُ». قَالَ ابْنُ عُيَيْدٍ فِي رَوَاتِيهِ: قَالَ قَتَادَةُ: «أَيْ وَجَبَ عَلَيْهِ الْخُلُودُ».

3- وقد تكلّمتُ -بعون الله وفضله- عن موضوع الشفاعة وتفصيله في عدة مواضع منها: «شرح القواعد الأربع»، «والتعليق على نظم المهيات من كشف الشبهات»، وبحث بعنوان: «الشفاعة: أنواعها وشروطها»، ومن آخرها كتابي: «شذا العبير بشرح قصيدة (أنا الفقير)».

وهناك شفاعات أخرى هي له ولغيره من الأنبياء والملائكة والصالحين، ومن ذلك شفاعته في قوم دخلوا النار أن يخرجوا منها، وشفاعته في قوم استحقوا النار ألا يدخلوها، وشفاعته في أقوام من أهل الجنة في رفع درجاتهم فيها. وهناك شفاعات أخرى تحصل له صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوم القيامة، أوصلها بعض أهل اعلم إلى خمس<sup>(1)</sup> وآخرون إلى ثمان<sup>(2)</sup>، وبلغت عند بعضهم عشرا<sup>(3)</sup>.

قال السفاريني رَحِمَهُ اللَّهُ<sup>(4)</sup>: «شفاعة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من السمعيات التي وردت بها الأخبار، وصحت بها الآثار، حتى بلغت مبلغ التواتر، وانعقد عليها إجماع أهل الحق من السلف الصالح قبل ظهور المبتدعة». انتهى.

قال الشيخ التَّوْدِي بن سُودَةَ المُرِّي رَحِمَهُ اللَّهُ في حواشيه على «صحيح البخاري»: <sup>(5)</sup>  
 مَمَّا تَوَاتَرَ حَدِيثُ مَنْ كَذَبَ وَمَنْ بَنَى لِهَيْبَتِهِ وَاحْتَسَبَ  
 وَرُؤْيَا شَفَاعَةَ وَالْحَوْضِ وَمَسْحُ خُفَّيْنِ وَهَذِي بَعْضُ

1- «التذكرة» (1/ 215).

2- «شرح الطحاوية» (146-150)، لابن أبي العز. وانظر: «فتح المجيد» (ص 223).

3- «البحور الزاهرة» (2/ 769).

4- «لوائح الأنوار» (2/ 247)، بحاشية المحقق، فقد ذكر عدة مراجع في باب الشفاعات الخاصة بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

5- ذكره محمد بن جعفر الكتاني في «نظم المتناثر من الحديث المتواتر» (ص 18).

استفدت هذا من شيخنا صالح العصيمي، وما هذه بأول إفاداته ولا آخر لطائفه وإبداعاته، حفظه الله من عالم رباني، وناصح للطلاب بتفاني. آمين.

قال أبو الحسن الأشعري رَحِمَهُ اللهُ<sup>(1)</sup>: «وأجمعوا على أن شفاعة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأهل الكبائر من أمته، وعلى أنه يُخرج من النار قوماً من أمته بعد ما صاروا حِمماً، فيطرحون في نهر الحياة فينبئون كما تنبت الحبة في حميل السيل». انتهى.

---

1- «رسالة إلى أهل الثغر» (ص 164). وقال (ص 163): «وأجمعوا على أن الله تعالى يخرج من النار من كان في قلبه شيء من الإيذان بعد الانتقام منه». انتهى.

### تعريف الشفاعة وشروطها

والشفاعة لغة: من «الشفع»، وهو الزوج في مقابلة الوتر، شَفَعْتُ الشَّيْءَ شَفْعًا، ضَمَمْتُهُ إِلَى الْفَرْدِ<sup>(1)</sup>، واصطلاحاً هي: التوسُّطُ عند الله للغير، لجلب خير أو دفع ضير.

(2)

### والشفاعة نوعان: (3)

- شفاعةٌ مَنْفِيَّةٌ، لم تتحقق شروطها، كالتى أثبتها المشركون ومن ضاهاهم من جهال هذه الأمة وضلالهم، وهي من الشرك.
- وشفاعةٌ مُثَبِّتَةٌ، تحققت شروطها، كالتى أثبتها الله تعالى لعباده الصالحين.

### وشروط الشفاعة، هي:

- أولاً: الرضا عن الشافع، فإنَّ تمكينَ الشافع من الشفاعة تكريم له وتشريف، والله لا يُكرم إلا من رضي قوله وعمله.
- وثانياً: الرضا عن المشفوع له، لقوله تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾ [الأنبياء: 28]، وقوله: ﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُرِضَى﴾ [النجم: 26]، وأعظم الأسباب التي تنال بها الشفاعة هو تجريد

1- انظر: «المصباح المنير» (1/317، شفع).

2- انظر: «القول المفيد» (1/330).

3- انظر «مجموع الفتاوى» (1/332)، ومواضع أخرى كثيرة من كتبه، بسط فيها ابن تيمية هذا الباب فجاء

التوحيد، ففي «الصحيح» (1) أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، مَنْ قَالَ «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»، خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ». (2)

- وثالثا: الإذن بالشفاعة، لقوله جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿وَلَا نَنْفَعُ الشَّفَعَةَ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أذِنَ لَهُ﴾ [سبأ: ٢٣]، وقوله: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وقوله: ﴿مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكَ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [يونس: ٣].

قال العلامة ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ (3): «فهذه ثلاثة أصول، تقطع شجرة الشرك من قلب من وعائها وعقلها، لا شفاعة إلا بإذنه، ولا يأذن إلا لمن رضي قوله وعمله، ولا يرضى من القول والعمل إلا توحيد، واتباع رسوله، فالله تعالى لا يغفر شرك العادلين به غيره، كما قال تعالى ﴿ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ [الأنعام: ١].»

وفي إذنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِالشَّفَاعَةِ لِلشَّافِعِ:

- رحمةً بالمشفوع له، إذ بالشفاعة تُغْفَرُ السيئات، وتُرفَعُ الدرجات.
- ورحمةً بالشفيع، الذي أكرمه الله بالشفاعة إظهاراً لفضله، وإِعْلَاءً لمنزلته بين العالمين.

1- رواه البخاري (99).

2- انظر كلاما حسنا في الشفاعة للعلامة الميلي رَحِمَهُ اللَّهُ في «رسالة الشرك ومظاهره» (ص 331).

3- «مدارج السالكين» (1/ 256)، و«الصواعق المرسلات» (2/ 461).

قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ<sup>(1)</sup>: «وهذا كله يُبين أن الأمرَ كلُّه لله، هو الذي يُكرم الشفيعَ بالإذن له في الشفاعة، والشفيعُ لا يشفعُ إلا فيمن يأذن اللهُ له، ثم يُحدُّ للشفيع حدًا فيدخلهم الجنة، فالأمرُ بمشيئته وقدرته واختياره. وأوجهُ الشفعاء وأفضلهم هو عنده الذي فضَّله على غيره واختاره واصطفاه بكمال عبوديته وطاعته وإنابته وموافقته لربه فيما يحبه ويرضاه». انتهى.

وبَسَطُ الكلام في الشفاعة وأنواعها والرد على منكريها ومن غلا فيها في غير هذا الموضوع.<sup>(2)</sup>

1- انظر: «مجموع الفتاوى» (1/ 295)، و«رسالة الشرك ومظاهره» (ص 317) للمبلي.

2- وموضوع الشفاعة من المواضيع المهمة التي اعتنى بها أهل السنة، فأودعوها المختصرات، وفصلوها في المطولات، وأفردوا لها العديد من المصنفات، ومن ذلك في عصرنا: «قل لله الشفاعة جميعا» لأبي الوفاء محمد درويش، و«الشفاعة» لمقبل الوداعي، و«الشفاعة» لناصر الجديع...

وموضوع الشفاعة يُبحث في كتب أهل العلم من جهتين:

- في كُتُب العقيدة العامة، وبالتحديد عند الكلام عن اليوم الآخر، وفي هذا الباب يُركزون على أنواع الشفاعة، وخاصة شفاعة صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في أهل الكبائر، والرد على الخوارج والمعتزلة الذين انحرفوا في باب الشفاعة، فأنكروها لمخالفتها أهواءهم.
- وفي كُتُب التوحيد التي تُعنى بتوحيد العبادة، وفي هذا الباب يُركزون على شروط الشفاعة وحُرمة طلبها من الأموات، وما يتعلق بذلك من مباحث.

## الإيمان بعذاب القبر ونعيمه

بعد الكلام على الشفاعة يوم القيامة، قال ابن أبي داود رَحِمَهُ اللهُ:

**وَقُلْ فِي عَذَابِ الْقَبْرِ حَقٌّ مُوَضَّحٌ**

فحرف الواو في قوله: (و) عطف على المسائل الجليلة التي تم بيانها في هذا النظم المبارك، و(قُلْ)، يا صاحبَ السنة قولاً بلسانك معتقداً إياه بجنانك، (في عَذَابِ الْقَبْرِ)، ونييمه (حقٌّ)، لا مَرِيَّةَ فيه، ولا يُجَادَلُ فيه إلا مُبْطَلٌ، لَأَنَّهُ (مُوضَّحٌ) في الآيات القرآنية، وتواتر النصوص النبوية<sup>(1)</sup>، والآثار السلفية، وإجماع أهل الحق عليه، ولا ينكره إلا معتزلي ضال.<sup>(2)</sup>

1- قال ابن عبد البر في معرض رده على أصحاب الرأي المذموم، والكلام المسموم، في «جامع بيان العلم» (2/1052): «فردوا الأحاديث المتواترة في عذاب القبر وفتنته، وردوا الأحاديث في الشفاعة على تواترها، وقالوا: لن يخرج من النار من فيها، وقالوا: لا نعرف حوضاً ولا ميزاناً، ولا نعقل ما هذا، وردوا السنن في ذلك كله برأيهم وقياسهم». انتهى كلامه رَحِمَهُ اللهُ.

2- أو خارجي، أو رافضي، وكذلك الذين يُسَمَّونَ -زورا- بالقرآنيين على هذا المسلك من إنكار عذاب القبر. وبالأمس القريب أرسل لي مقطع فيديو لرجل ينكر عذاب القبر، ويستدل بشبهِه أوهى من خيط العنكبوت. وهذا رجل دجال خرج على الناس يفسر القرآن بقواعد الفيزياء والرياضيات، وليس له ما يحتاج المُفسِّر من آلات، وإنما هو جاهل ضال يفهم القرآن على هواه، من غير نور وهدى من الله، فتراه يلوي أعناق النصوص بما يوافق نظرياته المزعومة، فأعجب به البعض، ونسبه للتجديد آخرون! وهو مُجدد، ولكن لدين المعتزلة لا لدين الله وسنة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. ومن طالع كلام السلف في ذم الرأي المخالف للشرع، سيما في تفسير كتاب الله عَلمٌ أن هؤلاء على خطر عظيم، ووبال جسيم.

وفي بعض النسخ: (وقل إنَّ عذابَ القبرِ بالحقِّ يُوضَحُ)<sup>(1)</sup>، والمعنى واحد.

### وجه التعبير بعذاب القبر دون النعيم

غالبًا يُعبَّرُ أهلُ العلم بـ«عذاب القبر»<sup>(2)</sup>، مع العلم أن هناك نعيمًا في القبر أيضًا، ولعلَّ السبب في ذلك -والله أعلم- راجع إلى عدة أوجه بعضها أقوى من بعض:

الوجه الأول: أن أكثر الخلق يُعذَّبون -والعياذ بالله-، كما أن أكثر الخلق في النار، ففي «الصحيحين»<sup>(3)</sup>: قال النبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَقُولُ اللهُ رَبِّكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: يَا آدَمُ، يَقُولُ: لَبَيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ، فَيَنَادِي بِصَوْتٍ: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تُخْرِجَ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ بَعْثًا إِلَى النَّارِ، قَالَ: يَا رَبِّ وَمَا بَعَثُ النَّارِ؟ قَالَ: مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعَ مِائَةٍ وَتِسْعَةَ وَتِسْعِينَ». وقال ابن القيم لما عدَّد أسباب العذاب في القبر<sup>(4)</sup>: «ولما كان أكثر الناس كذلك، كان أكثر أصحاب القبور معذبين، والفائز منهم قليل، فظواهر القبور تراب، وبواطنها حسرات وعذاب». انتهى.

الوجه الثاني: أن أهل البدع أنكروا العذاب، ولو كان الكلام على النعيم فقط لما أنكروه منهم أحد، ولكنهم استعظموا وجود العذاب، فجرهم ذلك إلى إنكار كل ما

1- وهذا الذي جرى عليه السفاريني في «شرحه» (2/267).

2- وبعضهم يذكر النعيم أيضًا، كما فعل ابن تيمية في «العقيدة الواسطية»، حيث قال: «فَيُؤْمِنُونَ بِفِتْنَةِ الْقَبْرِ، وَبِعَذَابِ الْقَبْرِ وَنَعِيمِهِ».

3- رواه البخاري (4741)، ومسلم (222).

4- «الروح» (ص 105).

يتعلق بالبرزخ من نعيم أو عذاب، بخلاف أهل الإيمان فإنهم يثبتون العذاب والنعيم، وهم أهل للنعيم - إن شاء الله -.

الوجه الثالث: أن النصوص وردت في الاستعاذة بالله من عذاب القبر، ولم ترد بسؤال الله النعيم فيه، ومن ذلك ما مر معنا: «اللَّهُمَّ فَإِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ النَّارِ وَعَذَابِ النَّارِ، وَفِتْنَةِ الْقَبْرِ وَعَذَابِ الْقَبْرِ».<sup>(1)</sup>

الوجه الرابع: أن للقبر ضغطاً لا ينجو منها أحد إلا الأنبياء، وهي عامّة للكافر والمسلم، إلا أنها تختلفُ بينهما كما وكيفاً، فهي ضمّة عذابٍ للكافر، وتتواصل حتى البعث، وهي ضمّة شوقٍ للمؤمن، كضمّة الحبيب لحبيبه، تكون في أول نزوله إلى قبره، ثم يعود الانفساح له فيه<sup>(2)</sup>. وعليه، فالقبر فيه نوع ألم حاصلٍ من هذه الجهة.

الوجه الخامس: أسباب تفريج الهموم وتنفيس الشدائد يوم القيامة أكثر منها في القبر، مع الإيمان بوجود نعيم عظيم ينتظر المؤمنين في البرزخ، جعلنا الله وإياك منهم.

الوجه السادس: أن القبر أول منازل الآخرة، وجاء عن السلف أنه فطيع المنظر، ولهذا كان عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِذَا وَقَفَ عَلَى قَبْرِ بَكِي حَتَّى يَبْلُغَ لِحْيَتَهُ فَيُقَالُ لَهُ: تَذَكَّرَ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ فَلَا تَبْكِي وَتَبْكِي مِنْ هَذَا؟ فيقول: إن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ

1- سبق تخريجه.

2- وقد بسطت الكلام عليها في كتابي: «واسع المنة». وانظر: «موسوعة العقيدة» (4/ 1885).

القَبْرِ أَوَّلِ مَنَازِلِ الآخِرَةِ، فَإِنْ نَجَا مِنْهُ، فَمَا بَعْدَهُ أَيْسَرُ مِنْهُ، وَإِنْ لَمْ يَنْجُ مِنْهُ، فَمَا بَعْدَهُ أَشَدُّ مِنْهُ»، وقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا رَأَيْتُ مَنْظَرًا قَطُّ إِلَّا وَالْقَبْرُ أَفْظَعُ مِنْهُ».<sup>(1)</sup>

الوجه السادس: الذي اشتهر في القرآن من الأدلة جاء حول عذاب آل فرعون كما في آية «غافر»، ومن السنة في قصة الرجلين اللذين يُعذَّبان على النسيمة وعدم التنزه من البول، وغيرها من الأدلة، كما سيأتي بيانه -إن شاء الله-.

والتعبير بعذاب القبر نسبةً للقبر من باب التغليب، وإلا فمن ذُرِّيِّ في الهواء، أو أكله الحوت في الماء، أو بقي معلقاً في السماء، فإنه إن كان كافراً ستختلف أضلاعه ويشتعل عليه قبره ناراً، وسيسأله الملكان، ولو فعل به ما فعل بعد الموت، فبعض الفراعنة مُحَنَطٌ إلى الآن، وهو إن مات على الكفر فهو يعذب عذاباً أليماً، وكذلك بعض المؤمنين ما بقي منه شيء لما مات، فربما خسف به أو نسف من فوقه أو حرق بالنار، ولكنه الآن يُنعم، لأن الغيب محبوبٌ عنا، والمؤمن يؤمن به على حقيقته، وإن جهل الكيفية، وهذا عام في كل السمعيات والغيبات.

قال ابن القيم<sup>(2)</sup>: «حتى لو عُلِقَ الميِّتُ على رُؤوس الأشجار في مَهَابِّ الرياح، لأصابَ جَسَدَهُ من عذابِ البرزخ حَظُّهُ ونَصيبُهُ، ولو دُفِنَ الرَّجُلُ الصَّالِحُ في أَتُونٍ<sup>(3)</sup>

1- رواه الترمذي (2308) وابن ماجه (4267)، وحسنه الألباني في «صحيح الترغيب» (391/3).

2- «الروح» (ص 98).

3- هو الموقد الكبير. انظر: «لسان العرب» (7/13).

من النار لأصاب جسده من نعيم البرزخ ورؤحه نصيبه وحظه، فيجعل الله النار على هذا بردًا وسلامًا، والهواء على ذلك نارًا وسُمومًا...». انتهى.

## أدلة عذاب القبر ونعيمه

من أوضح الأدلة في القرآن على هذا قوله تعالى: ﴿وَحَاقَ بِكَالٍ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ ۝٤٥ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ۝٤٦﴾ [غافر: ٤٥ - ٤٦]. واستدل بهذه الآية وغيرها البخاري في «صحيحه»<sup>(1)</sup> في: «باب ما جاء في عذاب القبر...».

وقال ابن كثير في «تفسيره»<sup>(2)</sup>: «وهذه الآية أصل كبير في استدلال أهل السنة على عذاب البرزخ في القبور». انتهى.

قال ابن سيرين: كان أبو هريرة يأتينا بعد صلاة العصر، فيقول: «عَرَجَتْ مَلَائِكَةٌ، وَهَبَطَتْ مَلَائِكَةٌ، وَعُرِضَ آلُ فِرْعَوْنَ عَلَى النَّارِ، فَلَا يَسْمَعُهُ أَحَدٌ إِلَّا يَتَعَوَّذُ بِاللَّهِ مِنَ النَّارِ».<sup>(3)</sup>

والأحاديث في هذا قد بلغت حد التواتر<sup>(4)</sup>. قال ابن القيم<sup>(5)</sup>: «وَأَنْتَ إِذَا تَأَمَّلْتَ أَحَادِيثَ عَذَابِ الْقَبْرِ وَنَعِيمِهِ وَجَدْتَهَا تَفْصِيلاً وَتَفْسِيراً لِمَا دَلَّ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ». انتهى.

1- «فتح الباري» (3/ 203).

2- «التفسير» (7/ 146)، وانظر ما ذكر بعد هذا الكلام، فإنه مفيد.

3- «أهوال القبور» (ص 43)، لابن رجب. ونحوه عند البيهقي في «شعب الإيمان» (396).

4- انظر: «نظم المتناثر» (ص 125)، للكتاني. ونقل هذا التواتر جماعة من أهل العلم كابن تيمية، وابن القيم، وابن أبي العز، وابن رجب، والسيوطي، والسفاري، والزبيدي، والشوكاني، والمناوي، والألباني.

وانظر: «موسوعة العقيدة» (4/ 2024).

5- «الروح» (ص 102).

ومنها ما جاء عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا مَاتَ عُرِضَ عَلَيْهِ مَقْعَدُهُ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ، إِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَمِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَمِنْ أَهْلِ النَّارِ، فَيُقَالُ: هَذَا مَقْعَدُكَ حَتَّى يَبْعَثَكَ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»<sup>(1)</sup>.

وفي «الصحيحين»<sup>(2)</sup> قول النبي صلى الله عليه وسلم يوم الخندق: «مَلَأَ اللَّهُ قُبُورَهُمْ وَبُيُوتَهُمْ نَارًا، كَمَا شَغَلُونَا عَنْ صَلَاةِ الْوُسْطَى حَتَّى غَابَتِ الشَّمْسُ». وعن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم مرَّ بقبرين، فقال: «إِنَّهُمَا لَيُعَذَّبَانِ وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ: أَمَّا أَحَدُهُمَا: فَكَانَ لَا يَسْتَبِرُّ مِنْ بَوْلِهِ، وَأَمَّا الْآخَرُ: فَكَانَ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ»<sup>(3)</sup>.

قال الحافظ ابن رجب رحمه الله<sup>(4)</sup>: «وقد ذَكَرَ بَعْضُهُمُ السَّرَّ فِي تَخْصِيصِ الْبَوْلِ وَالنَّمِيمَةِ وَالغَيْبَةِ بِعَذَابِ الْقَبْرِ، وَهُوَ أَنَّ الْقَبْرَ أَوَّلُ مَنَازِلِ الْآخِرَةِ، وَفِيهِ أَنْمُودُجٌ مَا يَقَعُ فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ مِنَ الْعِقَابِ وَالثَّوَابِ.

وَالْمَعَاصِي الَّتِي يُعَاقَبُ عَلَيْهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ نَوْعَانِ: حَقُّ اللَّهِ، وَحَقُّ لِعِبَادِهِ، وَأَوَّلُ مَا يُقْضَى فِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ حُقُوقِ اللَّهِ: الصَّلَاةُ، وَمِنْ حُقُوقِ الْعِبَادِ: الدَّمَاءُ.

1- رواه البخاري (1379)، ومسلم (2866).

2- رواه البخاري (6396)، واللفظ له، ومسلم (627).

3- رواه البخاري (216)، ومسلم (292).

4- «أهوال القبور» (ص 50).

وأما البرزخ فيُقْضَى فيه في مُقَدِّمَاتِ هَذَيْنِ الْحَقِّينِ وَوَسَائِلِهَا، فَمُقَدِّمَةُ الصَّلَاةِ:  
 الطَّهَّارَةُ مِنَ الْحَدَثِ وَالْحَبَثِ، وَمُقَدِّمَةُ الدَّمَاءِ: النَّمِيمَةُ وَالْوَقِيعَةُ فِي الْأَعْرَاضِ، وَهُمَا  
 أَيْسَرُ أَنْوَاعِ الْأَذَى، فَيُبْدَأُ فِي الْبَرْزَخِ بِالمُحَاسَبَةِ وَالْعِقَابِ عَلَيْهِمَا». انتهى.

وأما الإجماع، فقد قال أبو الحسن الأشعري رَحِمَهُ اللهُ<sup>(1)</sup>: « وأجمعوا على أن عذاب  
 القبر حق، وأن الناس يفتنون في قبورهم بعد أن يحيون فيها ويسألون، فَيُثَبَّتُ اللهُ مَنْ  
 أَحَبَّ تَثْبِيتهُ ». انتهى.

1- «رسالة إلى أهل النغر» (ص 159).

### هل العذاب والنعيم في القبر على الروح والبدن؟

اتَّفَقَ أهلُ السنة والجماعة على أنَّ العذاب والنَّعيم على الروح والبدن جميعاً، أي: على الروح منفردة، وحين اتصاها بالبدن، ووقع الخلاف بينهم في حُصولِ العذابِ والنَّعيمِ للبدن بدون الروح.

والحقُّ الَّذي تنصُّرُه الأدلَّةُ هو أنَّ العذابَ والنَّعيمَ على الروح والجسد معاً، وهذا هو الَّذي اختاره المحقِّقون من أهل العلم: كشيخ الإسلام ابن تيمية، وابن القيم، وابن أبي العزِّ، وجماعة، وعليه علماءُنا المعاصرون.<sup>(1)</sup>

### هل عذاب القبر مستمر أو منقطع؟

والجواب أن يُقال<sup>(2)</sup>: إنَّ العذاب منه مستمر ومنقطع.

أما المستمر، فهو الذي يكون للكفار خاصة ولبعض عصاة الموحدين الذين لم يطهروا من خطاياهم بعد أو هم يُعذبون على ذنوبٍ معينة استوجبت استمرار العذاب عليهم إلى قيام الساعة.

وقد يكون العذاب منقطعاً، وهذا لعصاة الموحدين خاصة، لأنه عذاب ينقطع قبل يوم القيامة، ويزول بزوال سببه.

اللهم اجعلنا ممن يَنعم في الدنيا بالإيمان، وفي البرزخ، ويوم القيامة بالأمان.

1- انظر: «الفتاوى» (282/4)، و«الروح» (ص 70)، و«شرح الطحاوية» (ص 299)، و«الآيات البيِّنات في عدَمِ سَماعِ الأموات» (ص 113) للآلوسي ...

2- انظر لهذه المسألة: «الروح» (ص 121)، و«شرح الطحاوية» (ص 300)، و«موسوعة العقيدة» (2024/4).

## أسباب عذاب القبر

أسباب عذاب القبر كثيرة، ومنها<sup>(1)</sup>:

الغيبة والوقوع في أعراض الناس،<sup>(2)</sup>

والكذب، سيما الكذب الذي يبلغ الآفاق،<sup>(3)</sup>

وعدم التنظف من البول،

وعدم العمل بالعلم،<sup>(4)</sup>

والغلول: وهو الخيانة في المَغْنَم والسَّرَقَة من الغَنِيمة قبل القِسْمة،<sup>(5)</sup>

وتعذيب الحيوان،

والكبر والخِيلاء،

وأكل الربا،

والزنا،

والنوم عن الصلاة،

والتَّأَلِّي على الله وهو القول والحُكْم عليه بغير علم،<sup>(6)</sup>

1- انظر: «الروح» (ص 103)، «موسوعة العقيدة» (4/ 2030).

2- وقد تكلمت عن الغيبة وخطرها وما يجوز منها في آخر كتابي: «واسع المنة».

3- وما أكثر وأسهل ذلك في عالم التقنيات ووسائل التواصل الاجتماعي!! والله المستعان.

4- وقد أطلت في ذكر الأدلة على خطر العلم بلا عمل في كتابي: «سبيل النجاة في فضائل العلم والعمل».

5- «النهاية» (3/ 380، غَلَّل).

6- انظر: «النهاية» (1/ 62، أَلَى).

وغير ذلك من الأسباب التي أوجبت لأهلها العذاب في قبورهم، والعياذ بالله من حالهم ومآلهم.

### الأسباب المنجية من عذاب القبر

وأسباب ذلك كثيرة جماعها: تحقيق التوحيد، واتباع سنة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والاستقامة على شرعه ظاهرا وباطنا، والإكثار من محاسبة النفس، والإسراع بالتوبة، ولكن جاء التنصيص على أسباب معينة تُنجي من عذاب القبر، ومن ذلك: (1)

أسباب عذاب القبر كثيرة، ومنها (2):

الرباط والشهادة في سبيل الله،

والموت بمرض البطن، وغير ذلك.

1- انظر: «الروح» (ص 103)، «موسوعة العقيدة» (4/ 2030).

2- انظر: «الروح» (ص 106)، «موسوعة العقيدة» (4/ 2032).

## الإيمان بين أهل السنة والجماعة ومخالفهم

بعد أن أنهى المصنف الكلام على الإيمان باليوم الآخر، انتقل إلى مسألة عظيمة من مسائل الاعتقاد، وهي حقيقة الإيمان عند أهل السنة والجماعة ومخالفهم.

وعن هذه الأبيات السفاريني رَحِمَهُ اللهُ بقوله<sup>(1)</sup>: «فصل في ذكر بعض قبائح أهل البدع والضلال وتماديهم مع الغيِّ وارتكاب المحال»، ثم قال: «بعد أن بين الناظم نهج أهل الحق وسبيل أصحاب الاتباع والصدق، وكأنه يقول: قد بينا ما يجب اعتقاده مما خالفنا فيه أهل البدع، فاحذر أن تقول بقولهم، وتعتقد اعتقادهم، فحيث علمت ذلك فالزم مذهب أهل الحق». انتهى.

فإن الناظم رَحِمَهُ اللهُ لما ذكر إخراج الموحِّدين من النار وبيَّن أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يشفع فيهم، تكلم هنا على عدم تكفير أهل الصلاة الذين هم أهل توحيد، لأنَّ المعتزلة والخوارج كفروا المسلمين أصحاب الكبائر، على ما بينهم من خلاف في الدنيا واتفاق في أحكام الآخرة.

فإنَّ مَنْ وافق أهل السنة والجماعة من وجهٍ وخالفهم من وجه: الخوارج والمعتزلة، فإنهم ذهبوا إلى أن الإيمان: قولٌ وعملٌ واعتقاد، وهذا حقٌ وافقوا فيه أهل السنة، ولكنهم خالفوهم، فقرروا أن الإيمان إذا ذهبَ بعضُه ذهبَ كُلُّه، فأخرجوا مُرتكِبَ الكبيرة من الإيمان، واختلفوا فيما بينهم؛ فقالت الخوارج: هو كافرٌ كُفراً أكبر، وقالت المعتزلة: هو في منزلة بين منزلتين، مع اتِّفاقهم جميعاً على خُلُوده في النَّار يومَ القيامة.

1- «لوائح الأنوار» (2/ 271)، بتصرف.

وهؤلاء الضلال لما ابتدعوا بدعة تكفير أهل المعاصي - وهي من أول البدع ظهوراً في الإسلام -<sup>(1)</sup> جرّهم هذا إلى بدعة أخرى<sup>(2)</sup> وهي إنكار أحاديث الشفاعة القاضية بخروج الموحدين من النار إلى الجنة.

فالناظم رَحِمَهُ اللهُ تدرّج حتى وصل إلى الكلام على أصل البدعة وهو تكفير أهل الصلاة، فقال رَحِمَهُ اللهُ:

|   |  |
|---|--|
| فكَلُّهُمُ يَعَصِي وَذو العَرشِ                 | وَلَا تُكْفِرَنَّ أَهْلَ الصَّلَاةِ وَإِنْ   |
| مَقَالُ لِمَنْ يَهْوَاهُ يُرْدِي وَيَفْضَحُ     | وَلَا تَعْتَقِدْ رَأْيَ الْخَوَارِجِ إِنَّهُ |
| أَلَا إِنَّمَا الْمُرْجِيُّ بِالذِّينِ يَمْزَحُ | وَلَا تَكْ مُرْجِيًّا لَعُوبًا بدينِهِ       |
| وَفَعَلُ عَلَى قَوْلِ النَّبِيِّ مُصَرِّحُ      | وَقُلْ إِنَّمَا الْإِيمَانُ قَوْلٌ وَنِيَّةٌ |
| بَطَاعَتِهِ يَنْمِي وَفِي الْوِزْنِ يَرْجَحُ    | وَيَنْقُصُ طَوْرًا بِالْمَعَاصِي وَتَارَةً   |

1- انظر: «فتاوى ابن تيمية» (470 / 12)، ومواضع أخرى، و«تفسير ابن كثير» (10 / 2).

2- فإن البدع مواريث.

### التحذير من تكفير المسلمين بغير حق

فقوله: **(ولا تُكْفِرُنَّ)**، أي: ولا تحكم بالخروج من الدين، ولا تُكْفِرْ **(أهلَ الصَّلَاةِ)**، المعهودة التي هي أحد أركان الإسلام ومباني الدين العظام، وفي هذا إشارة إلى أن من لم يكن من أهل الصلاة لا يدخل في هذا الكلام، والمصنف على مذهب الإمام أحمد رَحِمَهُ اللهُ، ومعلوم عند الحنابلة - في أشهر الروايتين - أنهم يكفرون تارك الصلاة.<sup>(1)</sup>

قال شيخنا بدر العتيبي - نفع الله به -<sup>(2)</sup>: «وقوله «أهل الصلاة» أي أهل القبلة، لأن الصلاة هي شعار أهل الإسلام الظاهر، كما قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «نُهَيْتُ عَنْ قَتْلِ الْمُصَلِّينَ»، رواه أبو داود<sup>(3)</sup>، ومثلها في الدلالة على صحة الإسلام ما هو أفضل منها كالتوحيد، وما هو أدنى كالزكاة، من ذلك قول الله تعالى: ﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَنُفِصِلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [التوبة: 11]<sup>(4)</sup>، وقول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَمَرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي

1- انظر: «الكافي» (1/ 177)، لابن قدامة، و«الإنصاف» (3/ 37)، للمرداوي.

ولشيخ الإسلام ابن تيمية تفصيل حسن في حكم تارك الصلاة ذكره في جواب له في «الفتاوى» (22/ 40).

2- «القصيدة الحائية في السنة» (ص 50)، بتصرف يسير.

3- في «السنن» (4928)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (2506).

4- روى ابن جرير الطبري في «تفسيره» (14/ 153) عن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ قَالَ: «حَرَّمْتُ هَذِهِ الْآيَةَ دِمَاءَ أَهْلِ الْقِبْلَةِ».

دِمَائِهِمْ، إِلَّا بِحَقِّ الْإِسْلَامِ، وَحِسَابِهِمْ عَلَى اللَّهِ»، متفق عليه<sup>(1)</sup>. فالصلاة لا تكون عاصمة للدم إلا ببقية دعائم الإسلام العظام وأهمها صدق التوحيد». انتهى.

قلت: ونظير قول ابن أبي داود: **(وَلَا تُكْفِرُنَّ أَهْلَ الصَّلَاةِ)** قول السلف «وَأَنْتُمْ سِكُّ عَنْ تَكْفِيرِ أَهْلِ الْقِبْلَةِ»، أي: الذين يتوجهون في صلاتهم إلى الكعبة، وهم المسلمون عموماً: طائعهم وعاصيهم، سنيهم وبدعيهم.

فعن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ صَلَّى صَلَاتَنَا وَاسْتَقْبَلَ قِبْلَتَنَا، وَأَكَلَ ذَبِيحَتَنَا، فَذَلِكَ الْمُسْلِمُ الَّذِي لَهُ ذِمَّةُ اللَّهِ وَذِمَّةُ رَسُولِهِ، فَلَا تُخْفِرُوا اللَّهَ فِي ذِمَّتِهِ»<sup>(2)</sup>.

قال ابن أبي العز عند قول أبي جعفر الطحاوي: «وَأَنْتُمْ سِكُّ أَهْلِ قِبْلَتِنَا مُسْلِمِينَ مُؤْمِنِينَ»، قال<sup>(3)</sup>: «والمراد بقوله: «أَهْلَ قِبْلَتِنَا»، مَنْ يَدَّعِي الْإِسْلَامَ وَيَسْتَقْبِلُ الْكَعْبَةَ،

1- رواه البخاري (25)، ومسلم (21).

قال الحافظ ابن رجب الحنبلي في «الفتح» (3/56): «وذكر استقبال القبلة إشارة إلى أنه لا بد من الإتيان بصلاة المسلمين المشروعة في كتابهم المنزل على نبيهم وهي الصلاة إلى الكعبة، وإلا فمن صلى إلى بيت المقدس بعد نسخه كاليهود أو إلى المشرق كالنصارى فليس بمسلم، ولو شهد بشهادة التوحيد. وفي هذا دليل على عظم موقع استقبال القبلة من الصلاة، فإنه لم يذكر من شرائط الصلاة غيرها، كالطهارة وغيرها». انتهى.

2- رواه البخاري (391).

3- «شرح الطحاوية» (ص 221)، وانظر تفصيل مسمى «أهل القبلة» عند الشيخ صالح آل الشيخ في «شرح الطحاوية» (1/534-538).

وإن كان من أهل الأهواء، أو من أهل المعاصي، ما لم يكذب بشيء مما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم». انتهى.

### الأدلة على تحريم التكفير بغير حق

والتكفير: نسبة الشخص إلى الكفر، وهو لغة: التغطية والستر<sup>(1)</sup>، وشرعاً: الحكم على أحد من الناس بأنه قد خرج من الإسلام<sup>(2)</sup>. وقد يعرف بوجه أعم فيقال: «التكفير: هو الحكم الشرعي بالكفر على مقالة، أو طائفة، أو شخص معين»<sup>(3)</sup>.

وفي التنزيل: ﴿وَلَا تَنَابَرُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ﴾ [الحجرات: ١١]، قال مجاهد: «يُدعى بالكفر بعد الإسلام»<sup>(4)</sup>، أي: ينسب للكفر وهو مسلم.

وقال سبحانه: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمٌ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ قَتَبْنَاهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [النساء: ٩٤]، وفي هذا نهي صريح عن التسرع في تكفير الناس، بل يجب قبول ما أظهروا من إسلام، حتى يبدو خلاف ذلك مما ينافي الإيمان.

1- انظر: «مقاييس اللغة» (5/ 191)، و«النهاية» (4/ 185، كُفِرَ)، و«المصباح المنير» (2/ 535، كُفِرَ).

2- انظر: «التوضيحات الجليلة على شرح العقيدة الطحاوية» (2/ 750)، للخميس.

3- انظر: «موسوعة العقيدة» (2/ 702).

4- أورده البخاري عند «تفسير سورة الحجرات». انظر: «الفتح» (8/ 589).

قال المازري رَحِمَهُ اللهُ<sup>(1)</sup>: «إدخال كافر في الملة، وإخراج مسلم عنها عظيم في الدين». انتهى.

وفي «صحيح البخاري»<sup>(2)</sup>، عَنْ ثَابِتِ بْنِ الضَّحَّاكِ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «وَمَنْ رَمَى مُؤْمِنًا بِكُفْرٍ فَهُوَ كَقَتْلِهِ»، يَعْنِي: فِي الْحُرْمَةِ، وَقِيلَ: لِأَنَّ نَسْبَتَهُ إِلَى الْكُفْرِ الْمَوْجِبَ لِقَتْلِهِ كَالْقَتْلِ، لِأَنَّ الْمُتَسَبِّبَ لِلشَّيْءِ كِفَاعِلُهُ.<sup>(3)</sup>

وفي «الصحيحين»، واللفظ لمسلم<sup>(4)</sup>، عن ابنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَيُّمَا امْرِئٍ قَالَ لِأَخِيهِ: يَا كَافِرٌ، فَقَدْ بَاءَ بِهَا أَحَدُهُمَا، إِنْ كَانَ كَمَا قَالَ، وَإِلَّا رَجَعَتْ عَلَيْهِ».

قال الإمام ابن عبد البر المالكي<sup>(5)</sup>: «وهذا غاية في التحذير من هذا القول، والنهي عن أن يقال لأحد من أهل القبلة: يا كافر». انتهى.

وقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَإِلَّا رَجَعَتْ عَلَيْهِ»: من نصوص الوعيد، وهي لا تعني الكفر الأكبر، بل الكفر الأصغر<sup>(1)</sup>، وتفصيل ذلك عند الرجوع إلى شراح الحديث رحمهم الله.

1- «المعلم بفوائد مسلم» (36/2). وهو في «إكمال المعلم» (612/3)، للقاضي، وعنه النووي في «شرحه»

(7/160)، بلفظ: «أو إخراج مسلم عنها» بدل «منها»، والمعنى واحد.

2- (6105).

3- «عمدة القاري شرح صحيح البخاري» (23/180)، لبدر الدين العيني رَحِمَهُ اللهُ.

4- (60)، وعند البخاري (6103-6104).

5- «التمهيد» (17/22).

والقاعدة العامة في نصوص الوعيد هو أن كل عملٍ دون الشرك والكفر المخرج عن ملة الإسلام، فإنه يرجع إلى مشيئة الله، فإن عذبه فقد استوجب العذاب، وإن غفر له فبفضله وعفوه ورحمته. (2)

وقد ذكر هذه الأحاديث الإمام البخاري رحمه الله في «صحيحه»<sup>(3)</sup> وبوّب عليها: «باب من كفر أخاه بغير تأويل فهو كما قال»، ثم أتبعه بـ «باب من لم ير إكفار من قال ذلك متأولاً أو جاهلاً»، وكأنه أراد إخراج هذه الصورة من عموم قوله: «فهو كما قال».

1- ولا يدخل في هذا من أخطأ في التكفير تأويلاً وهو أهل للكلام في هذه المسائل.

قال ابن القيم لما تكلم عن فوائد قصة حاطب بن أبي بلتعة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في «زاد المعاد» (3/371): «وفيها: أن الرجل إذا نسب المسلم إلى النفاق والكفر متأولاً وغضباً لله ورسوله ودينه لا لهواه وحظه، فإنه لا يكفر بذلك، بل لا ياثم به، بل يُثاب على نيته وقصده، وهذا بخلاف أهل الأهواء والبدع، فإنهم يكفرون ويبدعون لمخالفة أهوائهم ونحلهم، وهم أولى بذلك ممن كفروه وبدعوه». انتهى.

2- انظر: «فتح المجيد» (ص 343).

3- «الفتح» (10/514).

## أهل السنة لا يكفرون من كفرهم

وأهل السنة والجماعة أصحاب عدل وإنصاف، فإنهم لا يكفرون من كفرهم، لأنهم يعاملون من عصى الله فيهم بطاعة الله فيه، ولأنَّ التكفير حكم شرعي لا دخل للعقل والهوى فيه.

يقول شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ<sup>(1)</sup>: «فلهذا كان أهل العلم والسنة لا يكفرون من خالفهم، وإن كان ذلك المخالف يكفرهم، لأن الكفر حكم شرعي فليس للإنسان أن يعاقب بمثله، كمن كذب عليك وزنى بأهلك؛ ليس لك أن تكذب عليه وتزني بأهله، لأن الكذب والزنا حرام لحق الله.

وكذلك التكفير حق لله فلا يكفر إلا من كفره الله ورسوله، وأيضاً فإن تكفير الشخص المعين وجواز قتله موقوف على أن تبلغه الحججة النبوية التي يكفر من خالفها، وإلا فليس كل من جهل شيئاً من الدين يُكفر». انتهى.

ولهذا يقول أهل العلم<sup>(2)</sup>: «وَالْخَطَأُ فِي تَرْكِ أَلْفِ كَافِرٍ، أَهْوَنُ مِنَ الْخَطَأِ فِي سَفْكِ مِحْجَمَةٍ<sup>(3)</sup> مِنْ دَمِ مُسْلِمٍ وَاحِدٍ». انتهى.

1- «الرد على البكري» (ص 252).

2- «الشفاء بتعريف حقوق المصطفى» (ص 473).

3- بكسر الميم الأولى، وهي آلة الحجامة. قاله مُلَّا علي القاري رَحِمَهُ اللهُ في: «شرح الشفاء» (2/ 499).

قال العلامة مُلاً علي القاري مُعلقاً<sup>(1)</sup>: «وقد قال علماءنا: إذا وُجدت تسعة وتسعون وَجْهًا تُشيرُ إلى تكفير مُسلم، وَوَجْهٌ وَاحِدٌ إلى إبقائه على إسلامه، فينبغي للمفتي والقاضي أن يعملا بذلك الوجه». انتهى.

### الرجوع في مسائل التكفير إلى أهل العلم وبيان الآثار المترتبة عليه

وموضوع التَّكْفِير يُرْجَعُ فِيهِ لِحَوَاصِّ أَهْلِ الْعِلْمِ، وَإِلَى هَذَا أَنْبَاءُ الشَّهَابِ الْقِرَافِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ، بِقَوْلِهِ<sup>(2)</sup>: «لَيْسَ كُلُّ الْفُقَهَاءِ لَهُ أَهْلِيَّةُ النَّظَرِ فِي مَسَائِلِ التَّكْفِيرِ». انتهى.

وذلك، أَنَّ الْكُفْرَ حَقُّ اللَّهِ وَلِرَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَا يُكْفِرُ أَهْلُ السَّنَةِ إِلَّا مَنْ كَفَّرَهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلَا يَتَسَاهَلُونَ فِي هَذَا الْأَمْرِ الْعَظِيمِ، لِأَنَّ مَنْ دَخَلَ فِي الْإِيمَانِ بِرُهَانٍ، لَا يُحْكَمُ عَلَيْهِ بِالْكَفْرِ إِلَّا بِرُهَانٍ.

يقول العلامة ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «الْقَصِيدَةِ النَّوْنِيَّةِ»<sup>(3)</sup>:

الـكـفـر حـقُّ الله ثم رسـولـه      بالنص يثبت لا بقول فلان  
من كان ربُّ العالمين وعبده      قد كفراه فذاك ذو الكفران  
وأتممت هذين البيتين بيتين نظمت فيهما أصول أنواع الردة، وهي: الردة بالقول،  
أو بالفعل<sup>(1)</sup>، أو بالاعتقاد<sup>(2)</sup>، أو بالشك، فقلت<sup>(3)</sup>:

1- «شرح الشفا» (2/ 499).

2- «الفروق» (1/ 292)، وانظر: تعليق ابن الشاط رَحِمَهُ اللَّهُ على هذا الموضع من كلام القرافي.

3- انظر: «شرح ابن عيسى» (2/ 412).

والكفر إما كائن بالقول أو بالفعل أو بالشك في الإيمان  
 ويكون أيضاً في العقائد مثلها كَفَرِ الْيَهُودَ وَعَابِدُوا الصُّلْبَانَ  
 وإذا كنا مأمورين بالرجوع لأهل الذكر في دقائق أمور الشريعة، فكيف بمثل هذا  
 الحكم الذي تترتب عليه أحكام خطيرة، ومن ذلك: (4)

• أن البحث في التكفير متعلق بمسألة «الأسماء والأحكام» (5)، أي: «اسم» صاحب

1- ويدخل فيه «الترك» (وهو المسمى «كفر الإعراض»)، كما هو معلوم في كتب الأصول، والدليل قوله  
 تعالى: ﴿كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [المائدة: 79]، وقوله:

﴿لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ الشَّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ [المائدة: 63].

2- ويدخل فيه «كفر النفاق».

3- عرضت هذين البيتين على شيخنا الأديب الشاعر صالح العصيمي، فاستحسنهما.

وقد جمعت أنواع الكفر: كفر الجحود والتكذيب، وكفر الاستكبار، وكفر الإعراض، وكفر الشك، وكفر  
 النفاق [وزاد بعضهم غير هذه الأنواع: كالسب والاستهزاء]، فقلت:

وبالنفاق كَفَرُوا وَالشُّكَّ زَدُ وَمُعْرِضٌ مُسْتَكْبِرٌ وَمَنْ جَحَدُ

4- كل من كتب في خطر التكفير بغير حق، تكلم عن هذه الآثار السيئة.

5- وفي الباب عدة كتب، سيما في المتأخرين من جهة ضبط المسألة بعيداً عن غلو الخوارج المناطحين، وجفاء  
 المرجئة المنبطحين، ومن ذلك -على سبيل التمثيل-:

«التحرير في بيان أحكام التكفير»، للسناني، و«التقرير في حكم وخطورة التكفير والتفجير» لسليمان أبا الخيل،  
 و«ضوابط التكفير»، لعبد الله القرني، وغيرها من الكتب التي أثنى عليها العلماء، وإلا فليس كل أحد أهل  
 لأن يكتب في هذه المسائل العظام، فكم عمت البلوى بتصدر الصغار لمثل هذه المسائل الكبار، فيزداد  
 بكلامهم الشر، لأنهم تكلموا بغير أهلية، سيما والخطأ في هذه المسائل له عواقب وخيمة، ونتائج عظيمة والله

الكبيرة في الدنيا و«حكمه» في الآخرة، وهي من أعظم مسائل الاعتقاد، إذ بها تتعلق السعادة والشقاوة في الدنيا، والجنة أو النار في الآخرة.

• أن بدعة الخوارج وما جَرُّوا على الأمة من ويلات في القديم والحديث، ما ظهرت إلا بسبب الغلو في باب التكفير، الذي هو السبب الرئيس للقتل والتفجير، والخراب والتدمير.

• أن الغلط في التكفير، فيه رجوع بذلك الحكم على صاحبه.<sup>(1)</sup>

• أن الحكم على المعين بالكفر ينبنى عليه آثار عظيمة في جهة الأحكام، كالتفرقة بين الزوجين، وإقامة حد الردة من ولي الأمر، وعدم التوارث لأن المثل اختلفت، وعدم الدفن في مقابر المسلمين، وعدم جواز الترحم عليه، وغير ذلك من الأحكام الماثورة في كتب الفقه من كل مذهب.

يقول: ﴿ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [النساء: ٨٣].

1- وتقدم أن رجوعه على صاحبه يكون كفرا أصغر، ومع هذا فإن الذنب الذي يُسمى كفرا أشد من الذي ليس كذلك. وعليه، فإن إثم التكفير بغير حق عظيم.

والآن، نعود لقول الناظم:

**وَلَا تُكْفِرَنَّ أَهْلَ الصَّلَاةِ وَإِنْ فَكَلَهُمْ يُعْصِي ذُو الْعَرْشِ**

فقوله رَحْمَةُ اللَّهِ: (وَلَا تُكْفِرَنَّ أَهْلَ الصَّلَاةِ وَإِنْ عَصَوْا)، بارتكاب الذنوب والمعاصي، فإن الذنب مكتوب قدراً على ابن آدم، وفي الحديث القدسي<sup>(1)</sup>: «يَا عِبَادِي، إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَأَنَا أَعْفِرُ الذُّنُوبَ فَاسْتَغْفِرُونِي أَعْفِرُ لَكُمْ».

وقوله: (فكَلَهُمْ)، أي: العباد، (يُعْصِي): من العصيان وهو خلاف الطاعة، والمعصية تشمل الكبائر والصغائر<sup>(2)</sup>، و(وذو)، أي: صاحب (العرش)، العظيم الذي هو أعظم المخلوقات والعالي عليها جميعاً، (يَصْفَحُ): من الصَّفْح وهو الإعراض عن المؤاخذة، وترك التَّشْرِيب، وهو أبلغ من العفو.<sup>(3)</sup>

فإنه (ذو العرش يَصْفَحُ) عن المذنبين، ويقبل توبة التائبين، ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا نَفَعَلُوا﴾ [الشورى: ٢٥]، وهو القائل: ﴿قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣].<sup>(4)</sup>

1- رواه مسلم (2577).

2- انظر: «لوائح الأنوار» (2/277).

3- انظر: «المفردات» (ص 486)، للراغب، و«التحرير والتنوير» (1/671)، لابن عاشور.

4- قال ابن كثير في «التفسير» (7/106): «هذه الآية الكريمة دعوة لجميع العصاة من الكفرة وغيرهم إلى التوبة والإنابة، وإخبار بأن الله يغفر الذنوب جميعاً لمن تاب منها ورجع عنها، وإن كانت مهماً كانت وإن كثرت وكانت مثل زبد البحر. ولا يصح حمل هذه الآية على غير توبة، لأن الشرك لا يغفر لمن لم يتب منه».

والعرش: سرير ذو قوائم، خلقه سبحانه بيده<sup>(1)</sup>، ولا يعلم قدره إلا الله، تحمله الملائكة<sup>(2)</sup>، وهو أعلى المخلوقات وأعظمها وسقفها، وهو كالقبة على العالم، استوى الله عليه وارتفع استواءً يليق بجلاله، جاء وصفه في القرآن بأنه عظيم كريم مجيد.<sup>(3)</sup>

### أهل السنة لا يكفرون صاحب الكبيرة

يقول الإمام أبو عثمان الصّابوني رَحِمَهُ اللهُ<sup>(4)</sup>: «ويعتقد أهل السنة أنّ المؤمن وإن أذنب ذنوباً كثيرةً صغائرَ وكبائرَ فإنه لا يكفر بها، وإن خرج من الدنيا غير تائبٍ منها، ومات على التوحيد والإخلاص، فإن أمره إلى الله ﷻ إن شاء عفا عنه، وأدخله الجنة يوم القيامة سالماً غانماً، غير مُبتلى بالنار ولا مُعاقبٍ على ما ارتكبه واكتسبه، ثم استصحبه إلى يوم القيامة من الآثام والأوزار، وإن شاء عفا عنه وعذبه مدةً بعذاب النار، وإذا عذبه لم يخلده فيها، بل أعتقه وأخرجه منها إلى نعيم دار القرار». انتهى.

يقول القحطاني رَحِمَهُ اللهُ في «نونيته»<sup>(5)</sup>:

وَدُخُولُ بَعْضِ الْمُسْلِمِينَ جَهَنَّمَ بِكَبَائِرِ الْآثَامِ وَالطُّغْيَانِ

1- انظر: «الشريعة» (3/1182).

2- وحمل العرش الآن في الدنيا أربعة من الملائكة، ويوم القيامة ثمانية كما جاء في القرآن، وهذا القول رجّحه ابن كثير، وابن الجوزي، وعزاه للجمهور. انظر: كلام محقق كتاب «العرش» لابن أبي شيبة (ص 101، ط. مكتبة الرشد). ونقلت الأدلة على هذا القول في كتابي «واسع المنة».

3- انظر: «الموسوعة» (4/2047). وقد أفرّد أهل السنة في موضوع العرش كتباً مستقلة، ومن ذلك: «العرش»، لابن أبي شيبة، والذهبي، و«الرسالة العرشية»، لابن تيمية.

4- عقيدة السلف أصحاب الحديث» (ص 27).

5- (ص 24).

وَاللَّهُ يَرْحَمُهُمْ بِصِحَّةِ عَقْدِهِمْ وَيُيَدِّلُوا مِنْ خَوْفِهِمْ بِأَمَانِ  
وَشَفِيعُهُمْ عِنْدَ الْخُرُوجِ مُحَمَّدٌ وَطُهُورُهُمْ فِي شَاطِئِ الْحَيَوَانِ  
حَتَّى إِذَا طَهُرُوا هُنَالِكَ أُدْخِلُوا جَنَاتٍ عَدْنٍ وَهِيَ خَيْرٌ جَنَّاتِ  
قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي آيَةِ الْقَصَاصِ: ﴿فَمَنْ عَفَى لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَأَنْبَاعُ

بِالْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: 178]، فَسَمَّى الْقَاتِلَ أَخًا لَوْلَى الْمَقْتُولِ، فَدَلَّ عَلَى أَنَّ الْأُخُوَّةَ  
الْإِيمَانِيَّةَ ثَابِتَةٌ بِالرَّغْمِ مِنْ اقْتِرَافِ الْمَعَاصِي، بَلْ وَالْكَبَائِرِ.

يَقُولُ حَافِظُ حَكْمِي رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «سَلَّمَ الْأَصُولُ»<sup>(1)</sup>:

وَالْفَاسِقُ الْمَلِيٌّ ذُو الْعِصِيَانِ لَمْ يُنْفَ عَنْهُ مُطْلَقُ الْإِيمَانِ  
لَكِنْ بِقَدْرِ الْفَسْقِ وَالْمَعَاصِي إِيْمَانُهُ مَا زَالَ فِي انْتِقَاصِ  
وَلَا نَقُولُ إِنَّهُ فِي النَّارِ مُخَلَّدٌ، بَلْ أَمْرُهُ لِلْبَّارِي  
تَحْتَ مَشِيئَةِ الْإِلَهِ النَّافِذَةِ إِنْ شَاءَ عَفَا عَنْهُ وَإِنْ شَاءَ أَخَذَهُ  
بِقَدْرِ ذَنْبِهِ، وَإِلَى الْجَنَانِ يُخْرَجُ إِنْ مَاتَ عَلَى الْإِيمَانِ

يَقُولُ الْعَلَامَةُ ابْنُ سَعْدِي فِي «تَفْسِيرِهِ»<sup>(2)</sup>، عِنْدَ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ

وَرَسُولَهُ، وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ، يُدْخِلْهُ نَارًا كَالْحَلْدَاءِ فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ  
مُهِينٌ﴾ [النساء: 14]: «وَيَدْخُلُ فِي اسْمِ الْمَعْصِيَةِ الْكُفْرُ فَمَا دُونَهُ مِنَ الْمَعَاصِي، فَلَا  
يَكُونُ فِيهَا شُبْهَةٌ لِلْخَوَارِجِ الْقَائِلِينَ بِكُفْرِ أَهْلِ الْمَعَاصِي، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى رَتَّبَ دُخُولَ

1- «معارج القبول» (3/ 1017).

2- (ص 170).

الجنة على طاعته وطاعة رسوله، ورَتَّبَ دُخُولَ النَّارِ عَلَى مَعْصِيَتِهِ وَمَعْصِيَةِ رَسُولِهِ، فَمَنْ أَطَاعَهُ طَاعَةً تَامَةً دَخَلَ الْجَنَّةَ بِلا عَذَابٍ.

وَمَنْ عَصَى اللَّهَ وَرَسُولَهُ مَعْصِيَةً تَامَةً يَدْخُلُ فِيهَا الشَّرْكَ فَمَا دُونَهُ، دَخَلَ النَّارَ وَخُلِدَ فِيهَا، وَمَنْ اجْتَمَعَ فِيهِ مَعْصِيَةٌ وَطَاعَةٌ، كَانَ فِيهِ مِنْ مُوجِبِ الثَّوَابِ وَالْعِقَابِ بِحَسَبِ مَا فِيهِ مِنَ الطَّاعَةِ وَالْمَعْصِيَةِ.

وقد دَلَّتِ النُّصُوصُ الْمُتَوَاتِرَةُ عَلَى أَنَّ الْمُوَحِّدِينَ الَّذِينَ مَعَهُمُ طَاعَةُ التَّوْحِيدِ، غَيْرُ مُخَلَّدِينَ فِي النَّارِ، فَمَا مَعَهُمُ مِنَ التَّوْحِيدِ مَانِعٌ لَهُمْ مِنَ الْخُلُودِ فِيهَا». انتهى.

يقول العلامة السِّفَّارِينِي رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «الدَّرَّةِ الْمُضِيَّةِ»<sup>(1)</sup>:

وَمَنْ يَمُتْ وَلَمْ يُتَبَّ مِنَ الْخَطَا فَاأَمْرُهُ مَفْوِضٌ لِذِي الْعَطَا  
فَإِنْ يَشَاءُ يَعْفُ وَإِنْ يَشَاءُ أَنْتَقِمَ وَإِنْ يَشَاءُ أَعْطَى وَأَجْزَلَ النِّعَمِ  
فَمُرْتَكِبُ الْكَبِيرَةِ عِنْدَ أَهْلِ السُّنَّةِ: مُؤْمِنٌ بِإِيْمَانِهِ، فَاسِقٌ بِكَبِيرَتِهِ، لَا يُعْطَى الْإِسْمَ  
الْمُطَلَّقَ، وَلَا يُسَلَّبُ مُطَلَقَ الْإِسْمِ، وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنْ مَاتَ عَلَى غَيْرِ تَوْبَةٍ، فَإِنْ  
شَاءَ عَفَّرَ لَهُ بِفَضْلِهِ، وَإِنْ شَاءَ عَذَّبَهُ بِعَدْلِهِ سَبْحَانَهُ، وَيُخْرِجُهُ مِنَ النَّارِ إِلَى الْجَنَّةِ مَتَى مُحْصَصٌ  
وَطَهَّرَ، إِنْ مَاتَ عَلَى التَّوْحِيدِ، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ  
يَشَاءُ ﴿[النساء: ٤٨]﴾.

ففي قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾ رد على أهل الكتاب والمشركين  
والكفار، وفي قوله: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ﴾ رد على الخوارج والمعتزلة، وفي قوله: ﴿لِمَنْ

يَشَاءُ ﴿ رد على المرجئة.

وعليه، فالناس أربعة أصناف<sup>(1)</sup>:

- كافر مات على كفره، فهذا مخلد في النار بإجماع،
- ومؤمن محسن لم يذنب قطُّ ومات على ذلك، فهذا في الجنة محتوم عليه حسب الخبر من الله تعالى بإجماع،
- وتائب مات على توبته فهو عند أهل السنة وجمهور فقهاء الأمة لاحق بالمؤمن المحسن،
- ومذنب مات قبل توبته، فهذا موضع الخلاف، بين أهل السنة والحق وأهل البدع من الخوارج والمعتزلة والمرجئة.



1- مستفاد بتصرف من كلام حسن لابن عطية الأندلسي المالكي في «المحرر الوجيز» (2/ 64).

## التحذير من عقيدة الخوارج

بعد أن نهى الناظم عن القول بتكفير أهل الصلاة - وإن اقرتوا كبائر الذنوب والسيئات -، أردف ذلك بالنهي عن اعتقاد رأي الخوارج، فقال رَحِمَهُ اللهُ:

**ولا تَعْتَقِدْ رَأْيَ الْخَوَارِجِ إِنَّهُ مَقَالٌ لِمَنْ يَهْوَاهُ يُرِيدِي وَيَفْضَحُ**

**(ولا تَعْتَقِدْ) بقلبك، (رَأْيَ الْخَوَارِجِ)، فسمي الذي هم عليه رأياً، لأنه رأي من**

نتائج عقولهم، ومن نسج أفكارهم، لا يقوم على دليل من الكتاب والسنة.<sup>(1)</sup>

و**(الخوارج):** جمع خارج، وأصلهم الذين خرجوا على أمير المؤمنين علي بن أبي

طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ<sup>(2)</sup>، وفارقوه بسبب قضية التحكيم، وكانوا اثني عشر ألفاً، فأرسل

1- انظر: «التحفة السنية» (ص 99).

2- قال الألباني رَحِمَهُ اللهُ فِي «سلسلة الأحاديث الصحيحة» (7/ 1240) متحدثاً عن خروج الخوارج على علي بن أبي طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وهم يعلمون دون أي شك أو ريب أنه لم يروا منه كفراً بواحد: «ومع ذلك استحلوا قتاله وسفك دمه هو ومن معه من الصحابة والتابعين، فاضطر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لقتالهم واستئصال شأفتهم، فلم ينج منهم إلا القليل، ثم غدروا به رَضِيَ اللهُ عَنْهُ كما هو معروف في التاريخ.

والمقصود أنهم سنوا في الإسلام سنة سيئة، وجعلوا الخروج على حكام المسلمين ديناً على مر الزمان والأيام، رغم تحذير النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ منهم في أحاديث كثيرة...

واليوم - والتاريخ يعيد نفسه كما يقولون -، فقد نبتت نابتة من الشباب المسلم، لم يتفقهوا في الدين إلا قليلاً، ورأوا أن الحكام لا يحكمون بما أنزل الله إلا قليلاً، فرأوا الخروج عليهم دون أن يستشيروا أهل العلم والفقهاء والحكمة منهم، بل ركبوا رؤوسهم، وأثاروا فتناً عمياء، وسفكوا الدماء، في مصر، وسوريا، والجزائر، وقبل ذلك فتنة الحرم المكي، فخالفوا بذلك هذا الحديث الصحيح الذي جرى عليه عمل المسلمين سلفاً وخلفاً إلا الخوارج». انتهى.

إليهم ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، فجاد لهم ووعظهم، فَرَجَعَ بَعْضُهُمْ، وَأَصْرَّ عَلَى الْمَخَالَفَةِ آخَرُونَ.<sup>(1)</sup>

وهؤلاء الخوارج سُمُّوا بذلك لأنهم خرجوا على الجماعة من جهتين:  
الجهة الأولى: خرجوا على جماعة الأديان، بالبدع الشنيعة والضلالات.  
والثانية: خرجوا على جماعة الأبدان وأئمة المسلمين وحكوماتهم، بالسيف والويلات.

فخرجوا بالدين أولاً، ثم بالأبدان ثانياً.<sup>(2)</sup>

قلت: كيف -لو عاش الشيخ- ورأى ما حلَّ بديار المسلمين بما يُسَمَّى -زورا وخداعا- بالربيع العربي؟! لا شك أن كلامه سيكون أشد، وتصديق الواقع والشرع له أوضح وأظهر، والله المستعان في إصلاح أحوال المسلمين ديناً ودنياً، وحالاً ومآلاً.

1- انظر: «لوائح الأنوار» (2/ 322)، و«مقالات الإسلاميين» (1/ 84)، لأبي الحسن الأشعري.

2- وقد تكلمت عن شيء من بلائهم على الأمة في رسالتي: «التحفة التونسية».

ومن أراد التوسع في باب الرد على الخوارج وبيان فساد مقالاتهم وعقائدهم، فراجع عدة كتب منها:  
كتب الفرق والمقالات، ومن أحسنها: «مقالات الإسلاميين» لأبي الحسن الأشعري، وكتب العقيدة التي دونت عقائد السلف كـ«الشريعة» و«الإبانة» و«أصول اعتقاد أهل السنة لجماعة»، وغيرها، وكتب ابن تيمية خاصة «منهاج السنة»، و«الدرر السنية لعلماء الدعوة النجدية»، «مناصحة الإمام وهب بن منبه لرجل تأثر بمذهب الخوارج»، وفتاوى علمائنا المعاصرين: كـ«فتاوى اللجنة»، وابن باز، وابن عثيمين، والألباني، وغيرهم ممن حارب هذا الفكر الضال، وفضح ما عليه رؤساؤه من جهل وبهتان.

وهناك دراسات خاصة -لا على سبيل الحصر-، ومن ذلك: «الخوارج والفكر المتجدد»، للبيكان، «حقيقة الخوارج في الشرع وعبر التاريخ»، للجاسم، و«القطوف الجياد من حكم وأحكام الجهاد»، لعبد الرزاق

وهم فرق كثيرة، يُكفّر بعضهم بعضاً، ولكنهم كما قال السفاريني<sup>(1)</sup>: «وجميع فرق الخوارج مارقة، وللدين القويم مفارقة، إلا من أتبع هداه، وصادم هواه». انتهى.

ثم قال الناظم رَحْمَةُ اللَّهِ عَنْ رَأْيِ الْخَوَارِجِ: **(إِنَّهُ مَقَالٌ)**: شنيع، ورأى فظيع، **(لِمَنْ)**، أي لكل إنسان، **(يهواه)**: ويميل إليه، ويُشربُه قلبه **(يُرْدِي)**: أي: يُسْقِطُ وَيُكَبِّبُ فِي هَوَاةِ الْهَوَى، وظلام الباطل، **(ويَفْضَحُ)** صاحبه، ومن انتسب إليه الدنيا والآخرة.

فأَيُّ خِزْيٍ أَعْظَمُ مِنْ تَكْفِيرِ الْمُسْلِمِينَ وَقَتْلِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ، وإضعافِ الدول الإسلامية التي أشغلوها بإرهابهم الفاجر، وسلطوا عليها كل خبيث ماكر، وسَلِمَ مِنْهُمْ عِبَادُ

---

العباد، و«شر قتلى تحت أديم السماء: كلاب أهل النار»، للحرثي، و«ثلاثون علامة تدل على أن هؤلاء المخربين خوارج»، لشيخنا بدر العتيبي، و«الجهاد أنواعه وأحكامه والحد الفاصل بينه وبين الفوضى»، لحمد العثمان، و«تأثر الخوارج المعاصرين بأصول الخوارج المتقدمين»، للفيهد، و«الأحاديث المسندة في الواردة في الخوارج وصفاتهم: جمعا ودراسة»، للأمين، و«مدارك النظر في السياسة بين التطبيقات الشرعية والانفعالات الحماسية»، و«فتاوى العلماء الأكابر في ما أهدر من دماء في بلاد الجزائر»، و«تخليص العباد من وحشية أبي القتاد»، و«تمييز ذوي الفطن بين شرف الجهاد وسرف الفتن»، و«طلیعة الحوار الدارج بين السنة والخوارج»، وجميعها لعبد المالك الرمضاني (وهو متميز في هذا الباب)، و«الإرهاب وأثره على الأفراد والأمم»، لزيد المدخلي، و«بأي عقل ودين يكون التفجير والتدمير جهاداً؟!»، لعبد المحسن العباد، و«الرد على كتب مشبوهة»، لمحمد بازمول، و«تبيد كواشف العنيد في تكفيره لدولة التوحيد»، في الرد على المقدسي، للريس، و«الخوارج أول الفرق في تاريخ الإسلام»، لناصر العقل...

ومن آخرها وأشملها في الباب: «القصة الكاملة لخوارج عصرنا»، للمحيميد، وهو استقراء لأكثر من ألفي كتاب ورسالة ومقال لمنظري خوارج العصر.

الأوثان، وأعداء البشرية.<sup>(1)</sup>

وقد نقل ابن عبد البر الإجماع على وجوب قتال هؤلاء الذين شقُّوا العصا، وفارقوا الجماعة، وشهروا على المسلمين السلاح، وأخافوا السبيل، وأفسدوا بالقتل والسلب، بلا حق ولا دليل.<sup>(2)</sup>

1- انظر: «نثر الورود على حائية ابن أبي داود» (ص 65)، إذ فيه كلام عن أبرز ضلالات منهج الخوارج.

2- «التمهيد» (339/23).

### الخوارج أصحاب هوى والله يفضح أمرهم

وفي قول الناظم: **(ويفضحُ)** إشارةً إلى أن بدعة الخوارج فضيحة أكثر من سائر البدع، إذ بدايتها صياح وفوضى باسم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر<sup>(1)</sup>، وآخرها سيف وقتل وفوضى أكبر باسم الجهاد في سبيل الله -زعموا- وجهاد الطواغيت - بحسب عقولهم السفهية-، وخاتمهم المروق من الدين، كما أخبر به سيد المرسلين صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

يقول الشيخ عبد الكريم الخضير<sup>(2)</sup>: «ولو استتر الإنسان بمذهب الخوارج فلا بد أن يبدو ويظهر ذلك عليه، لا سيما إذا كان من الخوارج الذين لا يعرفون مجاملةً ولا يعرفون تقيّةً، فإنه يوجد من أهل البدع من يتقي، ويوجد من يدلس على الناس ويلبس عليهم، ويختفي ببدعته، ولكن الخوارج لا يمكن أن يختفوا ببدعتهم». انتهى.

قلت: ومن تأمل قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيهم: «الخوارج كلاب النار»<sup>(3)</sup>، علم حقيقة معنى كلمة الناظم عن مذهب الخوارج بأنه: **(مَقَالٌ لِمَنْ يَهْوَاهُ يُرْدِي وَيُفْضِحُ)**.

1- قال الإمام ابن عبد البر في «التمهيد» (322/23): «وكان خروجهم فيما زعموا تغييرا للمنكر وردّ

الباطل، فكان ما جاؤوا به أعظم المنكر وأشدّ الباطل». انتهى.

2- في شرحه الصوتي (الدرس 5)، بتصرف.

3- رواه أحمد (19130)، وابن ماجه (173)، والطبراني في «الأوسط» (9085)، عن ابن أبي أوفى، وجاء

أيضا عن أبي أمامة الباهلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، صححه الألباني في «صحيح الجامع»، (3347).

قال العلامة المناوي رَحِمَهُ اللهُ<sup>(1)</sup>: «المؤمن يستر ويرحم ويرجو المغفرة والرحمة، والمفتون الخارجي يَهْتِك وَيُعَيِّر وَيُقَنِّط، وهذه أخلاق الكلاب وأفعالهم، فلما كَلَّبُوا على عباد الله ونظروا لهم بعين النَّقْص والعداوة ودخلوا النار، صاروا في هَيْئَةِ أَعْمَاهم كلابا كما كانوا على أهل السنة في الدنيا كلابا». انتهى.

وفي قول الناظم في رأي الخوارج: (مَقَالٌ لِمَنْ يَهْوَاهُ): إشارة إلى أن الذي هُم عليه مُجْرَدٌ أمرٍ وافق أهواءهم، فَرَكِبُوهُ، ولهذا جاءت النصوص والآثار عن السلف بدم الهوى.

وما أحسن قول الماوردي الشافعي رَحِمَهُ اللهُ<sup>(2)</sup>: «وأما الهوى فهو عن الخير صاد، وللعقل مضاد، لأنه يُنتِج من الأخلاق قبائحها، ويُظهر من الأفعال فضائحها، ويجعل سِتْرَ المروءة مهتوكًا، ومدخل الشر مسلوگًا». انتهى.

وقيل: الهوى هَوَانٌ نُزِعَتْ نُونُهُ، ومنه قول الشاعر<sup>(3)</sup>:

نُونُ الْهُوَانِ مِنَ الْهُوَى مَسْرُوقَةٌ فَإِذَا هَوَيْتَ فَقَدْ لَقَيْتَ هَوَانَا

قال تعالى: ﴿بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ

﴿[الروم: ٢٩]، وقال جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [ص: ٢٦]، وقال

1- «فيض القدير» (3/ 509). ويمكن أن يُزاد معنى آخر، وهو أنهم -أي الخوارج- يخدمون مصالح الكفار على وجه صاروا به كالكلاب التي تحرس حياضهم، وتنكأ عدوهم من المسلمين. والشرع والواقع يشهدان بهذا، فإن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وصفهم بأنهم يقتلون أهل الإسلام ويذرون أهل الأوثان.

2- «أدب الدنيا والدين» (ص 29).

3- انظر: «تفسير القرطبي» (16/ 168).

سبحانه: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ﴾ [الجاثية: ٢٣]، فلا يهوى شيئاً إلا ركبه، وقال جلَّ وعلا: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ﴾ [القصص: ٥٠]. قال عمر بن عبد العزيز رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لا تكن ممن يتبع الحق إذا وافق هواه، ويخالفه إذا خالف هواه، فإذا أنت لا تُتاب على ما اتبعته من الحق، وتعاقب على ما خالفته»، وهو كما قال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لأنه في الموضوعين إنما قصد اتباع هواه ولم يعمل لله.<sup>(1)</sup>

يقول عبد الرحمن المعلمي<sup>(2)</sup>: «فأما من كره الحق واستسلم للهوى، فإنما يستحق أن يزيد الله ضلالاً، قال ﷻ: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنَابِ﴾ [الرعد: ٢٧]». انتهى.

ومن بدائع ابن الجوزي<sup>(3)</sup>: «لقد ضلَّ من مشى في ظلمة الجهل، أو في زقاق الهوى». انتهى.

ومن أسباب دفع الهوى طلب العلم والعمل به، ولهذا تجد الخوارج أجهل الناس علماً، وأكثرهم سفهاً، وأقلهم عقلاً.

قال ابن رجب<sup>(4)</sup>: «العلم مصباحٌ يُستضاء به في ظلمة الجهل والهوى، فمن سار في طريق على غير مصباح لم يأمن أن يقع في بئرٍ بوارٍ فيعطب». انتهى.

1- انظر: «الفتاوى» (10/480).

2- «القائد إلى تصحيح العقائد» (ص 20).

3- «صيد الخاطر» (ص 87). وله رحمه الله كتاب مشهور بعنوان: «ذم الهوى».

4- «لطائف المعارف» (ص 125).

والقصد بيان أنّ مذهب الخوارج -المبني على الهوى والرأي العريّ عن العلم  
والعقل فضلا عن موافقة النقل-، من أفسد المذاهب وأعظمها شرا، فما زالوا يَسْعَوْنَ  
في قلب نظام المسلمين، ويُفَرِّقُونَ كَلِمَةَ الْمُؤْمِنِينَ، وَيَسْلُتُونَ السِّيفَ عَلَى أَهْلِ الدِّينِ،  
وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ.<sup>(1)</sup>

1- انظر: «الفصل في الملل والأهواء والنحل» (4/171)، لابن حزم. وفي كتابي «واسع المنة» تفصيل لخطر  
الخروج على حكام المسلمين، وطائفة من النقول في مسألة «السمع الطاعة» والتحذير من مفارقة الجماعة.

### التحذير من عقيدة المرجئة

لما ظهر رأي الخوارج الغالين الذين يقولون: (إن الإيمان قول وعمل واعتقاد، ومن ترك فعل شيء من الطاعات أو ارتكب شيئاً من المعاصي أي الكبائر فإنه يكفر)، قابلهم الجفأة فقالوا: (الإيمان يصح بلا عمل، وهو لا يزيد ولا ينقص، ولا يتفاضل أهله فيه، ومن فعل ذنباً لا يضره ذلك الذنب)، وهؤلاء هم المرجئة، على ما بينهم من خلاف وتفرق، ولكنهم يجمعهم أمر -زيادة على محادثهم للحق وأهله- وهو تأخيرهم العمل عن مسمى الإيمان.

وكما أن الغلو في باب التكفير جنائية وبغي، فكذلك نفي التكفير نفيًا عامًا جنائية وبغي، فكما أن السلف أغلظوا على الخوارج، فإنهم أغلظوا كذلك على المرجئة القائلين بأن مرتكب الكبيرة مؤمنٌ كامل الإيمان.

وإلى هذا المعنى أشار ابن أبي العز الحنفي رحمه الله تعالى<sup>(1)</sup>، لما قال مُعلِّقًا على كلام الطحاوي: «ولا نُكفِّرُ أَحَدًا مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ بِذَنْبٍ، مَا لَمْ يَسْتَحِلَّهُ، وَلَا نَقُولُ لَا يُضُرُّ مَعَ الْإِيمَانِ ذَنْبٌ لِمَنْ عَمِلَهُ»: «واعلم أن باب التكفير وعدم التكفير، باب عظم الفتن والمحنة فيه، وكثر فيه الافتراق، وتشتت فيه الأهواء والآراء، وتعارضت فيه دلائلهم.

فالناس فيه على طرفين ووسط:

1- «شرح الطحاوية» (ص 224)، باختصار.

فطائفة تقول: لا نكفر من أهل القبلة أحدا، فتتفي التكفير نفيًا عاما، مع العلم بأن في أهل القبلة المنافقين، الذين فيهم من هو أكفر من اليهود والنصارى بالكتاب والسنة والإجماع، وفيهم من قد يُظهرُ بعض ذلك حيث يُمكنُهم، وهم يتظاهرون بالشهادتين.

وأیضا: فلا خلاف بين المسلمين أن الرجل لو أظهر إنكار الواجبات الظاهرة المتواترة، والمحرمات الظاهرة المتواترة، ونحو ذلك، فإنه يستتاب، فإن تاب، وإلا قُتل كافرا مرتدا...

ولهذا امتنع كثير من الأئمة عن إطلاق القول بأننا لا نكفر أحدا بذنب، بل يُقال: «لا نكفرهم بكل ذنب، كما تفعله الخوارج».

وفرق بين النفي العام ونفي العموم. والواجب إنما هو نفي العموم، مناقضة لقول الخوارج الذين يكفرون بكل ذنب». انتهى المراد من كلامه.

قال ابن أبي داود رَحِمَهُ اللهُ:

**ولا تَكُ مُرَجِيًّا لَعُوبًا بِدِينِهِ أَلَا إِنَّمَا الْمُرَجِيُّ بِالذِّينِ يَمْرَحُ**

ومعناه: (ولا) أيها السني، (تَكُ)، بحذف النون تخفيفًا، (مُرَجِيًّا)، أي: مرجئًا،

على دين المرجئة القائلين: (لا يضر مع الإيذان معصية، كما لا ينفع مع الكفر طاعة، ولا عمل في الإيذان)، (لَعُوبًا)، أي: كثير اللعب، إشارةً إلى كثرة تلاعبهم بالدين، وعدم الجد فيه، إذ ساووا بين المؤمن التقي، والفاجر الغوي، وهذا من شؤم البدع على أهلها، وخطرها على أصحابها.

وقد قال الإمام مالك بن أنس رَحِمَهُ اللهُ: «مهما تلاعبت بشيء، فلا تَلْعَبَنَّ

بدينك»<sup>(1)</sup>.

(ألا): أداة استفتاح، وتفيد التحقيق لما بعدها، (إِنَّمَا)، أداة حصر، (الْمُرْجِيُّ): بياء النسبة إلى طائفه من المرجئة، وترك الناظم الهمز للوزن أو هو لغة، والحق الثاني.

(ألا إِنَّمَا الْمُرْجِيُّ بِالذِّينِ) القويم والإيمان المستقيم، (يَمَزْحُ): من المزاح والدُّعابة، وذلك أنَّ مذهبَ المرجئة ينقض عُرَى الإسلام، وهو سُلَّمٌ لترك الطاعات والجرأة على المحرمات، ولا يَرْتَابُ ذُو لُبٍّ أن هذا مزاح بالدين ولعب، ومن نَهَجَ هذا المنهج فهو على شَفَا جُرْفِ هَارٍ، وهو لسيرة أهل الكفر والإلحاد أقربُ منه لسيرة الأبرار.<sup>(2)</sup>

1- «ترتيب المدارك» (2/ 65).

2- انظر: «لوائح الأنوار» (2/ 331، 341).

### تعريف الإرجاء وذكر طوائف المرجئة

والإرجاء لغة: الإهمال والتأخير، وقيل: من الرجاء أي: الأمل، الذي هو ضد اليأس.

واصطلاحاً: يُطلق على طائفتين.

فقد سئل ابن عيينة عن الإرجاء، فقال: «الإرجاء على وجهين: (1)

قوم أرجوا أمر علي وعثمان، فقد مضى أولئك.

فأما المرجئة اليوم: فهم قوم يقولون: (الإيمان قول بلا عمل)، فلا تجالسوهم، ولا

تؤاكلوهم، ولا تشاربوهم، ولا تصلوا معهم، ولا تصلوا عليهم». انتهى.

واستقر المعنى الاصطلاحي عند السلف إلى وقتنا هذا على المعنى الأخير، وهو

مذهب المرجئة القائلين بأن الشرائع ليست من الإيمان، وأن الإيمان إنما هو التصديق

بالقول دون العمل، فكل من أرجأ العمل عن مسمى الإيمان فهو مرجئ. (2)

والمناسبة بين المعنى اللغوي والاصطلاحي، هو أن المرجئة غلبوا جانب الرجاء على

جانب الخوف، ونصوص الوعد على نصوص الوعيد، فشارفوا على الأمن من مكر

1- رواه الطبري في «تهذيب الآثار» (2/ 659). وانظر: «مذكرة الفرق» (1/ 82).

2- انظر: «تهذيب الآثار» (2/ 660). وكلام السلف في التحذير من المرجئة هو بالأساس ينطبق على مرجئة الفقهاء، ثم وقع التوسع فيه وأطلق على سائر المرجئة الذين هم أشد انحرافاً في الإيمان كالجهمية والكرامية والأشعرية والماتريدية، وهؤلاء جميعهم يُرجئون العمل عن مسمى الإيمان.

الله، وكذلك أرجؤوا العمل عن مسمى الإيمان.<sup>(1)</sup>

والمرجئة طوائف:<sup>(2)</sup>

- فمنهم من قال: الإيمان مجرد معرفة القلب، وأنه لا يتبعض، ولا يتفاضل أهله فيه، وهو قول الجهمية.
- ومنهم من قال: الإيمان هو قول اللسان دون القلب، وهو قول الكرامية.
- ومنهم من قال: الإيمان هو التصديق القلبي، وهو قول الماتريدية والأشاعرة.<sup>(3)</sup>
- ومنهم من قال: الإيمان هو القول باللسان والتصديق بالقلب، وهو قول مرجئة الفقهاء وابن كلاب.

#### أقول السلف في التحذير من المرجئة

قال ابن وهب: سمعت مالكا يقول: «إن المرجئة أخطأوا وقالوا قولاً عظيماً».<sup>(4)</sup>  
وقال عبد الوهاب بن مجاهد: كنت عند أبي، فجاء ولده يعقوب، فقال: يا أبتاه، إن لنا أصحابا يزعمون أن إيمان أهل السماء وأهل الأرض واحد، فقال: «يا بني، ما هؤلاء

1- وقد تكلمت على الأعمال القلبية وتفاوت الناس فيها في كتابين: «شرح منظومة السير إلى الله»، و«شرح قصيدة: أنا الفقير».

2- انظر: «لوائح الأنوار» (3/342)، و«التعليقات الجلية» (2/801)، و«الإيمان عند السلف» (1/185-295)، لآل خضير، فقد أحسن صاحبه في تحرير هذه المذاهب.

3- وهذا هو القول الذي اعتمده متأخرو الأشاعرة، وصار يُدرّس في كثير من جامعاتهم.

انظر: «الإيمان عند السلف» (1/232)، لآل خضير.

4- «ترتيب المدارك» (2/48).

بأصحابي، لا يجعل الله من هو منغمس في الخطايا كمن لا ذنب له»<sup>(1)</sup>.  
 وقال إبراهيم النخعي: «لأننا لفتنة المرجئة أخوف على هذه الأمة من فتنة الأزارقة  
 [أي الخوارج]»<sup>(2)</sup>.

وعن عبد الملك بن أبي النعمان الجزري، عن ميمون بن مهران، قال: خاصمه رجل  
 في الإرجاء، فبينما هما على ذلك، إذ سمعا امرأة تغني، فقال ميمون: «أين إيمان هذه من  
 إيمان مريم بنت عمران؟!»، فانصرف الرجل، ولم يرد عليه<sup>(3)</sup>.

وقال سعيد بن جبير: «المرجئة يهود القبلة»<sup>(4)</sup>.  
 ويقول الزُّهري: «ما ابتدِعَ في الإسلام بدعةٌ هي أضْرُّ على أهله من هذه، يعني  
 الإرجاء»<sup>(5)</sup>.

قال الإمام ابن بطة العُكْبَرِي رَحِمَهُ اللهُ<sup>(6)</sup> عقب ذكره لأثر الزُّهري: «فاحذروا -  
 رحمكم الله - مجالسة قوم مَرَقُوا من الدين، فإنهم جَحَدُوا التنزيل، وخالفوا الرسول،  
 وخرجوا عن إجماع علماء المسلمين، وهم قوم يقولون: الإيمان قول بلا عمل،

1- «السير» (4/ 455). نقلا عن «الآثار الواردة عن أئمة السنة في أبواب الاعتقاد» (ص 472)، لبشيريادي.

2- «السنة» (1/ 313)، لعبد الله بن الإمام أحمد، و«الإبانة الكبرى» (2/ 888)، لابن بطة، و«شرح أصول  
 الاعتقاد» (5/ 1060)، للاكائي.

3- «السير» (5/ 73). نقلا عن «الآثار الواردة عن أئمة السنة في أبواب الاعتقاد» (ص 472).

4- «السنة» (1/ 341)، و«الإبانة» (2/ 886)، و«شرح أصول الاعتقاد» (5/ 1061).

5- «الإبانة» (2/ 893).

6- «الإبانة» (2/ 893).

ويقولون: إن الله سُبْحَانَهُ فرض على العباد الفرائض ولم يُرِدْ منهم أن يَعْمَلُوها، وليس بضائر لهم أن يتركوها، وحرّم عليهم المحارِمَ فهُم مؤمنون وإن ارتكبوها، وإنما الإيمان عندهم أن يَعْتَرِفُوا بوجوب الفرائض وأن يتركوها، وَيَعْرِفُوا المحارِمَ وإن استحلوها، ويقولون: إن المعرفة بالله إيمان يغني عن الطاعة، وإنَّ من عَرَفَ الله تعالى بقلبه فهو مؤمن، وإن المؤمن بلسانه والعارف بقلبه مؤمن كامل الإيمان كإيمان جبريل، وإن الإيمان لا يتفاضل ولا يزيد ولا ينقص، وليس لأحد على أحد فضل، وإن المجتهد والمقصر والمطيع والعاصي جميعا سيان». انتهى كلامه رَحِمَهُ اللهُ، وهو في غاية النفاسة والوضوح.

### الآثار المترتبة على قول المرجئة في الإيمان

إِنَّ الإِرْجَاءَ سُلَّمُ الحِرْمَانِ، وَمَسَلَكٌ خَبِيثٌ يَنْفُذُ مِنْهُ أَهْلُ الفِسْقِ والعِصْيَانِ، وَكَمْ مِنْ رَجُلٍ وَقَعَ فِي شَيْءٍ مِنْ هَذِهِ البِدْعِ هَرَبًا مِنْ طَرِيقِ الغَلَاةِ، وَلَا يَدْرِي -المسكين- أَنْ الحَقَّ لَنْ يَكُونَ فِي صَفِّ الجُفَاءِ، وَإِنَّمَا هُوَ فِي اتِّبَاعِ طَرِيقِ أَهْلِ السَّنَةِ والإِيمَانِ، وَلزُومِ غَرَزِ السَّلْفِ وَاتِّبَاعِهِمْ فِي كُلِّ عَصْرٍ وَمَكَانٍ.

وقد ذكر أهل العلم قديماً وحديثاً الآثار المترتبة على قول المرجئة في الإيمان، ومن

ذلك: (1)

• مخالفة كلام الله جَلَّ جَلَالُهُ وكلام رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وما أجمع عليه السلف رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ.

- إضعاف القوة الإيمانية عند الأمة الإسلامية.
- إضعاف القوة المادية عند الأمة الإسلامية.
- ضعف الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.
- فتح المجال للزنادقة والفسقة للنيل من الدين الإسلامي والسخرية والاستهزاء به والتهاون بتعاليمه، إذ الفاسق عند القوم مؤمن كامل الإيمان.
- التهاون بأعظم الأصول الدينية وهو توحيد الألوهية، لأنَّ المرجئة -بمذهبهم في إثبات الإيمان بلا عمل- أخرجوا في كلامهم عن التوحيد ما له علاقة بالعمل وهو توحيد العبادة، فتراهم في تعريفهم وذكرهم للتوحيد لا يذكرون سوى الربوبية

1- انظر: «التعليقات الجلية» (2/ 803)، و«مذكرة الفرق» (1/ 89)، لأبي زيد مكي.

والأسماء والصفات لتعلقها بالمعرفة والإثبات، ويهملون ذكر توحيد الألوهية،  
وبهذا ضَعُفَ مفهوم كلمة التوحيد «لا إله إلا الله» في قلوب هؤلاء القوم ومن سار  
على منهجهم.

قلت: ولقد أحسن العلامة محمد خليل هراس استنباطاً، وهو يتحدث عن بدعة  
الإرجاء واصفاً إياها بآئها: «خَرَقٌ شَدِيدٌ لِسِيَاجِ التَّوْحِيدِ»، فقال رَحِمَهُ اللهُ<sup>(1)</sup>: «فإنَّ  
الأعمالَ من حُقُوقِ التَّوْحِيدِ ومُكَمَّلَاتِهِ، فإِهمالُها نَقْصٌ في التَّوْحِيدِ، وقد سَمَّى اللهُ  
تَرْكَهَا شِرْكَاً وكُفْرًا.

قال تعالى: ﴿وَأَقِمْوْا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الروم: ٣١]، وقال:

﴿وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ ﴿٦﴾ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾ [فصلت: ٦ - ٧]. انتهى.



1- «دعوة التوحيد: أصولها - الأدوار التي مرت بها - مشاهير دعواتها» (ص 226).

## الكلام على حقيقة الإيمان عند أهل السنة والجماعة

بعد الكلام على مذاهب المنحرفين في الإيمان، وهم الخوارج من جهة، والمرجئة من جهة أخرى، بيّن الناظم رَحْمَةُ اللَّهِ فِي هَذِهِ الْأَبْيَاتِ عَقِيدَةَ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ فِي حَقِيقَةِ الْإِيْمَانِ، فَقَالَ:

وَقُلْ إِنَّمَا الْإِيْمَانُ قَوْلٌ وَنِيَّةٌ      وَفِعْلٌ عَلَى قَوْلِ النَّبِيِّ مُصْرَحٌ  
وَيَنْقُصُ طَوْرًا بِالْمَعَاصِي وَتَارَةً      بِطَاعَتِهِ يَنْمِي فِي الْوِزْنِ يَرْجَحُ

فقوله: (وَقُلْ)، بلسانك، معتقداً بجنانك، مدعناً بأركانك، (إِنَّمَا): أداة حصر، (الْإِيْمَانُ) الشرعي، الذي لا ينجو أحد بدونه، (قَوْلٌ) باللسان، وبالقلب أيضاً، (وَنِيَّةٌ)، أي: قصد، وهي من عمل القلب، (وَفِعْلٌ)، بالجوارح والأركان<sup>(1)</sup> وباللسان كذلك، كما سيأتي بيانه - إن شاء الله تعالى -.

(عَلَى قَوْلِ النَّبِيِّ) محمد بن عبد الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، (مُصْرَحٌ)، مبتدأ مؤخر، خبره شبه الجملة (عَلَى قَوْلِ النَّبِيِّ)، أي أَنَّ الْقَوْلَ (النية) والـ(فعل) جاء التصريح بأنها من الإيمان في قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي أَحَادِيثَ كَثِيرَةٍ، فَمَنْ قَالَ

1- وقد سألت شيخنا العصيمي عن الفرق بين الجوارح والأركان عند تعريف الإيمان، فقال حفظه الله:

«إن هاتين الكلمتين يُقصد بهما الآلات التي تؤدي العمل، والجوارح هي التي تجرح أي تؤدي. والأركان هي التي يتركب منها الفاعل، وعبروا عن هذا من باب السجع، على أن إطلاق الركن على الإنسان ليس في كلام العرب القدامى، فالركن عندهم: هو الشيء المحسوس الجامد كركن البيت وهكذا، وبالتالي فالأولى التعبير بـ «عمل بالجوارح»». انتهى. انظر: «مسائل العصيمي» التي نقلتها عنه.

وللشيخ نحو هذا الكلام أثناء تعليقه على أبواب في حقيقة الإيمان من «الإبانة الكبرى» لابن بطّة العكبري.

بذلك فقوله مَبْنِيٌّ عَلَى مَا جَاءَ عَنِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ<sup>(1)</sup>.

وجاء في بعض النسخ: (عَلَى قَوْلِ النَّبِيِّ مُصَبِّحٌ)، وهو بمعنى (مُصَرِّحٌ)، وهذا يحتمل أن الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ أراد أنه جاء التصريح بأن الإيمان حقيقة مركبة من قول وعمل ونية، ولعله يُشير إلى ما روي عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «الإيمان قول باللسان، وعمل بالأركان، ويقين بالقلب»، ولكن الحديث لا يصح وإن احتج به وبنحوه بعض أهل السنة.<sup>(2)</sup>

ومذهب أهل الحق من السلف -ومن وافقهم- أن الإيمان يتفاضل أهلُه فيه، فيزيد وينقص، ولذا قال الناظم رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى بعدها: (وَيَنْقُصُ): أي الإيمان، (طَوْرًا): أي مرة، (بِالْمَعَاصِي): جمع معصية وهي ما يذم مرتكبها من كبيرة وصغيرة.

(وَتَارَةً): أي مرة أخرى، (بِطَاعَتِهِ): أي العبد المؤمن، (يَنْمِي)، وفي نسخة: (ينمو) والمعنى واحد، أي: يزيد، يُقال: نمى الشيء ينمو نموًا زاد وارتفع وكثر.

(وَفِي الْوِزْنِ)، أي: الميزان، (يَرْجَحُ)، أي: يثقل، لزيادته بالطاعات.<sup>(3)</sup>

ولهذا أهل السنة إذا عرّفوا الإيمان قالوا: الإيمان خمس نونات: «قول باللسان، واعتقاد بالجنان، وعمل بالجوارح والأركان، يزيد بطاعة الرحمن، وينقص بطاعة الشيطان».

1- انظر: «التحفة السننية» (ص 106).

2- انظر: «القصيد الحائية في السنة» (ص 52)، لشيخنا بدر العتيبي.

3- انظر: «لوائح الأنوار» (2/ 306).

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ [الأنفال: ٢ - ٤]، وقال جلَّ جلاله: ﴿ وَإِذَا مَا أَنْزَلْنَا سُورَةً فَمِنْهُمْ مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ ﴿١٢٥﴾ [التوبة: ١٢٤ - ١٢٥]، إلى غير ذلك من النصوص الدالة على زيادة الإيمان ونقصانه وتفاضل أهله فيه.

قال شارح الطحاوية<sup>(١)</sup>: «والأدلة على زيادة الإيمان ونقصانه من الكتاب والسنة والآثار السلفية كثيرة جدا». انتهى.

## تعريف الإيمان لغةً

والإيمان لغةً: مُشْتَقٌّ مِنَ الْأَمْنِ: أَمِنَ يَأْمَنُ أَمَانًا، وهو الإقرار<sup>(1)</sup>، أو التصديق الجازم الذي يتبعه عملٌ يَأْمَنُ معه المؤمنُ الغائلة أو العقوبة.<sup>(2)</sup>

وأما من فَسَّرَ الإيمانَ لغةً بالتصديق، فإنما قَصَدَ التصديقَ الثابتَ المُتَيَقَّنَ الرَّاسِخَ، الذي يَتَرْتَّبُ عليها نقيادٌ وعملٌ.

قال حافظ حكيم رَحِمَهُ اللهُ<sup>(3)</sup>: «ومن هنا يتبين لك أنَّ من قال من أهل السنة في الإيمان: هو التصديق على ظاهر اللغة أنهم إنما عَنَوَا التصديقَ الإِدْعَائِيَّ المُسْتَلزَمَ للانقياد ظاهراً وباطناً بلا شك، لم يَعْنُوا مجرد التصديق، فإن إبليس لم يُكذِّبْ في أمرِ الله تعالى له بالسجود وإنما أبى عن الانقياد كفراً واستكباراً، واليهود كانوا يعتقدون صدق الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولم يتبعوه، وفرعون كان يعتقد صدق موسى ولم يَنقَد، بل جَحَدَ بآيات الله ظُلماً وَعُلُوًّا». انتهى.

1- انظر: «فتاوى شيخ الإسلام» (7/ 290، وما بعدها؛ 7/ 529، 638)، و«شرح الواسطية» (2/ 230)، لابن عثيمين.

2- انظر: «المفردات» (ص 91)، للراغب، و«اللآلئ البهيّة» (2/ 373-376)، للعلامة صالح آل الشيخ، و«التوضيحات الجليلة» (2/ 797)، وانظر في كتب اللغة: مادة (أَمِنَ): «الصحاح» (5/ 2071)، للجوهري، «المصباح المنير» (1/ 24)، و«القاموس» (1/ 182)، و«لسان العرب» (13/ 21)، وغيرها.

3- «معارج القبول» لحافظ حكيم (2/ 594).

وقد ردَّ شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ في كتابه «الإيمان الكبير»<sup>(1)</sup> على من ادَّعى إجماع أهل اللغة أنَّ الإيمان هو التصديق.

ولو سلَّمنا جدلاً أنَّ الإيمان في اللغة هو التصديق، فإنَّ الألفاظ الشرعية تُحمَلُ على الحقيقة الشرعية، لا على الحقيقة اللُّغوية، والإيمان الشرعي مشتملٌ على التصديق بالجنان والعمل بالأركان والإقرار باللسان.<sup>(2)</sup>

### تعريف الإيمان شرعاً مع بيان أدلته

وأما الإيمان شرعاً، فقد أجمع السلفُ على أنَّه قولٌ وعملٌ، وهذه عبارة أكثر المتقدِّمين من السلف<sup>(3)</sup> من التَّابِعِينَ وأتباعِ التَّابِعِينَ فَمَنْ بَعْدَهُمْ، بَلْ نَقَلَ جَمَاعَةُ الإِجْمَاعِ عَلَيْهَا، كَمَا نَقَلَهُ الشَّافِعِيُّ وَأَبُو ثَوْرٍ وَغَيْرُهُمْ...<sup>(1)</sup>

1- «مجموع الفتاوى» (7/ 123، وما بعدها). وانظر: «فهارس الفتاوى» (36/ 615)، وقد أحسن الشيخ الخميس في تلخيص كلام ابن تيمية في كتابه «التوضيحات الجليلة» (2/ 810).

2- انظر: «شرح مختصر التحرير» (1/ 150)، للفتوحى، و«التوضيحات» (2/ 810)، و«مجموع الفتاوى» (7/ 127)، و«الهداية الربانية» (1/ 480)، للراجحي، و«شرح الطحاوية» (2/ 32-37)، لآل الشيخ.

3- ورُبما اختلفت عبارات السلف في الإفصاح عن حقيقة الإيمان، مع اتفاقهم على حقيقته، فيكون ما بينهم من اختلاف العبارات إنما مرَّده إلى اختلاف الاعتبارات، فكلٌّ من أراد أن يفصح عن شيء يستحق الإفصاح، نبَّه عليه بعبارة تدلُّ عليه. فيُعلم من هذا أن السلف رحمهم الله تعالى ردّوا الإيمان إلى القول والعمل، ثم وقع في عبارات بعضهم ما يزيد الأمر بياناً، وعبارة الإيمان قول وعمل كافية في الدلالة على المقصود.

وانظر شرح شيخ الإسلام لعبارات السلف في الإيمان في «مجموع الفتاوى» (7/ 171-170، 505-506)، وكان مما قال (7/ 505): «وليس بين هذه العبارات اختلاف معنوي، ولكن القول المطلق، والعمل المطلق في

كلام السلف يتناول قول القلب واللسان، وعمل القلب والجوارح، فقول اللسان بدون اعتقاد القلب هو

ومعنى قول السلف: «الإيمان قولٌ وعملٌ» أي: قولٌ وعملٌ القلب، وقولٌ وعملٌ اللسان، مع عمل الجوارح، أو قولٌ القلب واللسان، وعملٌ القلب واللسان والجوارح.

قال الإمام ابن عبد البر المالكي رَحِمَهُ اللهُ<sup>(2)</sup>: «أجمع أهلُ الفقه والحديث على أنَّ الإيمانَ قولٌ وعملٌ، ولا عملٌ إلا بنيةً، والإيمان عندهم يزيدُ بالطاعةِ وينقصُ بالمعصية، والطاعاتُ كلها عندهم إيمان...». انتهى.

إذن، قولهم: الإيمان قول وعمل، يندرج فيه أمور:

أولها: قول القلب: وهو تصديقه وإقراره واعتقاداته التي محلُّها القلب: كالاعتقاد بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره<sup>(3)</sup>. وفي التنزيل قوله

قول المنافقين، (...) وكذلك عمل الجوارح بدون أعمال القلوب هي من أعمال المنافقين، التي لا يتقبلها الله، فقول السلف يتضمن القول والعمل الباطن والظاهر». انتهى بحذف يسير.

1- من تقارير شيخنا صالح بن عبد الله العصيمي على أبواب في حقيقة الإيمان من «الإبانة الكبرى».

وانظر: «موسوعة العقيدة» (1/470)، وفيها فوائد جمة، جزى الله من قام عليها خيرا.

2- «التمهيد» (9/238).

3- وكلُّ ركن من هذه الأركان الستة فيه قدرٌ واجبٌ لا يصحُّ إيمانُ العبد إلا به، ولو أعرض عنه كان مُعرضاً عن تعلُّم أصل الدين. قال الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن رَحِمَهُ اللهُ لما سئل عن كُفر الإعراض: «إذا عُدِمَ الأصل الذي يدخل به في الإسلام، وأعرض عن هذا بالكلية، فهذا كُفرٌ إعراض»، قال الشيخ سليمان بن سحمان رَحِمَهُ اللهُ مُعَقَّباً في «منهاج أهل الحق والاتباع في مخالفة أهل الجهل والابتداع» (ص 81): «فتبين أن الإنسان لا يكفر إلا بالإعراض عن تعلُّم الأصل الذي يدخل به الإنسان في الإسلام». انتهى.

تعالى: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [الزمر: ٣٣] (١). قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ (٢): «وإذا زال تصديق القلب لم تنفع بقية الأجزاء، فإن تصديق القلب شرط في اعتقادها وكونها نافعة». انتهى.

وثانيها: قول اللسان: وهو نطقه بالشهادتين اللتين يدخل بهما العبد في الإسلام. وفي «الصحيحين» قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، فَمَنْ قَالَهَا فَقَدْ عَصَمَ مِنِّي مَالَهُ وَنَفْسَهُ إِلَّا بِحَقِّهِ، وَحِسَابُهُ عَلَى اللهِ» (٣)، فمن صدق بقلبه ولم يتكلم بلسانه - مع القدرة - فليس بمؤمن إجماعاً. (٤)

وثالثها: عمل القلب: وهو حركته وإرادته التي لا يصح إيمانه إلا بها، كالمحبة والخوف والرجاء والتوكل والصبر، وغيرها، ومن ذلك قول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال: ٢]. وأهل السنة مجمعون على زوال الإيمان إذا زال عمل القلب مع اعتقاد الصدق، فإن التصديق لا ينفع مع انتفاء عمل القلب. (٥)

1- انظر: «تفسير ابن كثير» (٧/ 99).

2- «الصلاة وأحكام تاركها» (ص 56).

3- البخاري (1399)، ومسلم (20).

4- انظر: «مجموع الفتاوى» (٧/ 140، 337، 550).

5- انظر: «الصلاة وأحكام تاركها» (ص 56).

والفرق بين قول القلب وعمل القلب: أن قول القلب مُتَعَلِّقُهُ النَّفْيُ والإثبات أي الاعتقادات، وأما عَمَلُ الْقَلْبِ فمُتَعَلِّقُهُ تَوَجُّهَاتُ الْقَلْبِ وَحَرَكَاتُهُ، وأعمال القلب تنشأ عنها أعمال الجوارح وأقوال اللسان.

ورابعها: عمل اللسان: وهو ما لا يؤدي إلا به، كتلاوة القرآن وذكر الله والإهلال بالحج وغير ذلك. قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ۝٤١ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الأحزاب: ٤١ - ٤٢].

والفرق بين قول اللسان وعمل اللسان: أن قول اللسان يتعلّق بالإقرار بأصل الدين وهو الشهادتان، وأما عَمَلُهُ فيتعلّق به أعمال واجبة أو مُسْتَحَبَّةٌ سِوَى النُّطْقِ بالشهادتين، لا يتمكن العبد من أدائها إلا باللسان.<sup>(1)</sup>

وخامسها: عمل الجوارح: كالصلاة والزكاة والحج والجهاد وغيرها من الأعمال. قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضَيِّعَ إِيمَانَكُمْ﴾ [البقرة: ١٤٣]، أي: صلاتكم إلى بيت المقدس، فإن الله سمّاها إيماناً لأن الصلاة جامعة لقول القلب وعمله وقول اللسان وعمله وعمل الجوارح.<sup>(2)</sup>

1- انظر: «معارج القبول» (2/ 591).

وكثير من السلف من يكتفي في تعريف الإيمان بقول اللسان عن ذكر عمل اللسان، فيعرفونه بأنه: «قول اللسان، واعتقاد القلب، وعمل الجوارح»، فيجعلون قول اللسان شاملاً للنطق بالشهادتين وسائر العبادات القولية كالذكر وقراءة القرآن، والأمر في هذا هيّن، إذ أن أهل السنة والجماعة مجمعون على أن حقيقة الإيمان مركبة من كل هذه الأمور التي تم تفصيلها.

2- انظر: «معارج القبول» (2/ 591).

والمقصود بالعمل المصحح للإيمان هنا ما جمَعَ وصفين:

أحدهما: أن يكون عملاً مشروعاً، أي مطلوباً شرعياً، سواء بالفعل أو بالترك،

فمن المطلوب الشرعي مثلاً بالفعل: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ [البقرة: ٤٣]، ومن

المطلوب الشرعي بالترك: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَى﴾ [الإسراء: ٣٢].

وثانيتها: أن يكون هذا العمل ممّا يتميِّز به المسلم عن غيره، لا مما يفعله الخلقُ

جِبِلَّةً وَطَبِيعَةً، كبرِّ الوالدين، والإحسان إلى الجيران، والمعاملة بالحُسنى مع الأصدقاء

والأصحاب، وغير ذلك من الأعمال التي يشترك فيها البرّ والفاجر، مما لا يُعتبر دليلاً

على وجود الإيمان في القلب. (1)

1- فإذا تُرك العمل ههنا صار تركُ العمل مخرجاً من الإيمان، والمراد بترك العمل ترك العمل كلّهُ، لا فرداً من أفرادهِ، إذ يُعتبر ترك جنس العمل أحدَ أنواع كُفر الإعراض.

قال الشيخ عبد الرحمن البراك في «جواب في الإيمان ونواقضه» (ص 23): «وينبغي أن يُعلم أن المكلف لا يخرج من كفر الإعراض - المستلزم لعدم إقراره - بفعل أي خصلة من خصال البر، وشعب الإيمان، فإن من هذه الخصال ما يشترك الناس في فعله - كافرهم ومؤمنهم - كماطاة الأذى عن الطريق، وبر الوالدين، وأداء الأمانة. وإنما يتحقق عدم هذا الإعراض، والسلامة منه بفعل شيء من الواجبات التي تختص بها شرعية الإسلام التي جاء بها الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - كالصلاة والزكاة والصيام والحج - إذا فعل شيئاً من ذلك إيماناً واحتساباً». انتهى.

ويقول شيخ الإسلام في «الفتاوى» (621/7): «فَلَا يَكُونُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ مَعَ عَدَمِ شَيْءٍ مِنَ الْوَاجِبَاتِ الَّتِي يَخْتَصُّ بِإِيحَابِهَا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ». انتهى.

وعلى هذا التعريف، فإنه يدخُل في الإيمان جميع المأمورات، سواء كان من الواجبات أو المستحبات، ويدخل فيه تركُ جميع المنهيات، سواء كان ذلك المنهي يُنافي أصولَ الدين بالكلية أو لا. فما من خصلة من خصال الطاعات الظاهرة والباطنة إلا وهي من الإيمان، ولا ترك محرم من المحرمات الظاهرة والباطنة إلا وهو من الإيمان.<sup>(1)</sup>

وقد منَّ الله عليَّ وجمعتُ -في ورقات- عدَّة أقوال عن علماء المسلمين -قديما وحديثا- تُنصُّ صراحةً على إجماع أهل العلم على أن تارك عمل الجوارح ليس بمسلم، والكلام على من تمكَّن من العمل، أما المعذور فهذا خارج محل النزاع...

وفي الباب كتب كثيرة ينبغي أن يحرص عليها طالب العلم، ومن ذلك:

الإيمان لابن أبي شيبة، ولأبي عبيد القاسم بن سلام، ولابن منده، ولابن تيمية (وهو في الجزء 7 من «الفتاوى»)، و«تعظيم قدر الصلاة»، للمروزي، و«التوضيح والبيان لشجرة الإيمان»، لابن سعدي، و«زيادة الإيمان ونقصانه والاستثناء فيه»، لعبد الرزاق العباد، و«أسئلة وأجوبة في الإيمان والكفر»، للراجحي، و«جواب في الإيمان ونواقضه»، و«أقوال ذوي العرفان في أن أعمال الجوارح داخله في مسمى الإيمان»، للسنانى، و«مسألة الإيمان»، للشبل، و«الإيمان بين السلف والمتكلمين»، للغامدي، و«الإيمان: حقيقته، خوارمه، نواقضه عند أهل السنة والجماعة»، للأثري، و«الإيمان عند السلف»، لآل خضير، وهو كتاب جيد في بابه.

1- «حاشية ابن قاسم على ثلاثة الأصول» (ص 100)، بتصرف. وانظر: «التمهيد» (9/ 238)، و«الصلاة وأحكام تاركها» (ص 54)، لابن القيم، لما تكلم على شعب الإيمان.

وقد جاء التصريح بحقيقة الإيمان المركبة من القول والعمل والاعتقاد في قوله  
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الإيمانُ بضعٌ وسبعونَ أو بضعٌ وستونَ شُعبَةً، فَأَفْضَلُهَا قَوْلٌ لَا إِلَهَ إِلَّا  
اللهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ»<sup>(1)</sup>.

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ<sup>(2)</sup>: «هذه الشعب تتفرع عن أعمال القلب، وأعمال  
اللسان، وأعمال البدن». انتهى.

1- رواه البخاري (9)، ومسلم (35)، واللفظ له.

2- «الفتح» (52 / 1).

### منزلة العمل من الإيمان

إِنَّ الْقَوْلَ وَالْعَمَلَ فِي الْإِيمَانِ يَنْتَظِمَانِ فِي سَبِيلِكِ وَاحِدٍ، وَلَا يَنْفَكُ أَحَدُهُمَا عَنِ الْآخَرِ، حَتَّى قَالَ الْإِمَامُ الْأَوْزَاعِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ<sup>(1)</sup>: «لَا يَسْتَقِيمُ الْإِيمَانُ إِلَّا بِالْقَوْلِ، وَلَا يَسْتَقِيمُ الْإِيمَانُ وَالْقَوْلُ إِلَّا بِالْعَمَلِ، وَلَا يَسْتَقِيمُ الْإِيمَانُ وَالْقَوْلُ وَالْعَمَلُ إِلَّا بِنِيَّةٍ مُوَافِقَةٍ لِلْسُنَّةِ. وَكَانَ مِنْ مَضَى مَنْ سَلَفِنَا لَا يُفَرِّقُونَ بَيْنَ الْإِيمَانِ وَالْعَمَلِ، وَالْعَمَلِ مِنَ الْإِيمَانِ، وَالْإِيمَانِ مِنَ الْعَمَلِ، وَإِنَّمَا الْإِيمَانُ اسْمٌ يَجْمَعُ هَذِهِ الْأَدْيَانَ اسْمَهَا، وَيَصَدِّقُهُ الْعَمَلُ، فَمَنْ آمَنَ بِلِسَانِهِ وَعَرَفَ بِقَلْبِهِ وَصَدَّقَ ذَلِكَ بِعَمَلِهِ فَتَلَّكَ الْعُرْوَةَ الْوُثْقَى الَّتِي لَا انْفِصَامَ لَهَا، وَمَنْ قَالَ بِلِسَانِهِ وَلَمْ يَعْرِفْ بِقَلْبِهِ وَلَمْ يَصَدِّقْهُ بِعَمَلِهِ لَمْ يَقْبَلْ مِنْهُ وَكَانَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ». انتهى

وقال الإمام قال البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ<sup>(2)</sup>: «كُتِبَتْ عَلَى أَلْفِ نَفَرٍ مِنَ الْعُلَمَاءِ وَزِيَادَةٍ، وَلَمْ أَكْتُبْ إِلَّا عَمَّنْ قَالَ: الْإِيمَانُ قَوْلٌ وَعَمَلٌ، وَلَمْ أَكْتُبْ عَمَّنْ قَالَ: الْإِيمَانُ قَوْلٌ». انتهى.

فمن كان صادقاً في إيمانه الباطن، فلا بد أن يترجم ذلك الإيمان في الظاهر، وإلا كان كاذباً في دعواه، متناقضاً فيما ادعاه.

قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ<sup>(3)</sup>: «وَكُلُّ حَقِيقَةٍ بَاطِنَةٍ لَا يَقُومُ صَاحِبُهَا بِشَرَائِعِ الْإِسْلَامِ الظَّاهِرَةِ لَا تَنْفَعُ وَلَوْ كَانَتْ مَا كَانَتْ، فَلَوْ تَمَزَّقَ الْقَلْبُ بِالْمَحَبَّةِ وَالْخَوْفِ وَلَمْ

1- «الإبانة الكبرى» (2/807)، و«شرح أصول الاعتقاد» (5/956).

2- «شرح أصول الاعتقاد» (5/959، 1036). وانظر: «الشرعية» (2/611، وما بعدها).

3- «الفوائد» (ص 142).

يَتَعَبَّدُ بِالْأَمْرِ وَظَاهِرِ الشَّرْعِ لَمْ يُنْجِهْ ذَلِكَ مِنَ النَّارِ، كَمَا أَنَّهُ لَوْ قَامَ بِظَوَاهِرِ الْإِسْلَامِ وَلَيْسَ فِي بَاطِنِهِ حَقِيقَةُ الْإِيمَانِ لَمْ يُنْجِهْ مِنَ النَّارِ». انتهى.

## تفاضل أهل الإيمان

تقدم أن الإيمان عند أهل السنة: قول وعمل واعتقاد، يزيد وينقص، وعليه فالمؤمنون يتفاضلون تبعاً لزيادة الإيمان ونقصانه، وفي هذا قال الناظم:

**وَيَنْقُصُ طَوْرًا بِالْمَعَاصِي وَتَارَةً بِطَاعَتِهِ يَنْمِي فِي الْوِزْنِ يَرْجَحُ**

فالإيمان يزيد بالطاعات، وينقص بالمعاصي، والطاعات تشمل أعمال القلوب، والجوارح، واللسان.

والله يقول: ﴿أَجْعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ

الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ ﴿[التوبة: 19]، وفي هذا تقرير أن أعمال الإيمان والخير ليست على درجة واحدة، بل هي متفاوتة تبعاً لتفاوت مصالحها. (1)

وهل يدخل التفاضل في أقوال القلب؟ أي اعتقاده وتصديقه وإقراره؟

الجواب: نعم، وهذا هو مذهب أهل السنة والجماعة، فإن التصديق القائم بالقلوب متفاضل، فإن إيمان الصديقين الذين يتجلى الغيب لقلوبهم حتى يصير كأنه شهادة، بحيث لا يقبل التشكيك ولا الارتياب، ليس كإيمان غيرهم ممن لم يبلغ هذه الدرجة بحيث لو شكك لدخله الشك. (2)

1- انظر: «تفسير أبي السعود» (52/4)، و«التحرير والتنوير» (10/146)، حيث رجح ابن عاشور رَحِمَهُ اللهُ أَنَّ المخاطبين بهذه التسوية مؤمنون، لأنهم لو كانوا غير مؤمنين لما جعلوا مناصب دينهم مساوية للإيمان، بل لجعلوها أعظم. وإنما توهموا أنها عملان يعدلان الجهاد، وفي الشغل بهما عذر للتخلف عن الجهاد، أو مزية دينية تساوي مزية المجاهدين. والله أعلم. وتفصيل القول في هذا محلُّه كتب التفسير.

2- انظر: «جامع العلوم والحكم» (1/116)، و«مجموع الفتاوى» (6/480)، و«شرح مسلم» (1/148).

إذن، التفاضل بين المؤمنين يكون في أمرين:

- في أصل الإيمان، وهو اعتقاده وتصديقه وإقراره، خلافاً للمرجئة القائلين بأنَّ الناسَ في أصل الإيمان سواء. (1)
- وفي سائر الأقوال والأعمال، خلافاً للمرجئة القائلين بعدم زيادة الإيمان ونقصانه.

وعبرَ عن هذا العلامةُ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ بقوله (2): «والإيمان يزيد بالكمية والكيفية، فزيادة الأعمال الظاهرة زيادة كمية، وزيادة الأعمال الباطنة كاليقين زيادة كيفية». انتهى.

فالنَّاسُ يتفاوتون في مبلغ الإيمان من قلوبهم كما يتفاوتون في أعمال الإيمان الظاهرة، بل يتفاضلون في عمل واحدٍ يعمَلُهُ كُلُّهُمْ في آنٍ واحدٍ، وفي مكان واحد، والنَّاظِرُ إليهم يراهم مستويين في صورة العمل، ولو كُشِفَ له الحجاب لرأى من الفرقان ما لا يقدر قدره إلا الله الذي أحاط بكلِّ شيءٍ علماً.

وإلى هذا أشار الإمام ابن القيم في «نونيته» بقوله:

فالفَضْلُ عِنْدَ اللهِ لَيْسَ بِصُورَةِ الْعَمَلِ      أَعْمَالٍ بَلْ بِحَقَائِقِ الْإِيمَانِ  
وَتَفَاضُلُ الْأَعْمَالِ يَتَّبَعُ مَا يَقُودُ      مُمَّ بِقَلْبِ صَاحِبِهَا مِنَ الْبُرْهَانِ

1- قال ابن أبي العز في «شرح الطحاوية» (ص 239-240): «فإن الكفر مع الإيمان كالعمى مع البصر، ولا شك أن البصراء يختلفون في قوة البصر وضعفه، فمنهم الأعمى والأعمى، ومن يرى الخط الثخين، دون الدقيق إلا بزجاجة ونحوها...»، إلى آخر ما قال رَحِمَهُ اللهُ، وأنصح بمراجعته في موضعه.

2- «القول المفيد» (2/373).

حَتَّى يَكُونَ الْعَامِلَانِ كِلَاهُمَا      فِي رُتْبَةٍ تَبْدُو لَنَا بَعِيَانِ  
هَذَا وَيَيْنُهُمَا كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ      وَالْأَرْضِ فِي فَضْلِ فِي  
وَيَكُونُ بَيْنَ ثَوَابٍ ذَا وَثَوَابٍ ذَا      رُتْبٍ مُضَاعَفَةٌ بِلا حُسْبَانِ  
هَذَا عَطَاءُ الرَّبِّ جَلَّ جَلَالُهُ      وَبِذَلِكَ تُعْرَفُ حِكْمَةُ الرَّحْمَنِ

وجميع أعمال الإيَّان، النَّاسُ فيها على هذا التفاوت والتفاضل بحسب ما وقر في قلوبهم من العلم واليقين، وعلى ذلك يموتون وعليه يبعثون، وعلى قدره يَقْفُونَ في عَرَقِ الْمَوْقِفِ، وعلى ذلك الْوَزْنُ وَالصُّحُفُ، وعلى ذلك تُقَسَّمُ الْأَنْوَارُ على الصَّرَاطِ، وبحسب ذلك يَمْرُونَ عليه، ومن يُبْطِأُ به عمله لم يسرع به نسبه، وبذلك يتسابقون في دخول الجنة، وعلى حسبه رفع درجاتهم، وبقدره تكون مقاعدهم من ربهم - تبارك وتعالى - في يوم المزيد، وبمقدار ذلك مَمَالِكُهُمْ فيها ونعيمهم، والله يَخْتَصُّ برحمته من يشاء، والله ذو الفضل العظيم.<sup>(1)</sup>

### أهمية الإيَّان في حياة الإنسان وثمرات تحقيقه

تظهر أهمية الإيَّان للعبد من عدة أوجه، منها:

- كونه أعظم واجب في حياة الإنسان.
- وكونه حقَّ الله على عباده.
- وكونه الفرقان الحقيقي بين الأشقياء والسعداء.
- وكونه سرَّ الفلاح في الدنيا والآخرة.

1- «معارج القبول» (3/ 1016)، باختصار.

وأما عن آثاره، فإنَّ الإيمانَ سبب: (1)

- للفوز بمحبة الله، وولايته.
- والتنعم بالحياة الطيبة.
- والظفر بالنصر والتمكين.
- والفوز بالجنة والنجاة من النار.



---

1- انظر: «التوضيح والبيان لشجرة الإيمان» (ص 69-90)، للسعدي، نقلا عن «موسوعة العقيدة»

## التحذير من اتباع الرأي والقدح في أهل الحديث

بعد الكلام على أصناف من أهل البدع والضلال كالخوارج والمرجئة وغيرهم، ختم الناظم رَحْمَةُ اللَّهِ هذه القصيدة المباركة بالتهديد من الطعن في أصحاب الحديث، والمراد بهم: أهل الحديث صناعةً (روايةً ودرايةً)، وهم نَقَلَتْهُ الْمُعْتَنُونَ به، وكذلك الذين يتبعونه ويهتدون بهدي النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه، وإن لم يكونوا من أهل الإتيان فيه.

فالطعن والعيب في هؤلاء طعن وعيبٌ للشريعة، لأنهم نقلتُها، ومن المعلوم أن القدح في الناقل قدحٌ في المنقول.

وفضائل أهل الحديث كثيرة، ومناقبهم في الورى مبثوثة شهيرة، قد أفردتها جماعةٌ من أهل العلم بالتأليف.<sup>(1)</sup>

قال ابن أبي داود رَحْمَةُ اللَّهِ:

وَدَعْ عَنْكَ آرَاءَ الرَّجَالِ      فِقَوْلُ رَسُولِ اللَّهِ أَزْكَى  
وَلَا تَكُ مِنْ قَوْمٍ تَلَّهَوْا      فَتَطْعَنَ فِي أَهْلِ الْحَدِيثِ

1- ومن أشهر تلك الكتب كتاب: «شرف أصحاب الحديث»، للخطيب البغدادي رَحْمَةُ اللَّهِ تعالى.

وفي الباب أيضا: «الانتصار لأصحاب الحديث»، للسمعاني، و«العواصم والقواصم»، لابن الوزير، و«الانتصار لأهل السنة والحديث»، لعبد المحسن العباد، و«مكانة أهل الحديث ومآثرهم وآثارهم الحميدة في الدين»، و«أهل الحديث هم الطائفة المنصورة والفرقة الناجية»، لربيع المدخلي.

### ذم الآراء المخالفة للشريعة

فقوله: **(وَدَعَّ عَنْكَ آرَاءَ الرِّجَالِ وَقَوْلَهُمْ)**، عَوْدٌ مِنْهُ رَحْمَةً لِلَّهِ لِتَقْرِيرِ أَمْرٍ مَهْمٍ - سَبَقَ وَأَنْ أَشَارَ إِلَيْهِ النَّازِمُ فِي أَوَّلِ هَذِهِ «الْقَصِيدَةِ الْحَائِيَّةِ»-، وَهُوَ: أَهْمِيَّةُ الْعِنَايَةِ بِمَصَادِرِ التَّلَقِّيِّ عِنْدَ أَهْلِ السَّنَةِ، فَفِي أَوَّلِ الْمَنْظُومَةِ قَالَ: «تَمَسَّكَ بِحَبْلِ اللَّهِ وَاتَّبَعَ الْهُدَى»، وَفِي آخِرِهَا يَقُولُ: **(وَدَعَّ عَنْكَ آرَاءَ الرِّجَالِ وَقَوْلَهُمْ)**، فَإِنَّ كُلَّ أَهْلِ الْبِدْعِ الَّذِينَ مَضَى ذِكْرُهُمْ أَفْتَهُمْ مِنْ جِهَةِ تَرْكِ الْكِتَابِ وَالسَّنَةِ وَالْإِقْبَالِ عَلَى آرَاءِ الرِّجَالِ فِي مَقَابِلَةِ النَّصِّ وَمَا كَانَ عَلَيْهِ السَّلْفُ الصَّالِحُ.

قال: **(وَدَعَّ)** أي: ذرَّ واجتنب واطرک، یا من یسمع هذا النظم، **(عَنْكَ)**، غیر مُحْتَفِلٍ وَلَا مُكْتَرِثٍ، **(آرَاءَ الرِّجَالِ)**: جمع رأي، وهو الفکر والنظر، والمعنى: لا تبني دينك وعقيدتك على الآراء المتكلفة، والأقوال المحدثه، بل ابنيها على الكتاب والسنة، ففيهما السلامة والعصمة والنجاة.<sup>(1)</sup>

و**(الرِّجَالِ)**: جمع رجل، وذكر الرجال هنا لا مفهوم له، إذ المراد ترك آراء مطلق الناس من ذكرك أو أنثى، ولكن لما كان الغالب أن يكون أصحاب الرأي رجالاً خصَّهم بالذكر.

**(و)** دع عنك **(قولهم)**، فلا تهتم به، ولا تجعله لك مذهباً، لأنه عرضة للخطأ، وغير مضمون لأصحابه الصواب، ولكن إن كنت تبغي النجاة والفوز بالدرجات العالية والنعيم المقيم **(ف)** اتبع **(قول رسول الله)** محمد بن عبد الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،

1- انظر: «لوائح الأنوار» (2/ 359)، و«التحفة السننية» (ص 110).

المعصوم من الزلل والخطأ، والموفق للإصابة في كل ما يُبلَّغ، لأنه لا ينطق عن الهوى، بل يصدر عن خيرٍ وحي يوحى.

فهو (أزكى)، أفعال تفضيل مأخوذ من زكى يزكو زكاءً، أي: فهو أطهر وأصفى وأخلص وأنقى من جميع أقوال الناس وآراءهم، لأنه خرج من مشكاة نور الهداية وينبوع عين الفلاح.

وجاء في بعض النسخ (أولى)، أي: بالأخذ والتقديم.

(وأشرح)، أي: أبين وأوضح وأوسع وأفسح من مقالات المتحدلقين، وآراء المتعمقين، وتأويلات المتنطعين، فإنهم حرّفوا النصوص عن مواضعها، وأخرجوها عن معانيها وحقائقها بالرأي المجرد الذي حقيقته زبالة الأذهان، وبنيات الأفكار، وعصارة الأوهام، ووساوس الصدور، وحواديس الخواطر، فملؤوا به الأوراق سوادًا، والقلوب شكوكًا، والعلم فسادًا، فكل من له مسكّة من علم وقليل من الفهم، يعلم أنّ فساد العالم وخرابه إنما نشأ من تقديم الآراء على الوحي، والعقل والهوى على النقل، وما استحکم هذان الأصلان الفاسدان في قلبٍ إلا استحكّم هلاكه، ولا في أمة إلا وفسد أمرها أتمّ فساد.<sup>(1)</sup>

ونستفيد من قول الناظم: (فقول رسول الله أزكى وأشرح)، أنّ مُتَّبِعَ الحديث منشرح الصدر، مرتاح البال، ثابت الإيمان، فإنّ اتباع قول رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

1- «لوائح الأنوار» (2/361)، بتصرف.

أشْرَحُ لِلصَّدْرِ، وَأَرْتَحُ لِلفَوَادِ، وَأَدْعَى لِطَمَأْنِينَةِ النَّفْسِ.<sup>(1)</sup>  
فَإِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ سَعَادَةً أَهْلُ الْحَدِيثِ وَالْأَثَرِ، وَأَكْثَرَ الْخَلْقِ حَيْرَةً أَهْلُ الْأَهْوَاءِ  
الْمُنْتَسِبُونَ زَوْراً إِلَى الْعَقْلِ وَالنَّظْرِ.

قال ابن تيمية<sup>(2)</sup> في كلام له طويل يُثْنِي فيه على أهل الحديث ومذهبهم، وأنهم أكثر  
الناس ثباتاً، بخلاف أعدائهم من الفلاسفة والمتكلمين: «أهل الكلام أكثر الناس  
انتقالاً من قولٍ إلى قولٍ، وجزماً بالقول في موضعٍ وجزماً بنقيضه وتكفيرٍ قائله في  
موضعٍ آخرٍ، وهذا دليل عدم اليقين...»

وأما أهل السنة والحديث، فما يُعْلَمُ أَحَدٌ من علمائهم ولا صالحٍ عامَّتِهِمْ رَجَعَ قَطُّ  
عن قوله واعتقاده، بل هم أعظمُ الناسِ صبراً على ذلك وإن امتحنوا بأنواعِ المِحْنِ  
وفُتِنُوا بأنواعِ الفِتَنِ، وهذه حال الأنبياء وأتباعِهِمْ مِنَ الْمُتَقَدِّمِينَ كَأَهْلِ الْأَخْدُودِ  
ونحوهم، وكسلف هذه الأمة من الصحابة والتابعين، وغيرهم من الأئمة، حتى كان  
مالك رَحِمَهُ اللهُ يَقُولُ: «لَا تُغْبِطُوا أَحَدًا لَمْ يُصِْبْهُ فِي هَذَا الْأَمْرِ بَلَاءٌ»، أي: إن الله لا بد أن  
يَبْتَلِيَ الْمُؤْمِنَ، فَإِنْ صَبَرَ رَفَعَ دَرَجَتَهُ...<sup>(3)</sup>

وَمَنْ صَبَرَ مِنْ أَهْلِ الْأَهْوَاءِ عَلَى قَوْلِهِ فَذَلِكَ لِمَا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ، إِذْ لَا بَدَّ فِي كُلِّ بَدْعَةٍ مِنْ

1- انظر: «التحفة السنية» (ص 111).

2- «الفتاوى» (4/ 50، وما بعدها)، باختصار وتصرف يسير.

وانظر مقدمة ابن قتيبة لكتابه «الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة» (ص 20).

3- انظر للفائدة كتابي: «تسلية المؤمنين بهوان مصيبة الدنيا عند سلامة الدين».

وانظر مقدمة ابن قتيبة لكتابه «الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة» (ص 20).

الحق الذي جاء به الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ويوافقُ عليه أهلُ السنة والحديث: ما يوجب قبولها، إذ الباطل المحض لا يُقبل بحال.<sup>(1)</sup>

وبالجملة، فالثبات والاستقرارُ في أهل الحديث والسنة أضعافُ أضعافٍ أضعافٍ ما هو عند أهل الكلام والفلسفة، بل المُتفلسفُ أعظمُ اضطراباً وحيرةً في أمره من المتكلم، لأن عند المتكلم من الحق الذي تلقاه عن الأنبياء ما ليس عند المُتفلسفِ. وأيضاً تجد أهل الفلسفة والكلام أعظمَ الناس افتراقاً واختلافاً مع دَعْوَى كُلِّ منهم أن الذي يقوله حق مقطوع به قام عليه البرهان. وأهل السنة والحديث أعظمُ الناس اتفاقاً وائتلافاً، وكلُّ مَنْ كان من الطوائف إليهم أقربَ كان إلى الاتفاق والائتلاف أقرب...

ولستَ تجد اتفاقاً وائتلافاً إلا بسبب اتباع آثار الأنبياء من القرآن والحديث وما يَتَّبِعُ ذلك، ولا تجد افتراقاً واختلافاً إلا عند من ترك ذلك وقدم غيره عليه، قال تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ۗ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ [هود: ١١٨ - ١١٩]، فأخبر أن أهل الرحمة لا يختلفون<sup>(2)</sup>، وأهل الرحمة هم أتباع الأنبياء قولاً وفعلاً، وهم أهل القرآن والحديث من هذه الأمة، فمن خالفهم في شيء فاته من الرحمة بقدر ذلك». انتهى كلامه رَحِمَهُ اللهُ، وهو من بديع القول وروائع الكلم ومحاسن الفهم لهذه الشريعة.

1- ولهذا سميت الشبهة شبهة، لما فيها من اشتباه الحق بالباطل، فتتنطلي على ضعفاء الخلق، ممن لم يجعل الله له نورا وفرقانا من الهدى ودين الحق.

2- ومضى نحوه عن مجاهد رَحِمَهُ اللهُ. انظر: «جامع بيان العلم» (2/ 920).

والناس يوم القيامة لا يُسألون عن آراء الرجال، إنما يُسألون عن اتباعهم لخير الرجال، وهم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، كما قال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ ﴾ [القصص: ٦٥]، وهذا بعد قوله سبحانه: ﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾ [القصص: ٦٢]، فجاء السؤال عن حق الله أولا - وهو التوحيد ونبذ التنديد-، ثم عن حق أنبياء الله ﷺ ثانيا، وهذا موافق لأسئلة القبر الثلاث: «مَنْ رَبُّكَ؟ وَمَنْ نَبِيُّكَ؟ وَمَا دِينُكَ؟»<sup>(1)</sup>.

قال أبو العالية الرياحي رَحِمَهُ اللهُ عند قوله تعالى: ﴿ فَوَرِّبِكَ لِنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [الحجر: ٩٢-٩٣]: «كلمتان يُسأل عنهما الأولون والآخرون: ماذا كنتم تعبدون؟ وماذا أجبتهم المرسلين؟».

ف(ماذا كنتم تعبدون؟): تحقيق شهادة أن لا إله إلا الله.

و(ماذا أجبتهم المرسلين؟): تحقيق شهادة أن محمدا رسول الله.<sup>(2)</sup>

### تعريف الرأي وأقسامه: الرأي المحمود والرأي المذموم

جاء في «موسوعة العقيدة»<sup>(3)</sup>: «الرأي يتناول جميع ما يكون في فكر الإنسان مما

1- وقد تقدّم تفصيل هذا عند الكلام على «فتنة القبر». انظر: «تفسير ابن كثير» (6/ 250).

2- «الفتاوى» (4/ 55-58)، باختصار كبير.

3- (3/ 1322)، ومنها استفدت سائر المباحث في تقسيات الرأي، فجزى الله القائمين عليها خيرا، فقد قدموا لطلاب العلم خدمة جليلة، جعلها الله لهم ذخرا يوم القيامة، ونفع بها الناس في الدنيا.

يستدعي التأمل والنظر للوصول إلى حكم في قضية من القضايا.

وعليه، فيكون الرأي شاملاً:

- للاجتهاد في تفهم معنى النص الشرعي، وتفسيره، والتحقق من انطباقه على الواقعة المعيّنة،

- كما يشمل أعمال الذهن في الأقيسة الشرعية، التي تستدعي النظر في عِلل الأحكام ومناطاتها وتعديتها إلى نظائرها،

- ويتناول كذلك: أعمال الفكر للنظر في مآلات الأفعال وعواقبها، والموازنة بين المصالح الفردية والاجتماعية».

والرأي ينقسم -إجمالاً- إلى قسمين:

القسم الأول: الرأي الصحيح أو المحمود، وهو الذي استعمله السلف، وسوّغوا القول به والعمل بمقتضاه.

والقسم الثاني: الرأي الباطل أو المذموم، وهو الذي منع منه السلف، وصاحوا على أصحابه بالذم والعيب والتحذير.

وأما على وجه التفصيل، فالرأي المحمود يدخل تحته عدة أنواع:

النوع الأول: رأي الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، وهم أهل الفقه والعلم والعقل، وكانوا يُفتون ويجتهدون بأرائهم إذا لم يجدوا في المسألة نصاً صريحاً.

---

وقد ذكر لي الشيخ الفاضل د. عبد الله العنقري -وهو ممن أسهم في مراجعتها وإخراجها- أنها ستترجم إلى اللغات الأجنبية، وسيُنشأ لها موقع إلكتروني، ليعم نفعها بين الناس.

النوع الثاني: الرأي الذي يُفسر النصوص، ويُبيّن وجه الدلالة منها.<sup>(1)</sup>  
 النوع الثالث: الرأي الذي أجمعت عليه الأمة، فإنه لا يكون إلا صواباً، لأن هذه الأمة لا تُجمع على الخطأ أبداً.

النوع الرابع: الرأي الحاصل ممن كان أهلاً للاجتهاد من أهل العلم بالشرع، وهذا أمر لا بد منه، وإلا انغلق باب الاجتهاد.

وأما الرأي المذموم، فهو أيضا على أنواع:

النوع الأول: الرأي المخالف للنص أو الإجماع، كالقياس والاستحسان العقلي المعارضين للنصوص الثابتة، ولما أجمع عليه المسلمون.<sup>(2)</sup>

النوع الثاني: إعمال الرأي في تفسير كلام الله وسنة رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على غير ما تقتضيه اللغة العربية، والقواعد الشرعية، وإنما بمحض الرأي والهوى والظن الكاذب.<sup>(3)</sup>

النوع الثالث: الرأي المتضمن تعطيل أسماء الله تعالى وصفاته وأفعاله بالمقاييس الباطلة، والقواعد الكلامية الساقطة، التي جاء بها الجهمية والمعتزلة ومن نحا نحوهم.  
 النوع الرابع: الرأي الذي يرجع إلى الابتداع في الدين، وتغيير السنن وهجرها، فإن جميع البدع من قبيل الرأي المذموم، إذ مبناها على استحسان عقلي في مقابلة الشرع.

1- روى ابن عبد البر في «الجامع» (2/1050)، ومواضع أخرى) أن عبدان بن عثمان قال: سمعت ابن المبارك يقول: «لَيْكُنِ الَّذِي تَعْتَمِدُ عَلَيْهِ هُوَ الْأَثَرُ وَخُذْ مِنَ الرَّأْيِ مَا يُفَسِّرُ لَكَ الْحَدِيثَ».

2- «الفتح» (13/282).

3- وما أكثرهم في زماننا، لا أكثرهم الله.

## ذم الرأي المخالف للشريعة

لقد تواترت النُّقول عن السلف -من الصحابة والتابعين فمن بعدهم- في ذم الرأي الباطل الذي يدخل في الأنواع التي سبق بيانها، ومن ذلك:  
قول عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «السُّنَّةُ مَا سَنَّه اللهُ وَرَسُولُهُ، لَا تَجْعَلُوا خَطَأَ الرَّأْيِ سُنَّةً لِلْأُمَّةِ»<sup>(1)</sup>.

وعقد البخاري رَحِمَهُ اللهُ فِي «صحيحه»<sup>(2)</sup> بابا سماه: «باب ما يُذكر من ذمِّ الرأي وتكليف القياس، ﴿وَلَا نَقْفُ﴾ لا تَقْلُ: ﴿مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ [الإسراء: 36]»، ثم ساق بابا آخر<sup>(3)</sup> قال فيه: «باب ما كان النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُسألُ مِمَّا لم يُنزل عليه الوحي، فيقول: «لا أدري»، أو لم يُجب حتى يُنزل عليه الوحي، ولم يقل برأي ولا بقياس لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿بِمَا أَرْنَاكَ اللهُ﴾ [النساء: 105]، وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ: سُئِلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الرُّوحِ فَسَكَتَ حَتَّى نَزَلَتِ الْآيَةُ».

ومصطلح أهل الرأي مشتهر في علمي: العقيدة والفقهِ<sup>(4)</sup>، فأما العقيدة: فالمراد به أهل الكلام المبتدع، الذين يُقدم أصحابه العقل على النقل، وخالفوا عقيدة الصحابة

1- «جامع بيان العلم» (2/1047). وانظر فيه أيضا: (2/1041)، ومواضع أخرى) قول عمر: «أَصْبَحَ أَهْلُ الرَّأْيِ أَعْدَاءَ السُّنَنِ، أَعْيَنَهُمُ الْأَحَادِيثُ أَنْ يَعُوهَا، وَتَفَلَّتْ مِنْهُمْ أَنْ يَرُوهَا، فَاسْتَبَقُوهَا بِالرَّأْيِ».

2- قال ابن حجر في «فتح الباري» (13/288): «فالرأي إذا كان مستندا إلى أصل من الكتاب أو السنة أو الإجماع فهو المحمود، وإذا كان لا يستند إلى شيء منها فهو المذموم». انتهى. وانظر: «الموافقات» (4/285).

3- «الفتح» (13/290).

4- انظر: «جامع بيان العلم» (2/1052)، و«الاعتصام» (3/179).

والأنبياء بفلسفة الإغريق وزُبالات الآراء.

قال صاحب هذا النظم الإمام أبو بكر بن أبي داود رَحِمَهُ اللهُ: «أَهْلُ الرَّأْيِ هُمْ أَهْلُ الْبِدْعِ»<sup>(1)</sup>.

وعن الشَّعْبِيِّ قَالَ: «إِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ حِينَ تَشَعَّبَتْ بِهِمُ السُّبُلُ وَحَادُوا عَنِ الطَّرِيقِ، فَتَرَكُوا الْأَثَارَ وَقَالُوا فِي الدِّينِ بِرَأْيِهِمْ، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا»<sup>(2)</sup>.  
وحال هؤلاء كما قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ:

إِنْ قُلْتَ: قَالَ اللهُ قَالَ رَسُولُهُ فَيَقُولُ جَهْلًا: أَيْنَ قَوْلُ فُلَانٍ  
وأما إطلاق الرأي في علوم الفقه، فالأشهر أن مصطلح «أهل الرأي» يُطلق على أصحاب الإمام أبي حنيفة النعمان رَحِمَهُ اللهُ، ممن توسع في باب القياس، حتى قدّموا آراءهم على بعض النصوص الشرعية الثابتة، وهم بالمقابل يَحْتَجُونَ على آرائهم بالواهي من النصوص، كما كَثُرَ في فقههم الجِدال، وتوليد المسائل قبل وقوعها.<sup>(3)</sup>

قلت: ولا يعني هذا الكلام في ذم الرأي أن أهل السنة ينكرون الرأي مُطْلَقًا، وإنما يقولون: «الرأي تابع للنص، وليس النص هو الذي يتبع الرأي»، بخلاف أهل البدع القائلين: «النص شاهد والعقل حاكم، فما عدله القاضي قُبِلَ أي ما حَكَمَ بصحته الرأي من النصوص قُبِلَ وإلا فلا». وردُّ هذا الباطل مبثوث في نصوص الشريعة

1- انظر: «جامع بيان العلم» (2/1042)، و«الاعتصام» (3/178، 302).

2- رواه ابن عبد البر في «الجامع» (2/1042)، وذكره الشاطبي في «الاعتصام» (3/179) عن الحسن.

3- انظر: «الفتاوى الكبرى» (5/138)، و«جامع العلوم والحكم» (1/263)، وفصولا نافعة في كتاب

«النبذ في آداب طالب العلم» (ص 53-73)، للشَّيخ حمد العثمان.

وكلام السلف ومن تبعهم من علماء الأمة، ومن أوسع من فند هذه الفرية شيخ الإسلام في كتابه العُجاب: «درء تعارض العقل والنقل».

قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ<sup>(1)</sup>: «ومن العَجَب: أن أهل الكلام يزعمون أن أهل الحديث والسنة أهل تقليد، ليسوا أهل نظر واستدلال، وأنهم يُنكروُن حُجَّةَ العقل. وربما حُكِيَ إنكارُ النظر عن بعض أئمة السنة، وهذا مما يُنكرونه عليهم.

فيقال لهم: ليس هذا بحق. فإنَّ أهل السنة والحديث لا يُنكرون ما جاء به القرآن، هذا أصل متفق عليه بينهم. واللهُ قد أمر بالنظر والاعتبار والتفكير والتدبر في غير آية، ولا يُعرف عن أحد من سلف الأمة ولا أئمة السنة وعلمائها أنه أنكر ذلك، بل كلُّهم متفقون على الأمر بما جاءت به الشريعة من النَّظر والتفكير والاعتبار والتدبر وغير ذلك، ولكنهم أنكروا ما ابتدعه المتكلمون من باطلٍ نَظَرِهم، وكلامهم، واستدلالهم، فاعتقدوا أنَّ إنكارَ هذا مُستلزمٌ لإنكارِ جنس النَّظر والاستدلال...

والعَجَبُ أنَّ من هؤلاء من يُصرِّح بأن عقله إذا عارضه الحديث حمل الحديث على عقله وصرَّح بتقديمه على الحديث، وجعل عقله ميزانا للحديث، فليت شعري هل عقله هذا كان مَصْرَحًا بتقديمه في الشريعة المحمدية فيكون من السبيل المأمور باتباعه؟ أم هو عقلٌ مُبتدعٌ جاهلٌ ضالٌّ حائرٌ خارجٌ عن السبيل؟ فلا حول ولا قوة إلا بالله». انتهى.

1- «الفتاوى» (4/55)، باختصار وتصرف. وانظر ما يتعلق بموضوع الرأي: محمودا كان أو مذموماً في

«إعلام الموقعين» (2/97-158).

## التحذير من الطعن في أهل الحديث والأثر

قال الناظم بعدها:

**وَلَا تَكُ مِنْ قَوْمٍ تَلَّهَوْا فَتَطْعَنَ فِي أَهْلِ الْحَدِيثِ**

فقوله: (وَلَا تَكُ مِنْ قَوْمٍ)، يعني بهم أهل الاعتزال، وأهل الرفض والوبال، وأهل الكلام المحدث، ممن اكتفى بالمعقول عن المنقول، واستبدل الذي أصله الفلاسفة بجاء به الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ<sup>(1)</sup>.

قال أبو بكر السمرقندي: «كان مشايخنا يُسمونَ أبا بكر بن إسماعيلَ أبا ثمودَ، لأنه كان من أصحاب الحديث، فصار من أصحاب الرأي. يقول الله تعالى: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ﴾ [فصلت: ١٧]»<sup>(2)</sup>.

وهؤلاء القوم وصفهم الناظم بأنهم: (تَلَّهَوْا) أي تلاعبوا (بدينهم) الذي أمروا بتعظيم شعائره، وحفظ حدوده.

واللَّهُوُ: ما يشغل الإنسان عما يعنيه ويهمه<sup>(3)</sup>.

ومن آثار هذا اللهُو واللعب بالدين الطعنُ في أهل الحق، ولهذا قال الناظم بعدها: (فَتَطْعَنَ)، أي: تقع وتخوض، (في أهلٍ)، أي: أصحاب (الحديث): علماً وعملاً، صدقاً

1- انظر: «لوائح الأنوار» (2/ 345، وما بعدها).

2- رواه الخطيب في «شرف أصحاب الحديث» (ص 75).

3- «مفردات القرآن» (ص 748)، للراغب الأصفهاني. وانظر: «مقاييس اللغة» (5/ 213)، و«النهاية»

(5/ 213، لها)، و«المصباح المنير» (2/ 559).

واتباعاً، الذين جعلوا من الوحيين مصدرًا للتلقي، فبلغوا بذلك منازل البر والترقي،  
**(وتقدح)**، أي: في عدالتهم وصدقهم، وتنسبهم إلى ما هم بريئون منه من الغلط  
والكذب والتخليط وعدم الحفظ والفهم، مع كونهم حفاظاً عدولاً، مقبولي الرواية،  
معلومي العدالة، صادقي الاتباع ظاهراً وباطناً.

ومن علامات الصدق واتباع السنة حب أصحاب الحديث، ولهذا قال الخطيب  
البغدادي في كتابه «شرف أصحاب الحديث»<sup>(1)</sup>: «باب الاستدلال على أهل السنة  
بِحُبِّهِمْ أَصْحَابَ الْحَدِيثِ»، ثم قال: «الاستدلال على المُبتدِعَةِ بِبُغْضِ الْحَدِيثِ وَأَهْلِهِ»،  
ثم ساق بإسناده عن أحمد بن سنان القطن أنه قال: «ليس في الدنيا مبتدع إلا وهو  
يُبغض أهل الحديث، فإذا ابتدع الرجل نزع حلاوة الحديث من قلبه»، إلى غير ذلك من  
الآثار في الباب.

وأنشد أبو مزاحم الخاقاني<sup>(2)</sup>:

أَهْلُ الْكَلَامِ وَأَهْلُ الرَّأْيِ قَدْ      عَلِمَ الْحَدِيثَ الَّذِي يَنْجُو بِهِ  
لَوْ أَنَّهُمْ عَرَفُوا الْآثَارَ مَا انْحَرَفُوا      عَنْهَا إِلَى غَيْرِهَا، لَكِنَّهُمْ جَهَلُوا

1- (ص 71).

2- «شرف أصحاب الحديث» (ص 79).

### سبب تسمية أهل السنة بأهل الحديث، وبيان مكانتهم

وقد بينَ اللالكائي رَحْمَهُ اللهُ سببَ تسمية أهلِ السنة بأهلِ الحديث، فقال<sup>(1)</sup>: «كُلُّ مَنْ اعتقد مذهبًا فإلى صاحبِ مقالته التي أحدثها يُنسب، وإلى رأيه يَسْتَد، إلا أصحابَ الحديث، فإن صاحبَ مقالَتهم رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فهم إليه يَتَسَبون، وإلى علمه يَسْتَدون، وبه يَسْتَدُّون، وإليه يفزعون، وبرأيه يَقتدون، وبذلك يفتخرون، وعلى أعداءِ سُنَّته بِقربهم منه يَصُولون، فمَنْ يُوازِيهم في شرفِ الذكر، ويُبَاهِيهم في ساحةِ الفخرِ وعلوِّ الاسمِ؟».

ثم ذكر أن اسم أهلِ الحديث مأخوذ من معاني الكتاب والسنة، لتحقيقهم بهما، أو لاختصاصهم بأخذهما، فقال: «هم مُتَرَدِّدون في انتسابهم إلى الحديث بين ما ذَكَرَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي كتابه، فقال تعالى ذِكْرُهُ: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ ﴿ الزمر: ٢٣﴾، فهو القرآن، فهم حَمَلَةُ القرآن وأهله وَقُرَاؤُهُ وَحَفَظَتُهُ، وبين أن يَتَمَمُوا إلى حديثِ رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فهم نَقَلَتُهُ وَحَمَلَتُهُ، فلا شكَّ أنهم يَسْتَحِقُّونَ هذا الاسمَ لوجود المعنيين فيهم».

ثم بينَ علوَّ منزلتهم وشرفَ مكانتهم، فقال رَحْمَهُ اللهُ: «والحمد لله الذي كَمَّلَ لهذه الطائفةِ سهامَ الإسلام، وشرفَهم بِجوامِعِ هذه الأقسام، وميَّزهم من جميع الأنام، حيث أَعَزَّهُم اللهُ بِدينه، وَرَفَعَهُم بِكتابِه، وَأَعْلَى ذِكْرَهُم بِسُنَّتِه، وهداهم إلى طريقته وطريقته رسولُه، فهي الطائفةُ الْمَنْصُورَةُ، والفرقةُ النَّاجِيَةُ، والعصبةُ الْهَادِيَةُ، والجماعةُ الْعَادِلَةُ

1- «شرح أصول الاعتقاد» (1/ 24)

الْمُتَمَسِّكَةَ بِالسُّنَّةِ، التي لا تريد برسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بديلاً، ولا عن قوله تَبْدِيلًا، ولا عن سُنتِهِ تَحْوِيلًا، ولا يُثْنِيهِمْ عنها تَقَلُّبُ الأَعْصَارِ والزمان، ولا يَلْوِيهِمْ عن سَمْتِهَا تَغْيِيرُ الحَدَثَانِ». انتهى.

ولهذا جمع أهل الحديث بين العلم والعمل، وحسن الاتباع في الظاهر، وصدق النية في الباطن، فهم أحسنُ الناسِ سيرةً، وأنقاهم سريرةً، وأزهدهم في الدنيا، وأرغبهم في الآخرة، وفي هذا روى الخطيب البغدادي عن بعض السلف أنه قال: «من أراد عِلْمَ القَبْرِ فعليه بالأثر، ومن أراد عِلْمَ الخُبْزِ فعليه بالرأي»<sup>(1)</sup>، وقصده بعلم القبر: العلم النافع الذي يجد صاحبه أثره في الآخرة، وعلم الخبز: هو العلم الذي لا ينفع عند الله، وإنما يأكل أصحابه به الخبز في الدنيا، لأنهم تحايَلوا به على شرع الله تعالى، ولا يجدون آثاره الحميدة في الآخرة.<sup>(2)</sup>

وروي عن هارون الرشيد أنه قال: «المروءة في أصحاب الحديث، والكلام في المعتزلة، والكذب في الروافض».<sup>(3)</sup>

وهذا الكلام من الناظم رَحِمَهُ اللهُ شامل لأهل البدع، وأهل الفسق والفجور، فإن الجميع يشتركون في الطعن والعيب والخط من أهل الحق، وهذا من جهلهم بدين الله

1- «شرف أصحاب الحديث» (ص 75).

2- وقد تكلمت عن أثر العلم النافع، والفرق بين العلماء العاملين وغيرهم من علماء السوء، في كتابي: «سبيل النجاة في فضائل العلم والعمل»، يسر الله مراجعته، وإخراجه. آمين.

3- «شرف أصحاب الحديث» (ص 78).

وسنة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومن جهل شيئاً عاداه.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ

يَتَغَامِرُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ ﴿٣١﴾ [المطففين: ٢٩ - ٣١].

ولو كان القوم أهل حقٍّ وحُجَّةٍ لنا فحُوا عنه بالبرهان، ولقابَلُوا الحُجَّةَ بالحُجَّةَ،  
والدليل بالدليل، ولكن لا حيلة للعاطل المُفلسِ إلا التَّهْكُمَ والسُّخْرِيَةَ والاستهزاء،  
ومن علامات أهل الأهواء والبدع: الوقيعَةُ في أهل الحديث والأثر.<sup>(1)</sup>

قلت: ومن تأمل الساحة الدعويَّة في السنوات الأخيرة وجد أنَّ كثيرًا من أهل  
السنة ناهم الأذى من إخوانهم الذين يشتركون معهم في العقيدة والمنهج الحق، أكثر مما  
ناهم من أهل الأهواء والأحزاب المنحرفة، وما ذلك إلا لغلبة الهوى والجهل والخروج  
عن سبيل أهل العلم والعقل والعدل، والله المستعان في أن يُصلِحَ أحوال المسلمين أينما  
كانوا.



1- «التحفة السنية» (ص 112)، بتصرف. وانظر: «شرح أصول الاعتقاد» (1/ 197).

## خاتمة الشرح

ثم ختم الناظم رَحْمَهُ اللهُ قصيدته بقوله:

**إِذَا مَا اعْتَقَدْتَ الدَّهْرَ يَا صَاح** **فَأَنْتَ عَلَى خَيْرِ تَبِيْتٍ وَتُصْبِحُ**

فقوله: (إِذَا مَا اعْتَقَدْتَ)، من الاعتقاد، وهو الإيمان الجازم بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره، وبكل ما جاء في القرآن الكريم والسنة الصحيحة من أصول الدين، وسائر الغيبات، مما يُعَقَدُ عليه القلب، على وجه لا يخالطه شك، ولا يُكَدِّرُهُ رَيْبٌ.

(الدَّهْرُ): أي طيلة حياتك، فَإِنَّ هذه الأصول منهج حياة، يجب أن ينعقد عليها القلب طيلة الحياة، وحتى الممات.

فإِنَّ هذه العقيدة لا تُعْتَقَدُ في مكان دون مكان، ولا في زمان دون زمان، لأنَّها لُبُّ الإيمان، وبما أَنَّ الإيمانَ جَنَّةُ الدنيا التي مَنْ لم يدخلها لم يدخل جَنَّةَ الآخرة، وَمِنَ المعلوم أَنَّ نَعِيمَ جَنَّةِ الآخرة لا يَفْنَى، فإذا دَخَلَهَا العبد لا يُفَارِقُهَا أبداً، فكذلك يَنْبَغِي للمُسلِمِ ألاَّ يُفَارِقَ جَنَّةَ الدنيا طِيلَةَ دَهْرِهِ، وهي الإيمان والعقيدة الصحيحة.

(يا صَاح): مُرَحَّمُ صَاحِبٍ، فالعرب تقول في النداء: يا صاح، أي: يا صاحبي، ولا يجوز ترخيم المضاف إلا في هذا وحده، سُمِعَ من العرب مُرَحَّمًا.<sup>(1)</sup>

وهذا من لطف الناظم رَحْمَهُ اللهُ، وَحُسْنُ تَوَدُّدِهِ، وَكَرِيمُ نُصْحِهِ، رَحْمَهُ اللهُ وَغَفِرَ

1- انظر: «لسان العرب» (1/ 521) (9/ 14). والترخيم في الاصطلاح: حذف أواخر الكلم في النداء، نحو

«يا سعا»، والأصل «يا سعاد». انظر: «شرح ابن عقيل على الألفية» (3/ 287)

له. (1)

**(هذه):** إشارة إلى هذه الأصول المذكورة في هذه المنظومة، فإنه ضمَّنَهَا جُمْلَةً صالحةً من مسائل الاعتقاد المهمة التي قد خالف فيها أكثرُ الناس من المعتزلة والقدرية والجبيرية والخوارج والروافض والمرجئة والجهمية والفلاسفة والملاحدة ومن نحا نحوهم. (2)

### فضل الحياة على عقيدة أهل السنة والجماعة

**(فَأَنْتَ عَلَى خَيْرٍ):** ومستمر على هدى، لتمسكك بالمأثور، واعتقادك ما كان عليه السلف الصالح من الصحابة والتابعين لهم بإحسان، نَجَوْتَ من الشبهات والبدع في الدنيا، وحرَّيْتُ بك أن تَنْجُوَ من النار يوم القيامة.

وأشار الناظم إلى دَيْمُومَةِ هذا الخير، فقال: **(فَأَنْتَ عَلَى خَيْرٍ تَبَيَّتُ):** في أمن، مُطْمَئِنِّ القلب، سألِمًا من شكوك المتكلمين، وظنون المتحدِّقين، قد اتبعت المأثور، واقتفَيْتَ سَبِيلَ الرَّعِيلِ الأوَّل، والصَّدْرَ الذي عليه المَعْوَل، والفضل لله وحده.

**(وتصبحُ):** كذلك في أمن وأمان وطمأنينة، قد أَلْجأتَ ظهرك وأسندته إلى رُكنٍ وثيق، وأدخلت قلبك في حِصْنٍ حَصِين، وفي هذا يقول ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ<sup>(3)</sup>: «التوحيدُ

1- «التحفة السننية» (ص 115). وانظر: «لوائح الأنوار» (2/ 367).

2- انظر: «لوائح الأنوار» (2/ 367).

3- «بدائع الفوائد» (2/ 245). وفي «اجتماع الجيوش الإسلامية» (2/ 38) و«الصواعق المرسله»

(4/ 1255): «السنة حصن الله الحصين الذي من دخله كان من الأمنين». وفي «الجواب الكافي» (ص 75):

«فإن الطاعة حصن الله الأعظم...».

حِصْنُ اللَّهِ الْأَعْظَمُ الَّذِي مَنْ دَخَلَهُ كَانَ مِنَ الْأَمِينِ». انتهى.

وفي نسخة: (تُصْبِحُ وَتُصْبِحُ)، أي: فما دمت متمسكًا بهذه الأصول فنهارك خيرًا، وليلك خيرًا، وحياتك كلها خيرًا.

فإنَّ هذه العقيدة المباركة، مصدر لكل خير، إذ هي: <sup>(1)</sup>

- أساس الدين، وروح الملة، وعليها مدار قبول الأعمال، وزكاة القلب.
- ومصدر القوة القلبية، فإنَّ العقيدة الصحيحة خير دافع ومحرك للعمل، كما مرَّ بيانه عند الكلام على عقيدة أهل السنة في حقيقة الإيمان.
- وأمان من الوقوع في البدع والضلالات.
- وعصمة من سوء الخاتمة، والموت على دين أهل الشهوات والشبهات.
- وسبب الأمن والاهتداء في الدنيا والآخرة، فعلى قدر تحققها في القلب وترجمتها عمليا في واقع الحياة يحصل للعبد من ذلك نصيبه في الأمن والاهتداء.

1- انظر: «مذكرة العقيدة» (ص 17-19)، لمكي، و«المدخل لدراسة العقيدة الإسلامية» (ص 62-76)، للبريكان، و«التوضيحات الجلية» (1/36-40)، و«موسوعة العقيدة» (4/2093)، والمراجع في بيان فضل وخصائص عقيدة أهل السنة والجماعة كثيرة.

## أهل الباطل يريدون إضعاف أهل السنة بيث الشائعات والتُّهم بينهم

قال الناظم في آخر هذه القصيدة المباركة: «هذا قولي، وقول أبي، وقول أحمد بن حنبل رَحِمَهُ اللهُ، وقول من أدركنا من أهل العلم، وقول من لم ندرك من أهل العلم ممن بلغنا قوله، فمن قال عليّ غير ذلك فقد كَذَبَ».

فقد اتُّهم الناظم أبو بكر بن أبي داود رَحِمَهُ اللهُ تعالى بالنَّصب<sup>(1)</sup>، أي: بنصب العداة لآل بيت النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فبيّن في هذه المنظومة الرائقة أن عقيدته هي عقيدة المسلمين، وهي عقيدة الصحابة والتابعين، وهي عقيدة الأنبياء والمرسلين، في مسائل صفات الله جل وعلا وأسمائه، وسائر مباحث الاعتقاد والأمر الغيبية.

فمن قال على المصنّف غير ذلك فقد كَذَبَ وافترى عليه، ولا أدلّ على ذلك من هذه «المنظومة الحائية» التي كتب الله لها القبول بين المسلمين.

قلت: وقد اتُّهم جماعةٌ من أئمة الهدى قديما وحديثا، وقد تكلمت عن هذا في مقدمة شرحي لكتاب السنة للإمام المزني رَحِمَهُ اللهُ، فإنه اتُّهم بالوقوف في القرآن، وهو منه براء براءة الذئب من دم ابن يعقوب.

ولهذا كتب رسالته المعروفة في السنة، وكان مما قلتُ في ذلك الموطن: «وكم من رجل على السنة طعن فيه، ونيل منه، بل وهجرَ وبدّع، بسبب كلمة: (بلغني، وقيل، وحدثني الثقة)، وإذا جئتُ تبحث عن حقيقة الأمر، وجدتها كذبيّة، صارت مع الأيام

1- ومن دافع عن الناظم بحجة وإنصاف العلامة عبد الرحمن بن يحيى المعلمي رَحِمَهُ اللهُ في «التنكيل بما في

تأنيب الكوثري من الأباطيل» (2/ 516-524).

فرية، أو حقيقة زيد فيها ونقص، حتى صارت تُهمّة... والله الموعِد!».

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ<sup>(1)</sup>: «وما أكثر ما ينقل الناس المذاهب الباطلة عن العلماء بالأفهام القاصرة». وقال<sup>(2)</sup>: «سوء الفهم عن الله ورسوله أصل كل بدعة وضلالة نشأت في الإسلام، بل هو أصل كل خطأ في الأصول والفروع ولا سيما إن أضيف إليه سوء القصد، فيتفق سوء الفهم في بعض الأشياء من المتبوع مع حسن قصده وسوء القصد من التابع، فيا محنة الدين وأهله والله المستعان». انتهى.

ويقول شيخ الاسلام<sup>(3)</sup>: «وكلام الله ورسوله وكلام العلماء مملوء بما يفهم الناس منه معنى فاسداً، فكان العيب في فهم الفاهم لا في كلام المتكلم الذي يخاطب جنس الناس». انتهى.

ومن تحيّل نفسه لحظة مكان المُفترى عليه، علمَ شدة الأذى في ذلك، و«لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ، حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ»<sup>(4)</sup>، ومفهومه: أن يكره لأخيه ما يكره لنفسه، وفي هذا يقول ابن حزم الأندلسي رَحِمَهُ اللهُ<sup>(5)</sup>: «من أراد الإنصاف فليتوهم نفسه مكان خصمه، فإنه يلوح له وجهه تعسّفه». انتهى.

1- «مدارج السالكين» (2/ 403).

2- «الروح» (ص 85).

3- «الرد على البكري» (ص 342).

4- رواه البخاري (13)، ومسلم (45).

5- «الأخلاق والسير» (ص 82).

وقال ابن رجب الحنبلي<sup>(1)</sup>: «من نَسَبَ إلى أئمة الإسلام ما لم يقولوه، أو ما عَلِمَ أنهم يقولون خلافه، فإنه كاذب يستحق العقوبة على ذلك». وقال رَحْمَةُ اللَّهِ<sup>(2)</sup>: «إذا صار شغلك الردَّ على أئمة المسلمين، والتفتيش عن عُيوب أئمة الدين: فإنك لا تزداد لنفسك إلا عُجبا، ولا لطلب العلو في الأرض إلا حبا، ومن الحق إلا بعدا، وعن الباطل إلا قربا...». انتهى.

ولما عَرَضَ ابنُ الجوزي رَحْمَةُ اللَّهِ لِمَنْ ضَلَّ مِنَ المنتسبين للعلم والزهد، قال<sup>(3)</sup>: «فأول عقوباتهم: إعراضهم عن الحق شغلا بالخلق. ومن خفيَّ عقوباتهم: سلب حلاوة المناجاة، ولذة التعبد...». انتهى.

وقال ذهبيُّ العصر العلامة المَعْلَمي رَحْمَةُ اللَّهِ<sup>(4)</sup>: «وإنك لتجد من المنتسبين إلى العلم، من يحرص على تخطئة غيره من العلماء ولو بالباطل، حسدا منه لهم، ومحاولة لحط منزلتهم عند الناس...». انتهى. والكلام في هذا الباب يطول، وفيما ذَكَرْتُ كِفاية لمن أراد أن يَعْتَبِرَ.

ولنعُد إلى قول أبي بكر بي أبي داود: «هذا قولي، وقول أبي، وقول أحمد بن حنبل رَحْمَةُ اللَّهِ، وقول من أدركنا من أهل العلم، وقول من لم ندرك من أهل العلم ممن بلغنا

1- «الرد على من اتبع غير المذاهب الأربعة»، ضمن «مجموع رسائله» (2/ 627).

2- نفس المصدر (2/ 635).

3- «صيد الخاطر» (ص 27).

4- «القائد إلى تصحيح العقائد» (ص 13).

قوله، فمن قال عليّ غير ذلك فقد كذب».

وفي الحقيقة، من قال بخلاف هذه العقيدة، فإنها غلطه راجع إلى أمرين:  
الأمر الأول: من جهة الدليل، فقد اعتمد على ما لا يُعوّل عليه من النصوص والأقوال.

والأمر الثاني: من جهة الاستدلال، وهذا له أسباب كثيرة كالجهل، والهوى، واتباع آراء الرجال، وترك الكتاب والسنة، وغير ذلك من الصّوّارِف عن التوفيق للحق.  
وفي آخر هذا الشرح، أقول كما قال الناظم أبو بكر بن أبي داود رَحْمَةُ اللَّهِ: «هذا قولي، وقول مشايخي من أهل السنة ممن أدركت، ومن بلغني النقل عنهم، فمن نسب إليّ غير هذا، فقد كذب».

أسأل الله أن يُحييني وإياك -أيها القارئ- على التوحيد والسنة، وأن يتوفانا على التوحيد والسنة، وأن يحشرنا في زمرة المتقين، من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقا. آمين.

وكتب (1)

الصغير بن عمّار



1- وتَمَّ الانتهاء من مُراجَعَتِهِ ظهر الأحد الثاني من محرم لعام 1441، الموافق لِعُرَّة سبتمبر 2019، بمدينة

«ليون» بفرنسا.

## كتب ينصح بها المؤلف في بعض المسائل عقدية

### كتب في مسألة الكلام والرد على القائلين بالكلام النفسي

«رسالة السجزي إلى أهل زيد في الرد على من أنكر الحرف والصوت»، للسجزي.  
«التسعينية»، لابن تيمية.

### كتب في مسألة رؤية الله يوم القيامة

«رؤية الله» للدارقطني، و«رؤية الله»، لابن النحاس.

### كتب في مسألة النزول الإلهي

«كتاب النزول» للدارقطني، و«شرح حديث» النزول لابن تيمية.

### كتب في مناقب العشرة المبشرين بالجنة

«كتاب المناقب» من كتب السنة، و«الرياضُ النَّصْرَةَ في مناقبِ العَشْرَةِ»، للمُحِبِّ الطَّبْرِي، و«مختصر السيرة»، لعبد الغني المقدسي.

### كتب في عدالة الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ

«عدالة الصحابة رضي الله عنهم في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية ودفع الشبهات»، لعماذ الشرييني، و«عدالة الصحابة رضي الله عنهم عند المسلمين»، لمحمد الفهداوي.

### كتب في النهي عن سب الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ

«النهي عن سب الأصحاب وما فيه من الإثم والعقاب»، للضياء المقدسي، و«شم العوارض في ذم الروافض»، لملا علي القاري، و«صب العذاب على من سب الأصحاب»، لمحمود شكري الألوسي.

### كتب في فضائل الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ

«فضائل الصحابة»، للنسائي، والدارقطني، و«الإنصاف في فضائل الصحابة الأشراف»، لابن البناء،

ومن أفضلها وأقدمها «فضائل الصحابة»، للإمام أحمد ابن حنبل.  
وفي المعاصرين كتاب حافل بعنوان: «الأحاديث الواردة في فضائل الصحابة رضي الله عنهم»، لسعود الصاعدي، وكتاب «خير الناس»، لحمد العثمان.

### كتب في القضاء والقدر

«القدر» لابن وهب وللغريابي، و«القضاء والقدر»، للبيهقي، و«تائية القدر»، لابن تيمية، مع شروحها (ومن ذلك شرح ابن سعدي «الدرة البهية»)، و«شفاء العليل»، لابن القيم، و«رفع الشبهة والغرر عمّن يحتج على فعل المعاصي بالقدر»، لمرعي الكرمي... وفي المعاصرين: «القضاء والقدر»، لابن عثيمين، والأشقر، وآل محمود.

### كتب في ضوابط وقواعد التكفير

«التحرير في بيان أحكام التكفير»، للسناني، و«التقرير في حكم وخطورة التكفير والتفجير» لسليمان أبا الخيل، و«ضوابط التكفير»، لعبد الله القرني.

### كتب في صفة العرش

«العرش»، لابن أبي شيبة، والذهبي، و«الرسالة العرشية»، لابن تيمية.

### كتب في الرد على الخوارج وأتباعهم قديماً وحديثاً

«الشرعة»، للآجري، و«الإبانة»، لابن بطة، و«أصول اعتقاد أهل السنة لجماعة»، للالكائي، و«منهاج السنة»، لابن تيمية، و«الدرر السنية لعلماء الدعوة النجدية»، و«مناصحة الإمام وهب بن منبه لرجل تأثر بمذهب الخوارج»، وفتاوى علمائنا المعاصرين: ك«فتاوى اللجنة»، وابن باز، وابن عثيمين، والألباني، وغيرهم ممن حارب هذا الفكر الضال، وفضح ما عليه رؤساؤه من جهل وبهتان.  
وهناك دراسات خاصة -لا على سبيل الحصر-، ومن ذلك: «الخوارج والفكر المتجدد»، للبيكان، «حقيقة الخوارج في الشرع وعبر التاريخ»، للجاسم، و«القطوف الجياد من حكم وأحكام الجهاد»،

لعبد الرزاق العباد، و«شر قتلى تحت أديم السماء: كلاب أهل النار»، للحرثي، و«ثلاثون علامة تدل على أن هؤلاء المخربين خوارج»، لشيخنا بدر العتيبي، و«الجهاد أنواعه وأحكامه والحد الفاصل بينه وبين الفوضى»، لحمد العثمان، و«تأثر الخوارج المعاصرين بأصول الخوارج المتقدمين»، للفهيد، و«الأحاديث المسندة في الواردة في الخوارج وصفاتهم: جمعا ودراسة»، للأمين، و«مدارك النظر في السياسة بين التطبيقات الشرعية والانفعالات الحماسية»، و«فتاوى العلماء الأكابر في ما أهدر من دماء في بلاد الجزائر»، و«تخليص العباد من وحشية أبي قتادة»، و«تميز ذوي الفطن بين شرف الجهاد وسرف الفتن»، و«طلیعة الحوار الدارج بين السنة والخوارج»، وجميعها لعبد المالك الرمضاني (وهو متميز في هذا الباب)، و«الإرهاب وأثره على الأفراد والأمم»، لزيد المدخلي، و«بأي عقل ودين يكون التفجير والتدمير جهاداً؟!»، لعبد المحسن العباد، و«الرد على كتب مشبوهة»، لمحمد بازمول، و«تبيد كواشف العنيد في تكفيره لدولة التوحيد»، في الرد على المقدسي، للريس، و«الخوارج أول الفرق في تاريخ الإسلام»، لناصر العقل.

ومن آخرها وأشملها في الباب: «القصة الكاملة لخوارج عصرنا»، للمحيميد، وهو استقراء لأكثر من ألفي كتاب ورسالة ومقال لمنظري خوارج العصر.

### كتب في تأصيل مسألة الإيمان والرد على شبهات المخالفين

«الإيمان»، لابن أبي شيبة، ولأبي عبيد القاسم بن سلام، ولابن منده، ولابن تيمية (وهو في الجزء 7 من «الفتاوى»)، و«تعظيم قدر الصلاة»، للمروزي، و«التوضيح والبيان لشجرة الإيمان»، لابن سعدي، و«زيادة الإيمان ونقصانه والاستثناء فيه»، لعبد الرزاق العباد، و«أسئلة وأجوبة في الإيمان والكفر»، للراجحي، و«جواب في الإيمان ونواقضه»، و«أقوال ذوي العرفان في أن أعمال الجوارح داخله في مسمى الإيمان»، للسناني، و«مسألة الإيمان»، للشبل، و«الإيمان بين السلف والمتكلمين»، للغامدي، و«الإيمان: حقيقته، حوارمه، نواقضه عند أهل السنة والجماعة»، للأثري، و«الإيمان عند السلف»، لآل خضير، وهو كتاب جيد في بابه.

## كتب في الدفاع عن أهل الحديث

«شرف أصحاب الحديث»، للخطيب البغدادي، و«الانتصار لأصحاب الحديث»، للسمعاني، و«العواصم والقواصم»، لابن الوزير، و«الانتصار لأهل السنة والحديث»، لعبد المحسن العباد، و«مكانة أهل الحديث ومآثرهم وآثارهم الحميدة في الدين»، و«أهل الحديث هم الطائفة المنصورة والفرقة الناجية»، لربيع المدخلي.



## فهرس المصادر والمراجع

1. الإبانة الكبرى، أبو عبد الله عبيد الله بن محمد بن محمد بن حمدان العُكْبَرِي المعروف بابن بَطَّة العكبري (المتوفى: 387هـ)، المحقق: رضا معطي، وعثمان الأثيوبي، ويوسف الوابل، والوليد بن سيف النصر، وحمد التويجري، الناشر: دار الراية للنشر والتوزيع، الرياض.
2. الإبانة عن أصول الديانة، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري (المتوفى: 324هـ)، المحقق: د. فوقية حسين محمود، الناشر: دار الأنصار - القاهرة، الطبعة: الأولى، 1397.
3. الآثار الواردة عن أئمة السنة في أبواب الاعتقاد كتاب سير أعلام النبلاء للإمام الذهبي: جمعاً وتخریجاً ودراسة، جمال بن أحمد بن بشير بادين، الناشر: دار الوطن.
4. إثبات عذاب القبر وسؤال الملكين، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسرَوُجَرْدِي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: 458هـ)، المحقق: د. شرف محمود القضاة، الناشر: دار الفرقان - عمان الأردن، الطبعة: الثانية، 1405 هـ.
5. اجتماع الجيوش الإسلامية على حرب المعطلة والجهمية، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية (751 هـ)، المحقق: زائد بن أحمد النشيري، الناشر: دار عالم الفوائد - مكة المكرمة، الطبعة: الأولى، 1431 هـ.
6. الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (المتوفى: 276هـ)، المحقق: عمر بن محمود أبو عمر، الناشر: دار الراية، الطبعة: الأولى 1412 هـ - 1991 م.
7. الأخلاق والسير في مداواة النفوس، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (المتوفى: 456هـ)، الناشر: دار الآفاق الجديدة - بيروت، الطبعة: الثانية، 1399 هـ -

1979 م.

8. الآداب الشرعية والمنح المرعية، عبد الله محمد بن مفلح المقدسي (المتوفى: 763 هـ)، المحقق: شعيب الأرنؤوط - عمر القيام، الناشر: مؤسسة الرسالة، سنة النشر: 1419 - 1999.
9. أدب الدنيا والدين، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى: 450 هـ)، الناشر: دار مكتبة الحياة، بدون طبعة، تاريخ النشر: 1986 م.
10. الأدب المفرد، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (المتوفى: 256 هـ)، حققه وقابله على أصوله: سمير بن أمين الزهيري، مستفيداً من تخريجات وتعليقات العلامة الشيخ المحدث: محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة: الأولى، 1419 هـ - 1998 م.
11. إرشاد طلاب الحقائق إلى معرفة سنن خير الخلائق صلى الله عليه وسلم، محيي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف النووي الدمشقي (631 - 676 هـ)، تحقيق وتخرّيج ودراسة: عبد الباري فتح الله السلفي، الناشر: مكتبة الإيمان، المدينة المنورة - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، 1408 هـ - 1987 م.
12. إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، محمد ناصر الدين الألباني (المتوفى: 1420 هـ)، الناشر: المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة: الثانية 1405 هـ - 1985 م.
13. الاستذكار، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري القرطبي (المتوفى: 463 هـ)، تحقيق: سالم محمد عطا، محمد علي معوض، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، 1421 هـ - 2000 م.
14. الاستغاثة في الرد على البكري، أحمد بن تيمية (المتوفى: 728 هـ)، دراسة وتحقيق: د. عبد الله بن دجين السهلي، الناشر: مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع، الرياض - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، 1426 هـ.

15. الاستيعاب في معرفة الأصحاب، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (المتوفى: 463هـ)، المحقق: علي محمد البجاوي، الناشر: دار الجليل، بيروت، الطبعة: الأولى، 1412 هـ - 1992 م.
16. أسد الغابة، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير (المتوفى: 630هـ)، الناشر: دار الفكر - بيروت، عام النشر: 1409 هـ - 1989 م.
17. الإصابة في تمييز الصحابة، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: 852هـ)، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى - 1415 هـ.
18. الأصول المجردة على ترتيب القصيدة المجرّدة، الحسن بن أحمد بن عبد الله بن البنا، أبو علي، البغدادي الحنبلي (المتوفى: 471هـ)، مع تعليق صالح بن عبد الله العصيمي، مفرغ عندي في نسخة خاصة.
19. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (المتوفى: 1393هـ)، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت - لبنان، 1415 هـ - 1995 م.
20. الاعتصام، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (المتوفى: 790هـ)، تحقيق ودراسة: جماعة من الباحثين، الناشر: دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، 1429 هـ - 2008 م.
21. أعلام الحديث (شرح صحيح البخاري)، أبو سليمان حمد بن محمد الخطابي (المتوفى: 388هـ)، المحقق: د. محمد بن سعد بن عبد الرحمن آل سعود، الناشر: جامعة أم القرى (مركز البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي)، الطبعة: الأولى، 1409 هـ - 1988 م.
22. أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة، (الكتاب نشر - أيضا - بعنوان: 200 سؤال

وجواب في العقيدة الاسلامية)، حافظ بن أحمد بن علي الحكمي (المتوفى: 1377هـ)، تحقيق: حازم القاضي.

23. الأعلام العلية في مناقب ابن تيمية، عمر بن علي بن موسى بن خليل البغدادي الأزجي البزار، سراج الدين أبو حفص (المتوفى: 749هـ)، ضمن الجامع لسيرة شيخ الإسلام ابن تيمية خلال سبعة قرون، محمد عزيز بن شمس وعلي بن محمد العمران، الناشر: دار عالم الفوائد - مكة، الطبعة: الثانية، شوال 1422 هـ.

24. إعلام الموقعين عن رب العالمين، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب المعروف بابن قيم الجوزية (المتوفى: 751 هـ)، حققه: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، الناشر: دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، 1423 هـ.

25. الأعلام، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (المتوفى: 1396هـ)، الناشر: دار العلم للملايين، الطبعة: الخامسة عشر - أيار / مايو 2002 م.

26. إغاثة اللفهان في مصايد الشيطان، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية (751 هـ)، حققه: محمد عزيز شمس، خرج أحايته: مصطفى بن سعيد إيتيم، الناشر: دار عالم الفوائد - مكة المكرمة، الطبعة: الأولى، 1432 هـ.

27. اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: 728هـ)، المحقق: ناصر عبد الكريم العقل، الناشر: دار عالم الكتب، بيروت، لبنان، الطبعة: السابعة، 1419 هـ - 1999 م.

28. إكمال المعلم بفوائد مسلم، عياض بن موسى بن عياض بن عمرو بن يحيى السبتي، أبو الفضل (المتوفى: 544هـ)، المحقق: الدكتور يحيى إسماعيل، الناشر: دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، الطبعة: الأولى، 1419 هـ - 1998 م.

29. الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف (المطبوع مع المقنع والشرح الكبير)، علاء الدين أبو الحسن

- علي بن سليمان بن أحمد المرزداوي (المتوفى: 885 هـ)، تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي - د. عبد الفتاح محمد الحلو، الناشر: هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، القاهرة - جمهورية مصر العربية، الطبعة: الأولى، 1415 هـ - 1995 م.
30. أهوال القبور، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (المتوفى: 795 هـ)، المحقق: عاطف صابر شاهين، الناشر: دار الغد الجديد، المنصورة، مصر، الطبعة الأولى 1426 هـ - 2005 م.
31. الآيات البيئات في عدم سماع الأموات على مذهب الحنفية السادات، نعمان بن محمود بن عبد الله، أبو البركات خير الدين، الألوسي (المتوفى: 1317 هـ)، المحقق: محمد ناصر الدين الألباني، الطبعة: الثانية، 1399 هـ.
32. الايمان عند السلف وعلاقته بالعمل وكشف شبهات المعاصرين، محمد بن محمود آل خضير، الناشر: مكتبة الرشد - الطبعة الثالثة 2009 م.
33. البحور الزاخرة في علوم الآخرة، محمد بن أحمد بن سالم بن سليمان السفاريني الحنبلي (المتوفى: 1188 هـ)، المحقق: عبد العزيز أحمد بن محمد بن حمود المشيقح، الناشر: دار العاصمة للنشر والتوزيع، الرياض - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، 1430 هـ - 2009 م.
34. بدائع الفوائد، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751 هـ)، المحقق: علي بن محمد العمران، الناشر: دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، الطبعة: الأولى، 1425 هـ.
35. بهجة قلوب الأبرار وقررة عيون الأخيار في شرح جوامع الأخبار، أبو عبد الله، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر بن حمد آل سعدي (المتوفى: 1376 هـ)، المحقق: عبد الكريم بن رسمي آل الدريني، دار النشر: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، الطبعة: الأولى 1422 هـ - 2002 م.
36. تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (المتوفى: 748 هـ)، المحقق: الدكتور بشار عواد معروف، الناشر: دار الغرب الإسلامي،

- الطبعة: الأولى، 2003 م.
37. تاريخ بغداد، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (المتوفى: 463 هـ)، المحقق: الدكتور بشار عواد معروف، الناشر: دار الغرب الإسلامي - بيروت، الطبعة: الأولى، 1422 هـ - 2002 م.
38. التحرير والتنوير = تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: 1393 هـ)، الناشر: الدار التونسية للنشر - تونس، سنة النشر: 1984 هـ.
39. التحفة التونسية في الإجابة عن الأسئلة العلمية والمنهجية، الصغير بن عمار الشريكي.
40. التحفة السنية شرح منظومة ابن أبي داود الحائية، عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر، الناشر: مطابع أضواء المنتدى.
41. تحفة المرید شرح جوهرة التوحيد: حاشية البيجوري على جوهرة التوحيد، إبراهيم بن محمد بن أحمد البيجوري (المتوفى: 825 هـ)، دار السلام.
42. تحقيق البرهان في إثبات حقيقة الميزان، مرعي بن يوسف بن أبي بكر بن أحمد الكرمي المقدسي الحنبلي (المتوفى: 1033 هـ)، تحقيق وتعليق: مشهور بن حسن، اسم الناشر: دار ابن القيم، تاريخ النشر: 1990 م.
43. تحقيق منيف الرتبة لمن ثبت له شريف الصحبة، صلاح الدين أبو سعيد خليل بن كيكلي بن عبد الله الدمشقي العلائي (المتوفى: 761 هـ)، المحقق: عبد الرحيم محمد أحمد القشقري، الناشر: دار العاصمة، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، 1410 هـ.
44. تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: 911 هـ)، حقه: أبو قتيبة نظر محمد الفارياي، الناشر: دار طيبة.
45. التدمرية: تحقيق الإثبات للأسماء والصفات وحقيقة الجمع بين القدر والشرع، تقي الدين أبو

- العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: 728هـ)، المحقق: د. محمد بن عودة السعوي، الناشر: مكتبة العبيكان - الرياض، الطبعة: السادسة 1421هـ / 2000م.
46. التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: 671هـ)، تحقيق: عصام الدين الصبابطي، الناشر: دار الحديث، القاهرة، 1432 هـ - 2011 م.
47. ترتيب المدارك وتقريب المسالك، أبو الفضل القاضي عياض بن موسى اليحصبي (المتوفى: 544هـ)، مطبعة فضالة - المحمدية، المغرب، الطبعة: الأولى.
48. تسديد الإصابة فيما شجر بين الصحابة، ذياب بن سعد بن علي بن حمدان بن أحمد بن محفوظ آل حمدان الغامدي الأزدي نسبا، الناشر: مكتبة المورد، الطبعة: الثانية، 1425 هـ.
49. تعريف الخلف بمنهج السلف: دراسة منهجية لأصول مذهب السلف في تقرير العقيدة والدفاع عنها وطرق التأليف فيها، إبراهيم بن محمد بن عبد الله البريكان، دار ابن عفان للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى 1426 هـ - 2005 م.
50. تعليق صالح بن عبد الله العصيمي على «أعلام السنة المنشورة»، نسخة خاصة مفرغة، والأصل الصوتي متوفر في موقع الدعوة والإرشاد.
51. التعليق على نظم المهمات من كشف الشبهات، الصغير بن عمار الشريكي، 1436 هـ - 2015 م.
52. تعليق مختصر على كتاب لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد، محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: 1421هـ)، المحقق: أشرف بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، الناشر: مكتبة أضواء السلف، الطبعة الثالثة 1415هـ - 1995م.
53. التعليقات السنّية والفوائد البهية شرح مختصر في أصول العقائد الدينية = شرح عقيدة السعدي، الصغير بن عمار الشريكي، 1433 هـ - 2012 م.

54. تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفى: 982هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت.
55. تفسير أسماء الله الحسنى، أبو عبد الله، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر بن حمد آل سعدي (المتوفى: 1376هـ)، المحقق: عبيد بن علي العبيد، الناشر: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الطبعة: العدد 112 - السنة 33 - 1421هـ.
56. تفسير السعدي، المسمى: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: 1376هـ)، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحي، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى 1420هـ - 2000م.
57. تفسير الطبري = جامع البيان عن تأويل آي القرآن، المؤلف: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: 310هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة: الأولى، 1422هـ - 2001م.
58. تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: 774هـ)، المحقق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية 1420هـ - 1999م.
59. التقريب والتيسير لمعرفة سنن البشير النذير في أصول الحديث، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: 676هـ)، بواسطة تدريب الراوي للسيوطي.
60. التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (المتوفى: 463هـ)، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي محمد عبد الكبير البكري، الناشر: وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية - المغرب، عام النشر: 1387هـ.
61. التنبيهات السننية على العقيدة الواسطية، عبد العزيز بن ناصر الرشيد (المتوفى: 1408هـ)، دار الرشيد - الرياض، دار العواصم - مصر، الدار الإسلامية - مصر، الطبعة الرابعة 1425هـ - 2004

.م

62. التنبهات اللطيفة فيما احتوت عليه الواسطية من المباحث المنيفة، أبو عبد الله، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر آل سعدي (المتوفى: 1376هـ)، الناشر: دار طيبة - الرياض، الطبعة: الأولى، 1414هـ.

63. التنكيل بما في تأنيب الكوثري من الأباطيل، المؤلف: عبد الرحمن بن يحيى بن علي بن محمد المعلمي العتمي اليماني (المتوفى: 1386هـ)، مع تحريجات وتعليقات: محمد ناصر الدين الألباني - زهير الشاويش - عبد الرزاق حمزة، الناشر: المكتب الإسلامي، الطبعة: الثانية، 1406 هـ - 1986 م.

64. تهذيب الآثار وتفصيل الثابت عن رسول الله من الأخبار، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: 310هـ)، المحقق: محمود محمد شاكر، الناشر: مطبعة المدني - القاهرة.

65. تهذيب الكمال في أسماء الرجال، يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف، أبو الحجاج، جمال الدين ابن الزكي أبي محمد القضاعي الكلبلي المزي (المتوفى: 742هـ)، المحقق: د. بشار عواد معروف، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة: الأولى، 1400 هـ - 1980 م.

66. توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم = شرح النونية، أحمد بن إبراهيم بن حمد بن محمد بن حمد بن عبد الله بن عيسى (المتوفى: 1327هـ)، المحقق: زهير الشاويش، الناشر: المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة: الثالثة، 1406.

67. التوضيح والبيان لشجرة الإيمان، عبد الرحمن بن ناصر آل سعدي (المتوفى: 1376هـ).

68. التوضيحات الجليلة على شرح العقيدة الطحاوية، محمد بن عبد الرحمن الخميس، الناشر: دار ابن الجوزي، الطبعة الأولى 1429 هـ.

69. تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن، أبو عبد الله، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر بن حمد آل سعدي (المتوفى: 1376هـ)، الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة

- والإرشاد - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، 1422 هـ.
70. جامع بيان العلم وفضله، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (المتوفى: 463 هـ)، تحقيق: أبي الأشبال الزهيري، الناشر: دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، 1414 هـ - 1994 م.
71. الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: 671 هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية - القاهرة، الطبعة: الثانية، 1384 هـ - 1964 م.
72. الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (المتوفى: 463 هـ)، المحقق: د. محمود الطحان، الناشر: مكتبة المعارف - الرياض.
73. الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي = الدواء والدواء، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751 هـ)، حققه: محمد أجمل الإصلاحي، الناشر: دار عالم الفوائد - مكة المكرمة، الطبعة: الأولى، 1429 هـ.
74. جواب في الإيمان ونواقضه، عبد الرحمن بن ناصر البراك، اعتنى به: عبد الرحمن بن صالح السديس، الناشر: دار التدمرية، الطبعة: الأولى، 1473 هـ - 2016 م.
75. حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751 هـ)، الناشر: مطبعة المدني، القاهرة.
76. حاشية الأصول الثلاثة، عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي القحطاني الحنبلي النجدي (المتوفى: 1392 هـ)، الناشر: دار الزاحم، الطبعة: الثانية، 1423 هـ - 2002 م.
77. الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة، إسماعيل بن محمد بن الفضل بن علي القرشي الطليحي التيمي الأصبهاني، أبو القاسم، الملقب بقوام السنة (المتوفى: 535 هـ)، المحقق: محمد بن ربيع بن هادي عمير المدخلي، الناشر: دار الراية - السعودية / الرياض، الطبعة: الثانية، 1419 هـ -

1999 م.

78. الحديث حجة بنفسه في العقائد والأحكام، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: 1420 هـ)، الناشر: مكتبة المعارف، الطبعة: الطبعة الأولى 1425 هـ - 2005 م.

79. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (المتوفى: 430 هـ)، الناشر: السعادة - بجوار محافظة مصر، 1394 هـ - 1974 م.

80. خلق أفعال العباد، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (المتوفى: 256 هـ)، ضمن: عقائد السلف (للأئمة أحمد بن حنبل والبخاري وابن قتيبة وعثمان الدارمي).

81. دار النشر: دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر، دمشق - سوريا، الطبعة: الأولى، 1402 هـ - 1984 م.

82. درء تعارض العقل والنقل، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: 728 هـ)، تحقيق: الدكتور محمد رشاد سالم، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثانية، 1411 هـ - 1991 م.

83. دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (المتوفى: 1393 هـ)، الناشر: مكتبة ابن تيمية - القاهرة، توزيع: مكتبة الخراز - جدة، الطبعة الأولى 1417 هـ - 1996 م.

84. الدين الخالص، أبو الطيب محمد صديق خان الحسيني البخاري القنوجي (المتوفى: 1307 هـ)، المحقق: محمد سالم هاشم، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى 1415 هـ - 1995 م.

85. ذب الإمام الشوكاني عن أصحاب النبي العدناني، علي بن أحمد الرازحي، الناشر: مكتبة الرضوان، مصر، الطبعة الأولى 2006 م.

86. ذيل طبقات الحنابلة، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السلامي، البغدادي، ثم دمشق، الحنبلي (المتوفى: 795هـ)، المحقق: د عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، الناشر: مكتبة العبيكان - الرياض، الطبعة: الأولى، 1425 هـ - 2005 م.
87. الرد على الجهمية والزندقة، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: 241هـ)، المحقق: صبري بن سلامة شاهين، الناشر: دار الثبات للنشر والتوزيع، الطبعة: الأولى.
88. الرد على الجهمية، أبو سعيد عثمان بن سعيد بن خالد بن سعيد الدارمي السجستاني (المتوفى: 280هـ)، ضمن عقائد السلف.
89. رسالة السجزي إلى أهل زبيد في الرد على من أنكر الحرف والصوت، عبيد الله بن سعيد بن حاتم السجزي الوائلي البكري، أبو نصر (المتوفى: 444هـ)، المحقق: محمد باكريم، الناشر: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثانية، 1423هـ / 2002م.
90. رسالة الشرك ومظاهره، مبارك بن محمد الملي الجزائري (المتوفى: 1364هـ)، تحقيق وتعليق: أبي عبد الرحمن محمود، الناشر: دار الراية للنشر والتوزيع، الطبعة: الأولى 1422هـ - 2001م.
91. رسالة إلى أهل الثغر بباب الأبواب، المؤلف: أبو الحسن علي بن إسماعيل بن إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري (المتوفى: 324هـ)، المحقق: عبد الله شاكر محمد الجنيدي، الناشر: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة: 1413هـ.
92. رؤية الله، أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي بن مسعود بن النعمان بن دينار البغدادي الدارقطني (المتوفى: 385هـ)، حققه: إبراهيم محمد العلي، أحمد فخري الرفاعي، الناشر: مكتبة المنار، الزرقاء - الأردن، عام النشر: سنة 1411هـ.
93. الرياض الناضرة والحدائق النيرة الزاهرة في العقائد والفنون المتنوعة الفاخرة، عبد الرحمن بن ناصر

- بن عبد الله السعدي (المتوفى: 1376 هـ)، دار المنهاج، الطبعة: الأولى 1424 هـ - 2003 م.
94. زاد المسير في علم التفسير، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: 597 هـ)، المحقق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة: الأولى - 1422 هـ.
95. زاد المعاد في هدي خير العباد، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751 هـ)، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت - مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، الطبعة: السابعة والعشرون 1415 - 1994 م.
96. الزهد والرقائق، أبو عبد الرحمن عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي، التركي ثم المروزي (المتوفى: 181 هـ)، المحقق: حبيب الرحمن الأعظمي، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت.
97. الزهد، أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس البغدادي الأموي القرشي المعروف بابن أبي الدنيا (المتوفى: 281 هـ)، الناشر: دار ابن كثير، دمشق، الطبعة: الأولى، 1420 هـ - 1999 م.
98. الزواجر عن اقتراف الكبائر، أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي السعدي الأنصاري، شهاب الدين شيخ الإسلام، أبو العباس (المتوفى: 974 هـ)، الناشر: دار الفكر، الطبعة: الأولى، 1407 هـ - 1987 م.
99. سبيل الرشاد في هدي خير العباد، محمد تقي الدين بن عبد القادر الهلالي، المحقق: مشهور بن حسن آل سلمان أبو عبيدة، الدار الأثرية، الطبعة الأولى: 1427 - 2006.
100. سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: 1420 هـ)، الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة: الأولى، (لمكتبة المعارف).
101. سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: 1420 هـ)، دار النشر: دار المعارف،

- الرياض - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، 1412 هـ - 1992 م.
102. السنة، أبو عبد الرحمن عبد الله بن أحمد بن محمد بن حنبل الشيبانيّ البغدادي (المتوفى: 290 هـ)، المحقق: د. محمد بن سعيد بن سالم القحطاني، الناشر: دار ابن القيم - الدمام، الطبعة: الأولى، 1406 هـ - 1986 م.
103. سنن ابن ماجه، ابن ماجه أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجة اسم أبيه يزيد (المتوفى: 273 هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابي الحلبي.
104. سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السجستاني (المتوفى: 275 هـ)، المحقق: شعيب الأرنؤوط - محمد كامل قره بللي، الناشر: دار الرسالة العالمية، الطبعة: الأولى، 1430 هـ - 2009 م.
105. سنن الترمذي: الجامع الكبير، محمد بن عيسى بن سؤرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: 279 هـ)، المحقق: بشار عواد معروف، الناشر: دار الغرب الإسلامي - بيروت، سنة النشر: 1998 م.
106. سنن النسائي = المجتبى من السنن (السنن الصغرى للنسائي)، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (المتوفى: 303 هـ)، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، الناشر: مكتب المطبوعات الإسلامية - حلب، الطبعة: الثانية، 1406 هـ - 1986 م.
107. سير أعلام النبلاء، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (المتوفى: 748 هـ)، المحقق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرنؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الثالثة، 1405 هـ / 1985 م.
108. سير السلف الصالحين، إسماعيل بن محمد بن الفضل بن علي القرشي الطليحي التيمي الأصبهاني، أبو القاسم، الملقب بقوام السنة (المتوفى: 535 هـ)، تحقيق: د. كرم بن حلمي بن فرحات بن أحمد،

الناشر: دار الراية للنشر والتوزيع، الرياض.

109. شذا العبير بشرح قصيدة (أنا الفقير، لابن تيمية)، الصغير بن عمار الشريكي، 1438 هـ - 2017 م.
110. شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، ابن عقيل، عبد الله بن عبد الرحمن العقيلي الهمداني المصري (المتوفى: 769هـ)، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: دار التراث - القاهرة، دار مصر للطباعة، الطبعة: العشرون 1400 هـ - 1980 م.
111. شرح أبواب من حقيقة الإيمان من «الإبانة الكبرى»، صالح بن عبد الله العصيمي، مفرغ في نسخة خاصة، ومتوفر صوتياً في موقع الدعوة والإرشاد.
112. شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، أبو القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري الرازي اللالكائي (المتوفى: 418هـ)، تحقيق: أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي، الناشر: دار طيبة - السعودية
113. شرح الحائية، الشيخ قال الشيخ عبد الكريم الخضير، دروس مفرغة من موقع الشيخ.
114. شرح السنة، أبو محمد الحسن بن علي بن خلف البرهاري (المتوفى: 329هـ)، المحقق: خالد بن قاسم الراددي، الناشر: مكتبة الغرباء الأثرية، سنة النشر: 1414 - 1993 م.
115. شرح الشفا، علي بن (سلطان) محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري (المتوفى: 1014هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، 1421 هـ.
116. شرح العقيدة السفارينية، محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: 1421هـ)، الناشر: دار الوطن للنشر، الرياض، الطبعة: الأولى، 1426 هـ.
117. شرح العقيدة الطحاوية (إتحاف السائل بما في الطحاوية من مسائل)، صالح بن عبد العزيز بن محمد آل الشيخ، تحقيق وعناية: عادل الرفاعي، مكتبة الحجاز، 1432 هـ - 2011 م.
118. شرح العقيدة الطحاوية، صدر الدين محمد بن علاء الدين علي بن محمد ابن أبي العز الحنفي،

- الأذرعي الصالحي الدمشقي (المتوفى: 792هـ)، تحقيق: جماعة من العلماء، تخرّيج: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، الطبعة الأولى الجديدة 1427 هـ - 2006 م.
119. شرح العقيدة الواسطية، محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: 1421 هـ)، خرج أحاديثه واعتنى به: سعد بن فواز الصميل، الناشر: دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الطبعة: السادسة، 1421 هـ.
120. شرح العقيدة الواسطية، ويليه ملحق الواسطية، محمد بن خليل حسن هراس (المتوفى: 1395 هـ)، تحقيق: علوي بن عبد القادر السقاف، الناشر: دار الهجرة للنشر والتوزيع - الخبر، الطبعة: الثالثة، 1415 هـ.
121. شرح القصيدة النونية، الناظم: شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751 هـ)، الشارح: الدكتور محمد خليل هراس (المتوفى: 1395 هـ)، الناشر: دار الإمام أحمد، مصر، الطبعة: الأولى 1429 هـ - 2008 م.
122. شرح القواعد الأربع، الصغير بن عمار الشريكي، 1432 هـ - 2011 م.
123. شرح الكوكب المنير، تقي الدين أبو البقاء محمد بن أحمد بن عبد العزيز بن علي الفتوح المعروف بابن النجار الحنبلي (المتوفى: 972 هـ)، المحقق: محمد الزحيلي ونزيه حماد، الناشر: مكتبة العبيكان، الطبعة: الثانية 1418 هـ - 1997 م.
124. شرح منظومة السير إلى الله والدار الآخرة = نصح المؤمنين وتبيان منازل السائرين: شرح لقصيدة في السير إلى الله والدار الآخرة، الصغير بن عمار الشريكي، 1435 هـ - 2014 م.
125. شرف أصحاب الحديث، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (المتوفى: 463 هـ)، المحقق: د. محمد سعيد خطي اوغلي، الناشر: دار إحياء السنة النبوية - أنقرة.
126. الشريعة، أبو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله الأجرّي البغدادي (المتوفى: 360 هـ)، المحقق: الدكتور عبد الله بن عمر بن سليمان الدميحي، الناشر: دار الوطن - الرياض / السعودية، الطبعة:

الثانية، 1420 هـ - 1999 م.

127. شعب الإيمان، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسرُوجِردِي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: 458هـ)، حققه: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، صاحب الدار السلفية ببومباي - الهند، الناشر: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، الطبعة: الأولى، 1423 هـ - 2003 م.
128. الشفا بتعريف حقوق المصطفى صلى الله عليه وسلم، أبو الفضل القاضي عياض بن موسى اليحصبي (المتوفى: 544هـ)، المحقق: عامر الجزائر، الناشر: دار الحديث، سنة النشر: 1425 هـ - 2004 م.
129. شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ)، الناشر: دار المعرفة، بيروت، لبنان، الطبعة: 1398 هـ - 1978 م.
130. الشفاعة: أنواعها وشروطها، الصغير بن عمار الشريكي، 1437 هـ - 2015 م.
131. الصارم المسلول على شاتم الرسول، أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام ابن تيمية الحراني (المتوفى: 728هـ)، المحقق: محمد محي الدين عبد الحميد، الناشر: الحرس الوطني السعودي.
132. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: 393هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الناشر: دار العلم للملايين - بيروت، الطبعة الرابعة 1407 هـ - 987 م.
133. صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن معبد، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى: 354هـ)، المحقق: شعيب الأرنؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة: الثانية، 1414 هـ - 1993 م.
134. صحيح الترغيب والترهيب، محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع،

- الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، 1421 هـ - 2000 م.
135. صريح السنة، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: 310 هـ)، المحقق: بدر يوسف المعتوق، الناشر: دار الخلفاء للكتاب الإسلامي - الكويت، الطبعة: الأولى، 1405.
136. صفة الصفوة، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: 597 هـ)، المحقق: أحمد بن علي، الناشر: دار الحديث، القاهرة، مصر، الطبعة: 1421 هـ - 2000 م.
137. الصلاة وأحكام تاركها، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751 هـ)، الناشر: مكتبة الثقافة بالمدينة المنورة.
138. الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعتلة، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751 هـ)، المحقق: علي بن محمد الدخيل الله، الناشر: دار العاصمة، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، 1408 هـ.
139. صيد الخاطر، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: 597 هـ)، بعناية: حسن المساحي سويدان، الناشر: دار القلم - دمشق، الطبعة: الأولى 1425 هـ - 2004 م.
140. ضعيف الجامع الصغير وزيادته، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: 1420 هـ)، الناشر: المكتب الإسلامي.
141. طبقات الحنابلة، أبو الحسين ابن أبي يعلى، محمد بن محمد (المتوفى: 526 هـ)، المحقق: محمد حامد الفقي.
142. الطبقات الكبرى، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي المعروف بابن سعد (المتوفى: 230 هـ)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، 1410 هـ - 1990 م.
143. عارضة الأحوزي بشرح صحيح الترمذي، محمد بن عبد الله بن محمد المعافري، أبو بكر ابن العربي

- (المتوفى: 543 هـ)، المحقق: الناشر: دار الكتب العلمية بيروت لبنان.
144. العروض المختصر، نور الدين صَمُود، دار شوقي للنشر، تونس، 2002.
145. عقائد السلف، للأئمة أحمد بن حنبل والبخاري وابن قتيبة وعثمان الدارمي، تحقيق: علي سامي النشار- عمار جمعي الطالب، الناشر: دار السلام، الطبعة: الأولى 2007.
146. العقائد السلفية بادلها العقلية والعقلية، أحمد بن حجر بن محمد بن طامي آل بوطامي البنعلي (المتوفى: 1423 هـ)، دار الإيمان - مصر، 2000 م.
147. عقيدة التوحيد الكبرى، محمد المكي بن عزوز المالكي التونسي (المتوفى: 1334 هـ)، تحقيق: محمد رشيد بوغزالة الجزائري، مؤسسة الريان بيروت الطبعة الأولى 1429 هـ.
148. عقيدة السلف - مقدمة أبي زيد القيرواني لكتابه الرسالة، أبو محمد عبد الله بن (أبي زيد) عبد الرحمن النفزي، القيرواني، المالكي (المتوفى: 386 هـ)، نظمها: أحمد بن علي بن حسين بن مشرف الوهبي التميمي المالكي الأحسائي (المتوفى: 1285 هـ)، المحقق: بكر بن عبد الله أبو زيد.
149. عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة الكرام رضي الله عنهم، ناصر بن علي عائض حسن الشيخ، الناشر: مكتبة الرشد، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثالثة، 1421 هـ-2000 م.
150. عقيدة أهل السنة والجماعة، محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: 1421 هـ)، الناشر: الجامعة الإسلامية المدينة المنورة، الطبعة: الرابعة، 1422 هـ.
151. العلو للعلي الغفار في إيضاح صحيح الأخبار وسقيمتها، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (المتوفى: 748 هـ)، المحقق: أبو محمد أشرف بن عبد المقصود، الناشر: مكتبة أضواء السلف - الرياض، الطبعة: الأولى، 1416 هـ - 1995 م.
152. عمدة القاري شرح صحيح البخاري، أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابي الحنفي بدر الدين العيني (المتوفى: 855 هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت.
153. العواصم من القواصم في تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، القاضي محمد

بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الاشبيلي المالكي (المتوفى: 543هـ)، قدم له وعلق عليه: محب الدين الخطيب رحمه الله، الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، 1419هـ.

154. فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، الناشر: دار المعرفة - بيروت، 1379، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز.

155. فتح الباري شرح صحيح البخاري، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (المتوفى: 795هـ)، تحقيق جماعة من الباحثين، الناشر: مكتبة الغرباء الأثرية - المدينة النبوية، الطبعة: الأولى، 1417هـ - 1996م.

156. فتح البيان في مقاصد القرآن، أبو الطيب محمد صديق خان الحسيني البخاري القنوجي (المتوفى: 1307هـ)، عني بطبعه وقدم له وراجعته: عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، الناشر: المكتبة العصرية للطباعة والنشر، صيدا - بيروت، عام النشر: 1412هـ - 1992م.

157. الفتح الرباني من فتاوى الإمام الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: 1250هـ)، حققه ورتبه: محمد صبحي بن حسن حلاق، الناشر: مكتبة الجيل الجديد، صنعاء - اليمن.

158. فتح الرحيم الملك العلام في علم العقائد والتوحيد والأخلاق والأحكام المستنبطة من القرآن، عبد الرحمن بن ناصر السعدي (1307هـ - 1276هـ)، اعتنى به: عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر، دار ابن الجوزي.

159. فتح المجيد شرح كتاب التوحيد، عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي (المتوفى: 1285هـ)، طبعة رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء، الرياض - المملكة

العربية السعودية، الطبعة الرابعة 1422 هـ.

160. الفتوى الحموية الكبرى، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: 728هـ)، المحقق: د. حمد بن عبد المحسن التويجري، الناشر: دار الصميعة - الرياض، الطبعة: الثانية 1425 هـ - 2004 م.
161. الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية، عبد القاهر بن طاهر بن محمد بن عبد الله البغدادي، أبو منصور (المتوفى: 429هـ)، الناشر: دار الآفاق الجديدة - بيروت، الطبعة: الثانية، 1977 م.
162. الفروق، شهاب الدين أبو العباس أحمد بن إدريس القرافي (ت 684هـ)، وبحاشيته: إدراج الشروق على أنواء الفروق، لابن الشاط (ت 723هـ)، المحقق: عمر حسن القيام، الناشر: مؤسسة الرسالة ناشرون، الطبعة: الأولى 1424 هـ - 2003 م.
163. الفصل في الملل والأهواء والنحل، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (المتوفى: 456هـ)، الناشر: مكتبة الخانجي - القاهرة.
164. فقه السيرة، محمد الغزالي السقا (المتوفى: 1416هـ)، الناشر: دار القلم - دمشق، تخريج الأحاديث: محمد ناصر الدين الألباني، الطبعة: الأولى، 1427 هـ.
165. الفوائد، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الثانية، 1393 هـ - 1973 م.
166. فيض القدير شرح الجامع الصغير، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (المتوفى: 1031هـ)، الناشر: المكتبة التجارية الكبرى - مصر، الطبعة: الأولى 1356.
167. القاموس المحيط، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (المتوفى: 817هـ)، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسوسي، الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة: الثامنة، 1426 هـ - 2005 م.

168. القائد إلى تصحيح العقائد (وهو القسم الرابع من كتاب «التنكيل بما تأنيب الكوثري من الأباطيل»)، عبد الرحمن بن يحيى بن علي بن محمد المعلمي اليماني (المتوفى: 1386هـ)، المحقق: محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: المكتب الإسلامي، الطبعة: الثالثة، 1404 هـ - 1984 م.
169. قصد السبيل الى ذم الكلام والتأويل، محمد صديق حسن خان القنوجي، تحقيق ابي عبد الرحمن سعيد معشاشة، دار ابن حزم، الطبعة الاولى 1421 هـ.
170. القصيدة الحائية في السنة، بدر بن طامي العتيبي، مطبوع مع حاشيته على عقيدة السلف لابن أبي زيد القيرواني، ضمن مشروع طباعة الكتب السلفية.
171. القصيدة النونية للقحطاني، أبو عبد الله محمد بن صالح القحطاني، المعافري الأندلسي المالكي (المتوفى: 378هـ)، المحقق: عبد العزيز بن محمد بن منصور الجربوع، الناشر: دار الذكرى، الطبعة: الأولى.
172. القضاء والقدر، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى، أبو بكر البيهقي (المتوفى: 458هـ)، المحقق: محمد بن عبد الله آل عامر، الناشر: مكتبة العبيكان - الرياض، الطبعة: الأولى، 1421 هـ - 2000 م.
173. القول السديد شرح كتاب التوحيد، أبو عبد الله، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر بن حمد آل سعدي (المتوفى: 1376هـ)، الناشر: دار الوطن للنشر والتوزيع، 1412 هـ.
174. القول المفيد على كتاب التوحيد، محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: 1421هـ)، الناشر: دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثانية محرم 1424 هـ.
175. القيامة الكبرى، عمر بن سليمان بن عبد الله الأشقر العتيبي (المتوفى: 1433 هـ)، الناشر: دار النفائس للنشر والتوزيع، الأردن، الطبعة: السادسة، 1415 هـ - 1995 م.
176. الكافي في فقه الإمام أحمد، أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعلي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي، الشهير بابن قدامة المقدسي (المتوفى: 620هـ)، الناشر: دار الكتب

- العلمية، الطبعة: الأولى، 1414 هـ - 1994 م.
177. الكافي في فقه أهل المدينة، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (المتوفى: 463 هـ)، المحقق: محمد أحمد ولد ماديك الموريتاني، الناشر: مكتبة الرياض الحديثة، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثانية، 1400 هـ - 1980 م.
178. كتاب التوحيد المسمى بالتخلي عن التقليد والتحلي بالأصل المفيد، عمر العرباوي الحملاوي (المتوفى: 1405 هـ)، الناشر: مطبعة الوراق العصرية، تاريخ النشر: 1404 هـ - 1984 م.
179. كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل، أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة بن المغيرة بن صالح بن بكر السلمى النيسابوري (المتوفى: 311 هـ)، المحقق: عبد العزيز بن إبراهيم الشهوان، الناشر: مكتبة الرشد - السعودية - الرياض، الطبعة: الخامسة، 1414 هـ - 1994 م.
180. كتاب السنة (ومعه ظلال الجنة في تخريج السنة بقلم: محمد ناصر الدين الألباني)، أبو بكر بن أبي عاصم وهو أحمد بن عمرو بن الضحاك بن مخلد الشيباني (المتوفى: 287 هـ)، الناشر: المكتب الإسلامي، الطبعة: الأولى، 1400 هـ - 1980 م.
181. كتاب القدر، أبو بكر جعفر بن محمد بن الحسن بن المُستفاض الفريابي (المتوفى: 301 هـ)، المحقق: عبد الله بن حمد المنصور، الناشر: أضواء السلف، الطبعة: الأولى 1418 هـ - 1997 م.
182. الكتاب اللطيف لشرح مذاهب أهل السنة ومعرفة شرائع الدين والتمسك بالسنن، أبو حفص عمر بن أحمد بن شاهين (المتوفى: 385 هـ)، المحقق: عبد الله بن محمد البصيري، الناشر: مكتبة الغرباء الأثرية، سنة النشر 1416 هـ.
183. الكفاية في علم الرواية، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (المتوفى: 463 هـ)، المحقق: أبو عبد الله السورقي إبراهيم حمدي المدني، الناشر: المكتبة العلمية - المدينة المنورة.
184. الكلم الطيب، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم

- بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: 728هـ)، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة: الثالثة 1977.
185. اللالئ البهية في شرح العقيدة الواسطية، صالح بن عبد العزيز آل الشيخ، تحقيق عادل بن محمد مرسي رفاعي، دار العاصمة، الرياض، الطبعة الأولى، 1431 هـ - 2010 م.
186. لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (المتوفى: 711هـ)، الناشر: دار صادر - بيروت، الطبعة: الثالثة - 1414 هـ.
187. لسان الميزان، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: 852هـ)، المحقق: عبد الفتاح أبو غدة، الناشر: دار البشائر الإسلامية، الطبعة: الأولى، 2002 م.
188. لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (المتوفى: 795هـ)، الناشر: دار ابن حزم للطبع والنشر، الطبعة: الأولى، 1424هـ - 2004م.
189. لوائح الأنوار السنية ولوائح الأفكار السنية شرح قصيدة ابن أبي داود الحائية في عقيدة أهل الآثار السلفية، محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي (المتوفى: 1188 هـ)، دراسة وتحقيق: عبد الله بن محمد بن سليمان البصري، الناشر: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، الرياض - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، 1415 هـ - 1994 م.
190. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (المتوفى: 807هـ)، المحقق: حسام الدين القدسي، الناشر: مكتبة القدسي، القاهرة، عام النشر: 1414 هـ، 1994 م.
191. مجمل اعتقاد السلف، محمد سالم بن محمد علي ابن عبد الودود الهاشمي الشنقيطي، دار الاندلس الخضراء، الطبعة الأولى 1418 هـ.
192. مجموع الفتاوى، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن تيمية الحراني (المتوفى: 728هـ)،

- المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، عام النشر: 1416 هـ - 1995 م.
193. مجموع الفوائد واقتناص الأوابد، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: 1376 هـ)، دار المنهاج، الطبعة: الأولى 1426 - 2005 م.
194. مجموع رسائل الحافظ ابن رجب الحنبلي، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (المتوفى: 795 هـ)، المحقق: أبو مصعب طلعت بن فؤاد الحلواني، الناشر: الفاروق الحديثة للطباعة والنشر.
195. مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز، عبد العزيز بن عبد الله بن باز (المتوفى: 1420 هـ)، أشرف على جمعه وطبعه: محمد بن سعد الشويعر.
196. مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين، محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: 1421 هـ)، جمع وترتيب: فهد بن ناصر بن إبراهيم السليمان، الناشر: دار الوطن - دار الثريا، الطبعة الأخيرة - 1413 هـ.
197. محاسن التأويل، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (المتوفى: 1332 هـ)، المحقق: محمد باسل عيون السود، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى - 1418 هـ.
198. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: 542 هـ)، المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى - 1422 هـ.
199. مختصر العلو للعلي العظيم للذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (المتوفى: 748 هـ)، حققه واختصره: محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: المكتب الإسلامي، الطبعة: الثانية 1412 هـ - 1991 م.

200. مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الانصاري الرويفعي الإفريقي (المتوفى: 711هـ)، المحقق: روحية النحاس، رياض عبد الحميد مراد، محمد مطيع، دار النشر: دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر، دمشق - سوريا، الطبعة: الأولى، 1402 هـ - 1984 م.
201. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ)، المحقق: محمد المعتصم بالله البغدادي، الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة: الثالثة، 1416 هـ - 1996 م.
202. المدخل لدراسة العقيدة الإسلامية على مذهب أهل السنة والجماعة، إبراهيم بن محمد البريكان (المتوفى: 1429 هـ)، دار ابن القيم - دار ابن عфан، مصر، الطبعة الأولى 1423 هـ - 2003 م.
203. مذكرة في العقيدة، أبو زيد بن محمد مكي، دار الأوراق الثقافية - المملكة العربية السعودية، 2013 م.
204. مذكرة في مقالات الفرق، أبو زيد بن محمد مكي، دار الأوراق الثقافية - المملكة العربية السعودية، الطبعة الثالثة 1432 هـ - 2011 م.
205. مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، علي بن (سلطان) محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري (المتوفى: 1014هـ)، الناشر: دار الفكر، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، 1422 هـ - 2002 م.
206. مسائل العصيمي = إجابات عن أسئلة في مواضيع متفرقة، ينقلها عنه الصغير بن عمار الشريكي.
207. المستدرک علی الصحیحین، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (المتوفى: 405هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، 1411 هـ - 1990 م.
208. مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى:

- 241 هـ)، المحقق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، 1421 هـ - 2001 م.
209. مشارق الأنوار على صحاح الآثار، عياض بن موسى بن عياض بن عمرو بن يحيى السبتي، أبو الفضل (المتوفى: 544 هـ)، دار النشر: المكتبة العتيقة ودار التراث.
210. مشاهد الناس بعد الموت، عبد الرحمان بن علي خليف المالكي التونسي (المتوفى: 1427 هـ)، الطبعة الأولى 2002.
211. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (المتوفى: 770 هـ)، الناشر: المكتبة العلمية - بيروت.
212. معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول، حافظ بن أحمد بن علي الحكمي (المتوفى: 1377 هـ)، المحقق: عمر بن محمود أبو عمر، الناشر: دار ابن القيم - الدمام، الطبعة: الأولى، 1410 هـ - 1990 م.
213. معالم السنن، وهو شرح سنن أبي داود، أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي المعروف بالخطابي (المتوفى: 388 هـ)، الناشر: المطبعة العلمية - حلب، الطبعة: الأولى 1351 هـ - 1932 م.
214. المعجم الأوسط، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: 360 هـ)، المحقق: طارق بن عوض الله، الناشر: دار الحرمين - القاهرة.
215. معجم الموضوعات المطروقة في التأليف الإسلامي وبيان ما ألف فيها، عبد الله محمد الحبشي، لدار اليمنية للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى 1997 م.
216. المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار، الناشر: دار الدعوة.
217. معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: 395 هـ)،

- المحقق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، 1399 هـ - 1979 م.
218. معرفة أنواع علوم الحديث، عثمان بن عبد الرحمن، أبو عمرو، تقي الدين المعروف بابن الصلاح (المتوفى: 643 هـ)، المحقق: عبد اللطيف الهميم - ماهر ياسين الفحل، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى 1423 هـ - 2002 م.
219. مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751 هـ)، المحقق: عبد الرحمن بن حسن بن قائد، راجعه: مُحَمَّدٌ أَجْمَلُ الإِصْلَاحِي، سليمان بن عبد الله العمير، الناشر: دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، الطبعة: الأولى، 1432 هـ.
220. المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (المتوفى: 502 هـ)، المحقق: صفوان عدنان الداودي، الناشر: دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت، الطبعة: الأولى - 1412 هـ.
221. المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم القرطبي (656 هـ)، حققه مجموعة من الباحثين، الناشر: دار ابن كثير، دمشق - بيروت، دار الكلم الطيب، دمشق - بيروت، الطبعة: الأولى، 1417 هـ - 1996 م.
222. مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري (المتوفى: 324 هـ)، المحقق: نعيم زرزور، الناشر: المكتبة العصرية، الطبعة: الأولى، 1426 هـ - 2005 م.
223. مقصد حفظ النسل، الصغير بن عمار الشريكي، بحث مقدم لنيل درجة البكالوريوس من قسم الشريعة بجامعة المعرفة العالمية، 1439 هـ - 2018 م.
224. المكتبة الشاملة، الإصدار 3.64.
225. مناقب الشافعي للبيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي (المتوفى: 458 هـ)، المحقق: السيد أحمد

- صقر، الناشر: مكتبة دار التراث - القاهرة، الطبعة: الأولى، 1390 هـ - 1970 م.
226. منهج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحرائي الحنبلي الدمشقي (المتوفى: 728هـ)، المحقق: محمد رشاد سالم، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة: الأولى، 1406 هـ - 1986 م.
227. منهج أهل الحق والاتباع في مخالفة أهل الجهل والابتداع، سليمان بن سحمان بن مصلح بن حمدان بن مصلح النجدي (المتوفى: 1349هـ)، المحقق: عبد السلام بن برجس العبد الكريم، الناشر: مكتبة الفرقان، الطبعة: الثالثة 1422 هـ - 2001 م.
228. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: 676هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الثانية، 1392 هـ.
229. منهج الإمام مالك في إثبات العقيدة، سعود بن عبد العزيز الدعجان، نشر مجالس الهدى للإنتاج والتوزيع، الجزائر، دار الآثار، مصر، القاهرة، الطبعة الأولى عام 1427 هـ.
230. الموافقات، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (المتوفى: 790هـ)، المحقق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، الناشر: دار ابن عفان، الطبعة: الأولى 1417 هـ - 1997 م.
231. موسوعة العقيدة والأديان والفرق والمذاهب المعاصرة، مجموعة من الباحثين المتخصصين، دار التوحيد للنشر، الطبعة الأولى عام 1439 هـ.
232. موسوعة مواقف السلف في العقيدة والمنهج والتربية (أكثر من 9000 موقف لأكثر من 1000 عالم على مدى 15 قرناً)، المؤلف: أبو سهل محمد بن عبد الرحمن المغراوي، الناشر: المكتبة الإسلامية للنشر والتوزيع، القاهرة - مصر، النبلاء للكتاب، مراكش - المغرب، الطبعة: الأولى.
233. النبذ في آداب طلب العلم، حمد بن إبراهيم العثمان، دار الفرقان - مصر، الطبعة الخامسة 1432 هـ

- 2011 م.

234. نثر الورود على حائبة ابن أبي داود، زيد بن محمد بن هادي المدخلي (المتوفى: 1435)، ضمن المجموع الأصيل لتوضيح العقائد بالتفصيل، دار الميراث النبوي للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى 1431.

235. نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: 852هـ)، حققه على نسخته مقروءة على المؤلف وعلق عليه: نور الدين عتر، الناشر: مطبعة الصباح، دمشق، الطبعة: الثالثة، 1421 هـ - 2000 م.

236. نظم المتناثر من الحديث المتواتر، أبو عبد الله محمد بن أبي الفيض جعفر بن إدريس الحسيني الإدريسي الشهير بالكتاني (المتوفى: 1345هـ)، المحقق: شرف حجازي، الناشر: دار الكتب السلفية - مصر، الطبعة: الثانية المصححة ذات الفهارس العلمية.

237. النهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (المتوفى: 606هـ)، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي - محمود محمد الطناحي، الناشر: المكتبة العلمية - بيروت، 1399 هـ - 1979 م.

238. الهداية الربانية في شرح العقيدة الطحاوية، عبد العزيز بن عبد الله الراجحي، دار التوحيد، الرياض، الطبعة الأولى، 1430 هـ - 2009 م.

239. واسع المنة بالتعليق على شرح السنة للمزني، الصغير بن عمار الشريكي، 1437 - 2016 م.

240. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي (المتوفى: 681هـ)، المحقق: إحسان عباس، الناشر: دار صادر - بيروت.

## فهرس الموضوعات

- 1** ..... المقدمة
- 3 ..... حقيقة العلم النافع
- 4 ..... أهمية التصنيف في العلم
- 5 ..... التعريف بالمنظومة وصاحبها وأهم شروحيها
- 7 ..... أصل هذا الشرح
- 9 ..... المنهج المتبع في هذا الكتاب
- 13** ..... نص المنظومة
- 15** ..... بداية الشرح
- 15 ..... مصدر التلقي عند أهل السنة والجماعة
- 16 ..... من ترك الحق ابتلاه الله بالباطل
- 24 ..... جزاء من تمسك بالكتاب والسنة
- 26** ..... مسألة الكلام
- 27 ..... مناسبة البدء بمسألة الكلام
- 31 ..... المذهب الحق في صفة الكلام لله
- 33 ..... التحذير من مذهب الواقعة في كلام الله
- 36 ..... التحذير من مذهب اللفظية والألفاظ المجملة عامة

- 41 ..... خلاصة مذهب أهل السنة في صفة الكلام لله
- 44 ..... **صفة التجلي ورؤية الله يوم القيامة**
- 46 ..... الخلاف في رؤية الكفار والمنافقين لربهم في عَرَصات القيامة
- 49 ..... ليس لله مثل
- 51 ..... الجهمية وأتباعهم ينكرون رؤية الله
- 53 ..... الأدلة على رؤية الله سبحانه
- 57 ..... **صفة اليمين لله سبحانه**
- 58 ..... الجهمي لا يثبت صفة اليمين لله مكابرة للنصوص والإجماع
- 61 ..... إثبات اليمين لله سبحانه
- 63 ..... **صفة النزول لله سبحانه**
- 63 ..... صفة النزول ثابتة بالسنة المتواترة
- 64 ..... مناسبة ذكر اسم الله «الجبار» عند الكلام على النزول الإلهي
- 71 ..... خاب وخسر من كذب بالحق أو صدق بالباطل
- 73 ..... **عقيدة أهل السنة في الصحابة الكرام**
- 76 ..... فضائل أبي بكر وعمر
- 81 ..... فضائل عثمان بن عفان
- 88 ..... تراجم مختصرة لبقية الستة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ

- 94 ..... حرمة الطعن في الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ
- 95 ..... تعريف الصحابي
- 97 ..... عدالة الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ
- 101 ..... حكم سب الصحابة وغاية وعاقبة أهله
- 110 ..... فضل الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ
- 115 ..... تفاضل الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ
- 117** ..... الإيمان بالقدر
- 119 ..... أهمية الإيمان بالقدر
- 122 ..... مراتب الإيمان بالقدر
- 130 ..... الرد على الجبرية وبيان أنه لا حجة لعاصي في القدر
- 136** ..... الإيمان اليوم الآخر
- 137 ..... فتنة القبر وسؤال الملكين
- 143 ..... فتنة القبر عامة لكل الأمم
- 143 ..... من يستثنى من فتنة القبر
- 144 ..... حوض النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
- 149 ..... أسباب الحرمان من ورود الحوض يوم القيامة

- 152 ..... لكل نبي حوض
- 153 ..... الميزان يوم القيامة
- 154 ..... تعريف الميزان وموضعه يوم القيامة
- 155 ..... وهل هو ميزان أو موازين؟
- 156 ..... موضع الميزان
- 156 ..... ما الذي يوضع في كفتي الميزان
- 158 ..... الحكمة من الوزن يوم القيامة
- 160 ..... إخراج الموحدين من النار إلى الجنة
- 166 ..... شفاعة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوم القيامة
- 172 ..... تعريف الشفاعة وشروطها
- 175 ..... الإيمان بعذاب القبر ونعيمه
- 176 ..... وجه التعبير بعذاب القبر دون النعيم
- 180 ..... أدلة عذاب القبر ونعيمه
- 183 ..... هل العذاب والنعيم في القبر على الروح والبدن؟
- 183 ..... هل عذاب القبر مستمر أو منقطع؟
- 184 ..... أسباب عذاب القبر

- 185 ..... الأسباب المنجية من عذاب القبر
- 186 ..... الإيمان بين أهل السنة والجماعة ومخالفهم
- 188 ..... التحذير من تكفير المسلمين بغير حق
- 190 ..... الأدلة على تحريم التكفير بغير حق
- 193 ..... أهل السنة لا يكفرون من كفرهم
- 194 ..... الرجوع في مسائل التكفير إلى أهل العلم وبيان الآثار المترتبة عليه
- 198 ..... أهل السنة لا يكفرون صاحب الكبيرة
- 202 ..... التحذير من عقيدة الخوارج
- 206 ..... الخوارج أصحاب هوى والله يفضح أمرهم
- 210 ..... التحذير من عقيدة المرجئة
- 213 ..... تعريف الإرجاء وذكر طوائف المرجئة
- 214 ..... أقول السلف في التحذير من المرجئة
- 217 ..... الآثار المترتبة على قول المرجئة في الإيمان
- 219 ..... الكلام على حقيقة الإيمان عند أهل السنة والجماعة
- 222 ..... تعريف الإيمان لغةً
- 223 ..... تعريف الإيمان شرعاً مع بيان أدلته

- 230 ..... منزلة العمل من الإيمان
- 232 ..... تفاضل أهل الإيمان
- 234 ..... أهمية الإيمان في حياة الإنسان وثمرات تحقيقه
- 236** ..... التحذير من اتباع الرأي والقدح في أهل الحديث
- 237 ..... ذم الآراء المخالفة للشريعة
- 241 ..... تعريف الرأي وأقسامه: الرأي المحمود والرأي المذموم
- 244 ..... ذم الرأي المخالف للشريعة
- 247 ..... التحذير من الطعن في أهل الحديث والأثر
- 249 ..... سبب تسمية أهل السنة بأهل الحديث، وبيان مكانتهم
- 252** ..... خاتمة الشرح
- 253 ..... فضل الحياة على عقيدة أهل السنة والجماعة
- 255 ..... أهل الباطل يريدون إضعاف أهل السنة بيث الشائعات والتُّهم بينهم
- 259** ..... كتب ينصح بها المؤلف في بعض المسائل عقدية
- 259 ..... كتب في مسألة الكلام والرد على القائلين بالكلام النفسي
- 259 ..... كتب في مسألة رؤية الله يوم القيامة
- 259 ..... كتب في مسألة النزول الإلهي

- 259 ..... كتب في مناقب العشرة المبشرين بالجنة
- 259 ..... كتب في عدالة الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ
- 259 ..... كتب في النهي عن سب الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ
- 259 ..... كتب في فضائل الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ
- 260 ..... كتب في القضاء والقدر
- 260 ..... كتب في ضوابط وقواعد التكفير
- 260 ..... كتب في صفة العرش
- 260 ..... كتب في الرد على الخوارج وأتباعهم قديماً وحديثاً
- 261 ..... كتب في تأصيل مسألة الإيمان والرد على شبهات المخالفين
- 262 ..... كتب في الدفاع عن أهل الحديث
- 263 ..... فهرس المصادر والمراجع**
- 293 ..... فهرس الموضوعات**